الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون –تيارت–

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الموضوع

دلالة القاعدة النحوية والصرفية بين الخرق والمعيارية وتطبيقاتها في القرآن الكريم

مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير

في إطار مشروع الدرس الدلالي بين التراث والحداثة عند العرب

مقدمـــة من طرف: بلقنيشي علي

إشـــراف الأستاذ الدكتور: عبد الجليل مرتاض

أعضاء لجنة المنـــاقشـــة:

– أحمد عـــرابي	أستاذ التعليم العالي	جامعة تيارت	رئيسا
– عبد الجليل مرتاض	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	مشرفا ومقررا
– محمد عباس	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	مناقشا
– عـــابد بوهادي	أستاذ محاضر "أ"	جامعة تيارت	مناقشا
– عـــبد القادر زروقي	أستاذ محاضر"أ"	جامعة تيارت	مناقشا

السنة الجامعية 1432هـــ-1433هـــ / 2011م - 2012م

بِسْـــمِ اللهِ الرَّحْـــمَنِ الرَّحِـــيم

الحمد لله ربّ العالمين الذي أنزل القرآن فأعجز الثَّقلين، وأصلِّي وأسلِّم صلاةً وتسليماً يليقـــان بمقام أمير الأنبياء، وإمام المرسلين محمَّد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه، والتَّـــابعين الـــذين اهتدوا بهديه، وسلكوا منهجه تطبيقا و تبليغا.

أمّا بعد ..

فإنَّ أسلوب القرآن الكريم يعلو على كل أسلوب، فهو المعين الذي لا ينضب، يتدفَّق بما يروي ظمأ الباحثين فيه قديما وحديثا، وسيظلُّ أسلوبه ميدانا خصبًا فسيحًا للدِّراسة و البحث، وما ذلك إلاَّ لأنَّه اعتمد في عرض مفاهيمه الدِّينية، وحقائقه التِّشريعية على عبقريَّة لغة تجمع بين روعة التَّـــصوير، ودقَّة التعبير، وقوة التَّأثير، وجمال الإيقاع.

قد يخرق التَّعبير القرآني المألوف، ويخالف النَّمط المأنوس في مبانيه، وتراكيبه، وسياقاته على أروع نسق وأجمل هيئة تعبيرية، حيث تُشكِّل ظاهرة خرق القواعد النَّحوية و الصَّرفية منطقة برَّاقة في أسلوبه الذي يفجِّر طاقات اللُّغة، ويستحثُّها للبوح بما لا تبوح به في معياريتها، والتي لها أهمِّيتها وقيمتها التَّعبيرية في الدَّلالة القرآنية عبر كسر صور المألوف، والخروج عن المطابقة السِّياقية، ممَّا يضاعف طاقات نصوصه الإيحائية، ليثير المتلقّيَ ويحفِّز ذهنه لتجاوز البنية السَّطحية إلى البنية العميقة بفعل العرض غير المتوقَّع للبُنى اللُّغوية، ومَا يحدثه من استجَابة مُؤثِّرة فيه، وهذا يعني التقاء البعد التَّواصلي بالبعد الجمالي، وهو عمليَّة أسلوبية مقصودة في الخطاب القرآني تنبني من خلالها كثير من الخروقات الدَّلالية التي تسعى إلى تجاوز معيارية الدَّوال.

من هنا كان ينبغي إخضاع هذه الظاهرة للدَّرس و التَّحليل، ومن ثمَّ فهم الإشكاليات الدَّلاليـــة التي تطرحها نصوصه، واستكناه أسرار الخرق اللُّغوي في محاولة القبض على المعنى؛ إذ الخرق لا يـــأتي إلاَّ لقصدية معيَّنة يرجِّحها السِّياق الذي هو المعيار الأكثر حضورا في تتبُّع أنواع الخـــرق الـــوارد في القرآن الكريم .

وهو ما حاولت بحثه في هذه الرِّسالة الموسومة بـــ (**دلالة القاعدة النَّحويَّة و الـــصَّرفيَّة بـــين الخرق و المعياريَّة ـــ وتطبيقاتها في القرآن الكريم** ـــ) لتقف وقفة دلالية جمالية على صور خـــرق المعيارية السِّياقية محاولة الكشف عن أسرار الأسلوب القرآني في الإشارة إلى الخفيِّ من المعاني .

ويعود اهتمامي بهذا النَّوع من المواضيع إلى سببين؛ أولهما أن تكون أول البدايات في عالم البحث والدِّراسة في القرآن الكريم لدراسة بعض جوانب نظمه المعجز، ولاسيما فيما يتعلَّق بجانبيه الدَّلالي والجمالي – وكلُّه استحياء وتهيُّب – على هذا الموضوع، غير أنَّ الحياة مع النَّص القرآني نعمة.

وثانيهما إعجابي الكبير بتلك الكفاءة القرائية التي أطّرها القدامى و المحدثون في كتاباتهم و أودعوها خلاصة قراءاتهم للكتاب الكريم، وذلك شاهد على انفتاحية الخطاب القرآني على القراءات المتعدِّدة .

ولعلَّ أهميَّة هذه الدِّراسة آتية من الكشف عن إعجاز التَّعبير القرآني وعبقرية اللُّغة التي اختارها الله تعالى وعاء لكتابه من خلال محاولة تتبُّع جهود القدامى، ونظرات المحدثين في مجال الدِّراسة الدَّلالية، ومناقشتها وتنظيمها في عمل متواضع يطمح أن يكون خطوة علمية في عالم الدِّراسات القرآنية، ولعلَّ ميزة هذا البحث تكمن في الجانب التَّطبيقي الذي اتَّخذ من أسلوب القرآن الكريم ومادته أساسا له وغاية .

ولقد أفادت الدِّراسة من مصادر تنوَّعت روافدها بين القديم و الحديث معتمدة على المدوَّنات التَّفسيرية، والتَّأويلية (الكشاف، التفسير الكبير، ملاك التأويل،...) بقدر كبير يعين على فهم النُّصوص فهما صحيحًا، واستعانت بالمصادر البلاغية، و النَّقدية، و الأسلوبية، كما وقفت الدِّراسة على تأمُّلات الدَّارسين في مجال الإعجاز وعلوم القرآن، وأخيراً لم ينسَ البحث أن يفيد من أحدث طروحات علم اللُّغة الحديث.

والبحث عموما وفي كتاب الله تعالى خصوصا لا يخلو من معضلات جمَّة كان أشدّها على النَّفس الخوف من نقل الخطأ في التَّأويل أو التَّجاوز في التَّعليل، إضافة إلى وفرة الشواهد القرآنية التي تشتمل على الأسرار الدَّلالية، والإشارات النَّفسية ممّا يصعب استقصاؤه في ظلِّ الافتقار إلى بعض المصادر و المراجع المهمَّة، وندرة البعض الآخر، مع تناثر المادَّة في بطون الكتب اللُّغوية والنَّحوية والتَّفسيرية تناثرا يصعب جمعه، إلاّ أنه ممتع ومفيد.

ولأنَّ الدِّراسة الأكاديمية تقتضي بأن يكون لكل بحث موضوعيٍّ وجاد إشكالية يحرص الباحث على طرحها، وضرورة الإجابة عليها، ارتأيت أن تكون الإشكالية المطروحة متمثلة في التَّساؤلات التَّالية :

*- إذا كان القرآن معجزا بنظمه باتّفاق أئمة البيان، فما علاقة لغته بهذا الإعجاز؟

*- كيف ساهمت آلية الخرق اللُّغوي في القبض على الهويَّة الدَّلالية للنصِّ القرآني؟

*- ما دور المتلقي في تجليَّة الإشكاليات الدَّلالية التي تطرحها البنية السَّطحية للنصوص؟

و للإجابة عن هذه التساؤلات اتّبعت منهجا مُعيّنا للوصول إلى الهدف من البحث؛ و هو المنهج الوصفي التحليلي، تبعًا لما قام عليه البحث من إبراز الثَّراء الدَّلالي في الخطاب القرآني، متكِّئا على الجانب التَّطبيقي من خلال التعرّض لعدد من القراءات التي حاولت تفكيك شفرات نصوصه، جمعا بين المنجز التُّراثي و الحداثي في تعاملهما مع الآليات اللُّغوية لكشف النِّقاب عن إعجاز النَّظم الكريم.

ولمـّا كانت الغاية من هذه الدِّراسة رَصد أشكال خرق القواعد النَّحوية و الصَّرفية وعلاقة هذا الخرق بمقصدية الخطاب القرآني اقتضت طبيعة الموضوع إرساء البحث على ثلاثة فصول يتقدَّمها مدخل وتقفوها خاتمة تلخِّص أبرز نتائج البحث وفهارس .

فالمدخل يرصد فيه البحث منطق النحَّاة القدامى في تقعيدهم لقواعد العربية، والأسس التي قام عليها منهجهم لذلك التَّقعيد، وكيف تعاملوا مع المسائل التي أتت مخالفة لمعياريتهم، وما هي التَّخريجات التي اعتمدوها أثناء اصطدامهم بحجِّية النُّصوص القرآنية للتَّوفيق بين قواعدهم وهذه النُّصوص المخالفة لها .

أمَّا **الفصل الأول** فجاء بعنوان : خرق معياريَّة التَّركيب وعلاقته بمقصديَّة الخطاب القرآني؛ بيَّنتُ فيه الصِّلة بين التَّراكيب اللَّغوية و المعنى، وبخاصة أثر الخرق اللُّغوي في الكشف عن المقاصد وجاء في مبحثين :

أوَّلهما خرق معيارية التَّرتيب؛ وقد رأى البحث فيه عاملا مهمًّا في إثراء اللُّغة، وإغناء التحوُّلات التَّركيبية بإخراج الكلمات من مجال تموقعها المعهود، وتقديم إمكانات دلالية متنوِّعة لا تبوح بها إلاَّ لغة الخرق، في حين تعجز بُنى الألفاظ المألوفة عن تحقيقها، لتكشف فيه آلية التَّقديم و التَّأخير عن قدرات تعبيرية للنصِّ القرآني، وما تبعثه من أسرار دلالية، وإشارات نفسيَّة في سياقها اللُّغوي، إضافة إلى تعانق القاعدة الشَّرعية مع القاعدة النَّحوية في الكشف عن المنبِّهات الدَّلالية، وكيف أطَّر مؤوّل

النص القرآني هذه الآلية خدمة لأفكاره ومذهبه وعقيدته، امتدادا إلى آيات العدد لتفصح عن أسرار دلالية ومعان محدَّدة ، ممَّا سيحفِّز لدى القارئ جماليات القراءة.

في حين يتعهَّد **المبحث الثاني** المعنون بـــ خرق مثالية الأداء اللّغوي بالحديث عن آلية الحـــذف التي لها حضورها البارز، وقيمتها في التَّعبير القرآني؛ إذ يعمد إلى الإخفاء قصد تعدُّديَّة الدَّلالة، مما يعني انفتاحية الخطاب القرآني على عدَّة قراءات، وعلى هذا الأساس ركَّز البحث على اســـتقراء مـــواطن الحذف، ممَّا يثير المتلقِّي ويتحدَّى أفقه بالقلق القرائي، ويحفّزه على استحضار النصِّ الغائب، انتقـــالا إلى علاقة هذه الآلية اللُّغويَّة بالعمليَّة التَّأويليَّة من خلال منح المؤوِّل مساحة للتَّقدير، وشدِّ انتباهه إلى منطقة في النص مثقلة بالكثافة الإيحائية، وصولا إلى توضيح مسألة حذف العدد وما تنطوي عليه من أسرار دلالية، وذلك لخلق ترابط نصّي طرفاه النصّ و المتلقي .

ويتوفَّر **الفصل الثاني** الذي عنوانه : دلالة البنية في التَّعبير القرآني من خلال إبـــراز الـــسِّمات الأسلوبية و الدَّلالية للنَّظم القرآني في مبحثين:

يقف **المبحث الأول** على خرق معيارية الزَّمن؛ كاشفا عن المخالفة في اســـتعمال الأفعـــال في السِّياق القرآني وتداعياتها السِّيمانتيكيَّة؛ فالقرآن الكريم يخرق النَّمط المألوف في أزمنة الفعل، كالتَّعبير عن الحدث المستقبل بالزمن الماضي كما هو واضح في أحداث القيامة، والتَّعبير عن الحدث الماضـــي بالمضارع وهكذا، لذلك فالسِّياق القرآني لا يجري على نمط واحد في المطابقة الزَّمنية بين الأفعال ممَّـــا يحدث تصادما على مستوى البنية السَّطحية .

ويأتي في إثر ذلك **المبحث الثاني** يستجلي الحديث عن تلوينات خرق المعياريَّة؛ حيث تطالعنـــا شواهد كثيرة في لغة التنزيل برزت فيها المغايرة وعدم المطابقة السّياقية؛ فبدأ بمسألة العـــدد -إفـــرادًا وتثنية وجمعا-، ثم انتقل الحديث إلى قضية الجنس – تذكيرا وتأنيثا-، ويقفو ذلك حديث عن الخرق الذي يتمُّ في الأبنية المختلفة، وحسبك أن كثيرا منَّا لا يرى فرقا بين استعمالات القرآن لهذه الأبنيـــة، ونظر المبحث أيضا في العدول إلى المجاور الدَّلالي بعيدا عن التَّرادف، كما لم يغفل الحديثَ عن دلالة الجملة القرآنية بين البنية السَّطحية و البنية العميقة، ممَّا يكشف عن طاقات تعبيرية كبيرة.

ويتعهَّد **الفصل الثالث** بدراسة دلالة الخرق في حروف المعاني؛ بيَّنت فيه الطَّاقة التَّعبيرية لحروف المعاني في النَّظم الحكيم، وتمَّ توزيع الفصل على مبحثين؛ **فالأوَّل** يتحدَّث عن دلالة الخرق في حروف الجر مبتدئا فيه بمناقشة آراء اللُّغويِّين و البيانيّين لمسألتي التَّناوب و التَّضمين، ثم عدل الكلام إلى الكشف عن الأسرار الدَّلالية التي تهمس بها بعض مورفيمات الجر، واقفا عند مشتبه النَّظم، في حين يستأثر **المبحث الثاني** بدلالات الخرق في حروف النَّسق، وما تشي به من اللَّطائف البيانية و الإشارات النَّفسيَّة، متّكِّئا على ما توسوس به سياقاتها المتشابهة .

وفي **الخاتمة** سجّلت أهم النَّتائج التي انتهى إليها البحث .

ولا يسعني بعد إلاّ أن أتوجَّه بعميق آيات الشُّكر والامتنان إلى كلِّ من قدّم ليَ العون والمساعدة في سبيل إتمام هذا البحث، وأخصّ منهم بالشُّكر الخالص، والتَّقدير الوافر أُستاذي الفاضل وشيخي الجليل الأستاذ الدكتور عبد الجليل مرتاض لِما له من فضل كبير عليّ في إزالة الهنَّات، وإقالة العثرات إلى أن استوى البحث على سُوقه، فله منِّي وبتواضع جمّ وافر الشكر، وفائق الاحترام ...والله أسأل أن يبارك له في عمره، ويمنحه الصحَّة و العافية خدمة لكتابه العزيز، ولهذه اللُّغة الكريمة، و أسأل الله أن يجازيه على ما بذل خيرا في الدُّنيا و الآخرة .

كما أتقدم بخالص شكري وامتناني إلى أعضاء لجنة المناقشة الذين تفضَّلوا بقبول مناقشة هذه المذكرة و إثرائها بتوجيهاتهم المباركة.

وبعد ... فهذا جهد المقلِّ حاولت ما استطعت، وألتمس سلفا العذر من القارئ الكريم إن وقع على خطوة عاثرة، فما فيه من صواب فمن فضل الله وتوفيقه، وما فيه من زلل فمن نفسي، وضعفي وتقصيري، وأسأل الله أن لا يحرمني أجر المجتهدين المخطئين، فهو الموفِّق وهو يهدي السبيل .

الطالب : علي بلقنيشي

تيارت في: 28 جمادى الأولى 1433هـ

20 أفريل 2012م

مدخل:

النُّحاة وبناء الهيكل النَّحوي

لقد كان منطق النحَّاة القدامى في تقعيدهم وضع أصول وقواعد عامَّة للعربيَّة، يقوم عليها النّظام اللُّغوي للوصول إلى المعايير التي تضبط اللّغة، انطلاقا من مصادر الاحتجاج، والاستشهاد المتمثِّلة في الكلام العربي الفصيح؛ لإثبات صحَّة قاعدة، أو استعمال كلمة، أو تركيب استنادا إلى الاستقراء، والجمع، والسَّماع، والقياس...وما شابه ذلك، ساعين إلى تشييد بناء لغوي متماسك، على اعتبار أن اللّغة منظومة لها معاييرها، وقواعدها التي يقوم عليها النّظام التَّواصلي بين الباثِّ والمتلقِّي.

إنَّ نشأة علم النَّحو الملتزم بقواعد المعيارية كانت تهدف إلى مقاومة ما أطلق عليه النحَّاة "اللّحن" الذي يمثل خرقا لأصول وأنظمة المعيارية؛ لأنَّه " خروج عن النَّمط، وتجاوز للمسطّر المرسوم، وعدول عن القاعدة السّكونية إلى السنَّة المتحرِّكة المتغايرة." [1]، فقد كانت أحداثه الشائعة، والمتتابعة دافعا قويًّا إلى جمع الكلام العربيِّ الفصيح؛ لاستخراج القواعد، والقوانين التي تضبط اللُّغة، لوضع المعيار الذي يتَّخذه المتكلِّم طريقا للتَّعبير ضبطا لمثالية الأداء اللُّغوي.

التزم النحَّاة الأوَّلون بتحديد المعيار الزَّمني، والمكاني الذي ينبغي أن يقتصر عليه الجمع اللُّغوي، غير أنَّ هذا التَّحديد أسقط مادَّة لغويَّة وفيرة، وهذا ما يتنافى مع المنهج السَّليم في دراسة اللّغة، واستخلاص قواعدها، ومعاييرها من خلال استبعادهم لبعض القبائل العربيَّة، " ولا يتأتَّى هذا إلاّ بالاهتمام بكل القبائل المتنقّلة، أو المستقرّة ذات المناطق اللّغوية الشّهيرة حتى المغمورة إن وجدت...وتبعا لهذا فإن الأطالس اللّغوية التي ترصد لهذا الغرض ينبغي أن تشمل قبائل، ومناطق غير

[1] – اللسانيات و أسسها المعرفية. عبد السلام المسدي. الدار التونسية للنشر، تونس ، (د.ط) ، 1986م، ص: 41.

القبائل والمناطق الشهيرة؛ لأن اللّهجات العربيّة القديمة كلّها، وعلى تباينها تمثّل ما غدا يعرف في وقت من الأوقات المجهولة بالعربيَّة الفصحى."[1]

وعليه فلا مناص للباحث في دراسة منهج النّحويين القدامى الذي اعتمدوه في تأسيس دراساتهم اللّغوية، وظلّوا عاكفين عليه لا يبغون عنه حولا، من معرفة أصوله وأسسه . فالتُّراث اللُّغوي النَّحوي تراث غنيٌّ قام على تشييد بنائه رجال نذروا له حياتهم ليؤتي أكله كل حين، إلاَّ أنَّه وعلى دقته لم يخل من عثرات.

ومن جملة أسسه وأصوله أنَّ النَّحويين حين بنوْا أحكامهم، وقعَّدوا قواعدهم استنادا إلى الكلام العربيِّ الفصيح لم يكن عن استقصاء، واستقراء تامّ لنظام اللّغة وتشكّلها، بل كان استقراء ناقصا؛ لاعتمادهم على القليل مما سمعوه من الكلام العربي، وفق منهج محدّد ذي اختيارات زمنية، وجغرافية ، واجتماعية. [2]

في حين أنَّ اللّغة العربيَّة أوسع بكثير مِمَّا جمعه الروَّاة في عصر التَّدوين، مما أدَّى إلى قصور بعض الأحكام النَّحوية، وعدم شموليتها نظرا لذلك التَّحديد الزَّمني والمكاني؛ فكان أن سقطت من النحويين شواهد كثيرة، وأساليب عديدة، و"الحقُّ أنَّ النَّقد يجد في صفِّ النحَّاة، و في قواعد نحوهم ثغرا عدّة، ينفذ منها إلى الصَّميم، فهم يريدون بناء قواعدهم على كلام العرب، فيجمعون نتفا نثرية، وشعرية من هذه القبيلة، ومن تلك. من أعرابيٍّ في الشَّمال إلى امرأة في الجنوب ومن شعر لا يعرف قائله إلى جملة غير منسوبة، يجمعون هذه إلى أقوال معروفة مشهورة، ويصنعون قواعد تصدق

[1] – اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي. عبد الجليل مرتاض. دار الغرب للنشر و التوزيع ، وهران ، الجزائر ، (د ط)؛ 2003م، ص: 25.

[2] – ينظر: الأصول دراسة إبستيمولوجية للفكر اللُّغوي عند العرب. تمام حسّان ، عالم الكتب، القاهرة، مصر، (د.ط)؛ 1420 هـ 2000م، ص: 57 .

على أكثر ما وصل إليهم بهذا الاستقراء النَّاقص الذي لا يستند إلى خطة محكـــــمة في الجمـــع، ثم يسدّدون هذه القواعد بمقاييس منطقية يريدون اطِّرادها في الكلام."[1]

أضف إلى ذلك عدم انتبـــاههم إلى العادات النُّطقية، لتأثر اللُّغة بها ، وبحساسية أذن السَّـــامع؛ لأنَّ " المادة اللّغويَّة المسموعة تتأثَّر بعاملين لهما شأن كبير في تحليلها وهما : الإمكانـــات الـــصَّوتية، وعادات النّطق عند المتكلم، ثمَّ مدى حســـاسية أذن السّامع في سماعـــها للأصـــوات وقد كان عدم

الدقَّة في تحديد دور هذين العاملين في إضافة بعض الظواهر العرضيَّة للمادَّة اللُّغويَّة أثره في اضـــطراب التَّحليل النَّحوي للمسموع ."[2]

من ذلك قراءة أبي جعفر المنصور لقوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ** ﴾[3] بفتح الحاء. غير أنَّ صـــــاحب (**الكشَّاف**) يرى أنها كيفية للنُّطق " لعلّه بيَّن الحاء وأشبعها في مخرجها فظـــنَّ السَّامع أنّه فتحها."[4]

ومن أمثلة تلك الأحكام القاصرة، وعدم انطباق القاعدة على كثير من المـــسموع الـــصَّحيح قرآنا، وحديثا، و شعرا؛ لاعتمادهم على لغات قبائل معينة، وهذه الأخيرة لا يعقل أن تحـــويَ كـــلَّ

---

[1]- في أصول النَّحو. سعيد الأفغاني. المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، (د.ط)؛ 1407 هـــ ، 1987 م، ص: 31.

[2]- أصول التفكير النَّحوي. علي أبو المكارم. دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، مصر، ط1؛ 2006م، ص: 34،35.

[3]- سورة الشرح. الآية : 01.

[4]- الكشَّاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل. الزمخشري، جار الله بن القاسم محمود بن عمر. تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود و آخرون. مكتبة العبيكان، الرياض ، السعودية ، ط1؛ 1418 هـــ ، 1998 م، ج6، ص: 396.

لغات القبائل الأخرى، ولهجاتها من أساليب وتراكيبَ متنوعة: القاعدة التي صاغوها بأن الفعل المسند للظاهر- المثنَّ أو الجمع - يجرَّد من علامة التثنية والجمع.

حيث يتجاوز المسموع القاعدة، ويتمرَّد على معاييرها، وبذلك يصبح الأداء يتراوح بين سلطة المعيار، وانفتاحية الاستعمال؛ فقد كان " المعيار – وهو القانون أو القاعدة أو السّنن أو النَّمط- هو سيِّد الاستعمال، له عليه حق الطَّاعة، فإن لم يمتثل فله عليه حقُّ الزَّجر. فالاستعمال تابع، والمعيار متبوع، والمعيار مستقِّر، والاستعمال محمول حملا على الاستقرار، فإن انجذب إلى العدول عُدَّ ذلك انحرافا يأذن بفساد اللغة."[1]

يقول **ابن عقيل** (ت:**769 هـ**) في (**شرحه**):"مذهب جمهور العرب أنه إذا أسند الفعل إلى ظاهر – مثنى أو مجموع – وجب تجريده من علامة تدلُّ على التَّثنية أو الجمع، فيكون كحاله إذا أسند إلى مفرد ... فتأتي بعلامة في الفعل الرَّافع للظَّاهر، على أن يكون ما بعد الفعل مرفوعا به، وما اتَّصل بالفعل – من الألف والواو والنُّون– حروفا تدلُّ على تثنية الفاعل أو جمعه."[2]

قال **ابن مالك** (ت:**672هـ**): وجرّد الفعل إذا ما اسند لاثنين أو جمع كـ"فاز الشهدا"[3]

غير أنَّ المتأمِّل في واقع اللُّغة يلاحظ وجود أمثلة من الظَّواهر اللُّغوية على عكس معاييرهم قرآنا، وحديثا؛ حيث ألحقت فيهما علامة التَّثنية أو الجمع للفعل المسند إلى ظاهر- مثنّ

[1]– اللسانيات و أسسها المعرفية. عبد السلام المسدي. ص: 37.

[2]- شرح ابن عقيل. ابن عقيل. تح: محمَّد محي الدين عبد الحميد، دار التراث للنشر و التوزيع، القاهرة، مصر، ط20؛ 1400هـ 1980م، ج2، ص:79، 80 .

[3]- متن ألفية ابن مالك. ابن مالك. تع: عبد اللطيف بن محمَّد الخطيب، مكتبة دار العروبة للنشر و التوزيع، الكويت، ط1؛ 1427هـ، 2006م، ص: 15 .

أو مجمـــوع -؛ لذلك فالقاعدة هي" نموذج مثالي لغوي حاضر أمام الجماعة اللّغوية، وهـــو نمـــوذج تنحُو إلى تطبيقه دون أن تظفر بذلك نهائيًّا في الواقع اللّغوي."[1]

قال تعالى: ﴿**وَحَسِبُواْ أَلاَّ تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ اللّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُـــواْ وَصَـــمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ**﴾[2]، وقوله : ﴿**لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّواْ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ**﴾ [3]

لقد قادهم حرصهم وإصرارهم على قواعدهم أن ينعتوا هذه اللُّغة بلغة"أكلوني البراغيـــث"[4]، وكان ابن مالك يسمـــيها بلغـــة"يتعاقبون فيكم ملائكة"[5]، رغم أنَّ لها وجـــها من القياس؛ وهـــو إلحـــاق الفعل المسند إلى المثنَّ أو الجـــمع علامة دالَّة على أن الفـــاعل مثـــنى أو جـــمع، "؛ ذلك أنَّ القدامى كانوا يعتبرون أنَّ كل تغيير يطرأ على قواعد اللّغة إنَّما هو انتهاك لأبديَّة قوانينها، فهـــو بالتَّالي تجنّ على اللُّغة، وتسلُّط على أهلها، فيكون شأنه بمنزلة البدعـــة، وفي كـــل بدعـــة عـــدول وانحراف."[6]

---

[1]- علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته. صلاح فضل. دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1؛ 1419هـــ ، 1998م، ص: 215.

[2]- سورة المائدة. الآية: 71.

[3]- سورة الأنبياء. الآية: 03.

[4]- همع الهوامع في شرح جوامع الجوامع. السيوطي جلال الدين. تح: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت ، لبنان ، د ط 1413هـــ، 1992 م، ج 2، ص: 256.

[5]- المصدر نفسه، ج 2، ص: 257 .

[6]- اللسانيات وأسسها المعرفية. عبد السلام المسدي. ص: 25 ، 26.

واختلفوا في تأويل هاتين الآيتين، فمنهم من اعتبرها لغة ثابتة، ومنهم من لم يسلّم بها، وعدّها شاذة قليلة الاستعمال، وفريق آخر قال بضعفها، وقد حاولوا تحليل هذه الأمثلة بردّها إلى معاييرهم بطريق التأويل، أو الافتراض أو التقدير أو الجواز أو عدمه.[1]

جاء في(**الكشَّاف**) : " أبدل (**الذين ظلموا**) من واو (وأسرّوا) إشعارا بأنهم الموسومون بالظُّلم الفاحش فيما أسرّوا به، أو جاء على لغة من قال:" أكلوني البراغيث"، أو هو منصوب المحلّ على الذمّ، أو هو مبتدأ خبره (وأسرّوا النجوى) قُدّم عليه، والمعنى: وهؤلاء أسرّوا النّجوى فوضع المظهر موضع المضمر تسجيلا على فعلهم بأنه ظلم."[2]

وللآيتين ما يؤيّدهما من الشّواهد العديدة حديثا وشعرا، فعلى سبيل المثال – لا الحصر-: قوله – صلى الله عليه و سلم – : " من كنّ له ثلاث بنات يأويهنّ، ويرحمهنّ، ويكفلهنّ وجبت له الجنة البتة."[3]، والوجه من كان له، أو من كانت له .

وقول يزيد بن معاوية:

يَدُورُونَ بِي في ظِلّ كُلِّ كَنيسةٍ فَيَنسونَني قَومِي وأَهوَى الكَنائِسَا[4]

فقد وصل واو الجماعة بالفعل (ينسونني) مع أنَّ الفاعل اسم ظاهر مذكور بعده (قومي) .

---

[1]-ينظر: مغني اللَّبيب عن كتب الأعاريب. ابن هشام الأنصاري. تح: عبد اللطيف محمد الخطيب، المجلس الوطني للثقافة و الفنون والآداب، الكويت، ط1؛ 1421هـ ، 2000م، ج 4، ص: 407 .

[2]- الكشَّاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل. الزمخشري، جار الله بن القاسم محمود بن عمر.ج4، ص: 126.

[3]-إعراب الحديث النبوي. أبو البقاء العكبري. تح: عبد الاله نبهان، مطبوعات مجمع اللُّغة العربية بدمشق، سوريا،ط2؛ 1407هـ 1986م، ص:129 .

[4]-أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك. ابن هشام الأنصاري. تح: محمَّد محي الدين عبد الحميد، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.تا)، ج2، ص: 101.

ويذهب محمَّد أحمد الدَّالي إلى اعتبار أنها لغة قليلة، لا يصحُّ القياس عليها في سعة الكلام؛ ونفى أن يأتي عليها شاهد واحد من القرآن الكريم، أومن الحديث النّبوي الشّريف، " وقد جاء على هذه اللّغة "أكلوني البراغيث"شواهد من الشِّعر، و لم يأت عليها شاهد من القرآن، و لم يصح عن النبي – صلَّى الله عليه وسلم – شيء من لفظ جاء عليها....كان حمل القرآن والحديث على هذه اللّغة القليلة غير جائز حتَّ من جهة الصّناعة النَّحوية، ولست تجد في القرآن والحديث كل ما ورد من أساليب العرب، أو ما أجازه النحَّاة من الأساليب قياسا على كلام العرب." [1]

ومن نتائج استقرائهم النَّاقص استعانتهم بخليط من الأفكار الفلسفيَّة، والمنطقيَّة لتدعيم معاييرهم؛ " ذلك أنَّ النحَّاة القدامى قد احتكموا إلى المنطق كثيرا، وأقاموا عليه قواعد النحو... ولقد أدَّى بهم ذلك الاستناد إلى المنطق إلى أن يرسموا للتَّركيب صورا ثابتة جعلوها هي الأصل وما عداها خروجا على الأصل."[2]، وهذا ما أساء إلى النحو العربي فجعل ماءه غورا لا نستطيع له طلبا.

يقول **ابن عقيل**: " مذهب جمهور النَّحويِّين أنه لا يجوز تقديم الحال على صاحبها المجرور بحرف، فلا تقول في : (مررتُ بهندٍ جالسةً) مَررتُ جالسةً بهندٍ."[3]

في حين وردت شواهد على عكس قواعدهم بتقديم الحال على صاحبها المجرور بحرف الجر، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً** ... ﴾[4]، إلاَّ أنَّ كثيرا من النحَّاة رد تخريج اعتبار (كافَّةً) حالا من (النَّاس) المجرور بحرف الجر.

---

[1] – « لغة أكلوني البراغيث ». محمَّد أحمد الدالي، مجلة مجمع اللُّغة العربية بدمشق ، سوريا؛ 1414 هـ ، 1993 م، مج 68، ج3، ص: 416.

[2] – نحو القرآن. أحمد عبد الستار الجواري. مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، العراق، (د.ط)؛ 1394هـ ، 1974 م، ص: 09، 10.

[3] – شرح ابن عقيل. ابن عقيل. تح: محمَّد محي الدين عبد الحميد، ج2، ص: 264 .

[4] – سورة سبأ. الآية: 28 .

قال **الزَّمخشري** (ت:**538 هـ**) : " ومن جعله حالاً من المجرور متقدِّما عليه فقد أخطأ؛ لأن تقدُّم حال المجرور عليه في الإحالة بمنزلة تقدُّم المجرور على الجار."[1]

قال **الفخر الرَّازي** (ت:**604 هـ**) في تعليله: " وفيه وجهان: أحدهما : كافَّة، أي إرسالة كافة، أي عامَّة لجميع الناس تمنعهم من الخروج عن الانقياد لها، والثاني : كافَّة، أي أرسلناك كافة تكفُّ النّاس أنت من الكفر، والهاء للمبالغة على هذا الوجه."[2]

ولهذا الخرق في قاعدة الحال ما يؤيّده من شواهد شعريّة تقدَّمت فيها الحال عن صاحبها، ومنها:

قول الشَّاعر: تَسَلَّيْتُ طُرًّا عَنْكُم بعْدَ بَيْنِكُم بِذِكْرَاكُم حَتَّى كَأَنَّكُم عِنْدِي[3]

وقول عُروة بن حزام العُذري :

حَلفْتُ بِرَبِّ الرَّاكِعينَ لِرَبّهِم خَشُوعًا، وفَوقَ الرّاكِعينَ رَقِيبُ [4]

وقد اضطرَّ النحَّاة إلى القول بالضَّرورة؛ إذ وجدوا من خلاله مخرجًا في التَّقعيد، وهو مظهر من مظاهر معياريتهم، و الحقيقة أنَّ ما سمَّوه ضرورة " إنما هو استعمال لهجي لبعض القبائل تسرَّب إلى اللُّغة المشتركة، و لم يقبله قياس النحَّاة، فحكموا عليه بالضَّرورة إراحة لأنفسهم من

---

[1]- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل. الزمخشري، جار الله بن القاسم محمود بن عمر. ج5، ص: 123.

[2]- التَّفسير الكبير. الرازي، فخر الدين. دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، ط1؛ 1401 هـ، 1981م، ج25، ص: 259.

[3]- نقلا عن: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك. ابن هشام الأنصاري. تح: محمَّد محي الدين عبد الحميد، ج2 ، ص:321.

[4]- شرح ابن عقيل. ابن عقيل. تح: محمَّد محي الدين عبد الحميد، ج2 ، ص: 264 .

عناء بحثه."[1]، إضافة إلى عدم تفرقتهم بين مستويات اللُّغة، " ...ونحن نعيد قراءة نصوص تراثيـــة أنَّ المعياريِّين العرب القدماء، وخاصة الطبقات الأولى منهم كانوا ينظـــرون إلى النُّصوص المعروضـــة، أو المسموعة نظرة شاملة على أنها نسق واحد."[2]

لذلك " كان المفروض اتِّباع مبدأ تعدُّد الأنظمة، بمعنى وجوب مراعاة كل مستوى لغوي على حدة، ووضع نظام خاصٍّ لكلِّ مستوى : نظام للمستوى العام، نظام للَّهجات، نظام للغـــة الـــشّعر أو ضروریاته، نظام لكلِّ ما جاوز الظّواهر اللّغوية العامة... "[3]

غير أنَّ لنحاتنا القدامى كثيراً من العذر في ذلك؛ لأنهم وجدوا أنّ في القرآن الكريم، وقراءاتـــه الكثير من اللّهجات العربيَّة الفصيحة بمعيارهم؛ لذلك اهتموا بها جميعا، و لم يفرّقوا بـــين المـــستويات اللّغوية هذا من جهة، وجهلهم بكثير من الاستعمالات اللّغوية للّغة المشتركة من جهة أخرى.

حتّ أنَّ بعضهم طعنوا في القراءات القرآنية الصحيحة التي هي –قرآن من القرآن– لمخالفتـــها أصولهم، وقواعدهم القياسيَّة التي أحـــاطوها بالتقديس لعصبيَّة مذهبيَّة أو مدرســـيَّة، وركـــــنوا إلى التأويل، والتّخـــريج، ووصفوها بالشّذوذ، أو الضّعف، لا لشيء إلاّ لأنها خالفـــت معـــــاييرهم " وكان قوم من النحَّاة يعيبون على عاصم، وحمزة، وابن عامر قراءات بعيدة في العربية، وينـــسبونها إلى اللّحن مع ثبوت هذه القراءات بالأسانيد الصحيحة."[4]

---

[1]– لغة الشعر دراسة في الضرورة الشعرية. محمَّد حماسة عبد اللطيف. دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1؛ 1416هـــ، 1996م، ص: 406 .

[2]– في عالم النَّص و القراءة. عبد الجليل مرتاض. ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2؛ 2007م، ص: 186.

[3]– « جدلية الفكر العربي في تناول النحو». كمال بشر، مجلة جذور، النادي العلمي الثقافي، جدة، السعودية؛ 1431هـــ، 2010 م، مج12، ج30، ص: 34.

[4]– الشَّاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه. خديجة الحديثي. مطبوعات جامعة الكويت، (د.ط)؛ 1394هـــ ، 1974م، ص: 46.

أي هم يلوون أعناق الآيات لتتَّفق مع أحكامهم ويوجِّهونها توجيها خاصاً بها، أو رفضها لمخالفتها سننهم، فظهر ما يسمَّى بالقراءات الشاذَّة، والذي دفعهم إلى ذلك قُدسيّة قواعدهم من جهة، وتلك الخصومات بين النَّحويين أنفسهم من جهة ثانية.

ومن نماذج المعارضات القائمة على العصبيَّة المذهبيَّة، والتمسّك بالقواعد إلى حدّ كبير ما قيل في قوله تعالى: ﴿ **إِذَا السَّمَاء انشَقَّتْ** ﴾[1]، فكلمة (السّماء) مبتدأ، وما بعدها خبر لها كما قال كثير من الكوفيين، " لكن سيبويه- رحمه الله- يرفض هذا الإعراب الفطري الجميل ويلجأ إلى التأويل والتقدير، ويتبعه في ذلك سائر البصريين... ويقولون: إنّ كلمة (السّماء) فاعل لفعل محذوف تقديره (انشقت)، ليكون التقدير: (إذَا انشقّتِ السَّمّاءُ انشّقّت)، وأكثر الظنّ أننا لسنا بحاجة إلى التَّعقيب على هذا التقدير المتكلّف؛ ذلك الذي يخرج الآية الكريمة عن سماحتها وسلامتها، ويشوِّه الأسلوب القرآنيَّ الرّفيع."[2]

وتذهب الباحثة خديجة الحديثي إلى الدّفاع عن سيبويه ومنهجه في القراءات بقولها: " والذي لاحظناه أن سيبويه حينما يعقّب على القراءات بما يشعر بعدم موافقته إياها لا يزيد على أن يقول:"وهذه لغة ضعيفة"، أو هي"قليلة"، فهو لا يوجّه الضّعف إلى القراءة مباشرة، إنما يحمل القراءة على إحدى لغات العرب الموصوفة بالضّعف أو بالقلّة، ومع ذلك فهي لغة تصحّ القراءة بها، والضُّعف والقلَّة عنده ليسا في القراءة نفسها إنما في اللّغة التي قرأ بها القارئ."[3]

غير أن المنهج السليم يفرض عليهم نتيجة الاستقراء الناقص عدم إحاطة القواعد بالتقديس، والتمسُّك بها إلى حدٍّ كبير على حساب القراءات القرآنية الصَّحيحة، ولا أن ينقضوا هذه الأخيرة،

---

[1]- سورة الانشقاق. الآية: 01.

[2]- « سيبويه في الميزان ». أحمد مكي الأنصاري. مجلة مجمع اللُّغة العربية بالقاهرة، مصر؛ 1394هـ، 1974م، ج34، ص: 109.

[3]- الشَّاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه. خديجة الحديثي. ص: 52 .

أو يحكموا عليها بالخروج على نحو العربية، بل يعدلوا قواعدهم، ويوسّعوها بحيث تشمل القراءات السَّبعية الثابتة، وفي ذلك يقول سعيد الأفغاني: " حتىَّ إذا أتت بعضهم قراءة صحيحة السَّند تخالف قاعدتهم القياسية، طعن فيها، وإن كان قارئها أبلغ وأعرب من كثير ممن يحتجُّ النحويُّ بكلامهم، فلا استقراؤه كامل كاف، ولا لشواهده التي استند إليها بعض ما للقراءة الصحيحة من القوَّة، ولا اللُّغة تخضع للمقاييس المنطقية التي ابتدعها."[1]

وممَّا يؤخذ على منهج النّحاة القدامى اعتمادهم المطلق على لغة الشعر أكثر من لغة التخاطب اليومي، علما بأن الشّعر له لغته الخاصَّة المليئة بالضَّرورات والقيود، ونظامه الذي يختلف عن نظام المستويات اللُّغوية الأخرى، " وقصر الدّرس النّحوي على هذا المستوى أفضى بهم إلى وضع قواعد العربيَّة على أساس من النّصوص المختارة، مما أبعدهم عن الاستعمال الشَّائع في هذه اللغة، و لم يكن مناص من أن يواجهوا نصوصا من هذا المستوى الأدبي، تخالف ما وضعوه من قواعد، فاضطرُّوا إلى اللّجوء إلى التَّأويل و التَّقدير، واعتساف التفسير، والاحتكام إلى" الضّرورة أو إلى الشّاذ "، بل إلى وضع نصوص تسند بعض هذه الأحكام."[2]

وهذا الاقتصار على لغة الشّعر له مبرراته كونه أحد الأبنية العليا، ونموذج مثاليّ اطمئنّ إليه القدامى في الاستشهاد والتقعيد، فلا سبيل أمامهم لفهم الخطاب القرآني الرّفيع إلاّ في ضوء الأساليب الأدبيّة الرّفيعة عندهم، وكان الشّعر الممثّل الحقيقي لها، بشواهده التي اعتمدوها في تقعيد قواعدهم يتوارثونها جيلا بعد جيل، وأحلّوها من أنفسهم مكانا عليّا، إلاّ أن هذه الشّواهد الشعريَّة داخلها كثير

[1]- في أصول النحو. سعيد الأفغاني. ص: 31.

[2]- النَّحو العربي و الدرس الحديث (بحث في المنهج). عبده الراجحي. دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، (د ط)؛ 1979م. ص: 49.

من الضُّعف والتَّحريف، والاضطراب فكانت منها المجهولة النّسبة، والمتعددة النّسبة وذات الوجوه المتعددة، والمحرّفة، والمصنوعة، والتي أسيئ فهمها.[1]

وكان الباعث بدخول هذه الشَّواهد بأنواعها المختلفة " هو مراعاة القواعد لا النُّصوص فقد وجّهوا جهدهم أساسا في الدّراسة لخدمة القواعد، فانزلق بهم ذلك إلى استخدام نصوص ما كان لها أن تستخدم، أو على الأقل كان ينبغي أن تحقَّق وتُنخلَ قبل أن تستخدم."[2]

وممَّا سُجّل كمأخذ على منهج النحَّاة القدامى انصراف معظمهم، ولكن ليس انصرافا كليّا عن الاحتجاج بالقرآن الكريم -كتاب العربية الأكبر-، وسيِّد مصادر الاحتجاج، فلم يولوه من العناية ما هو خليق به أثناء تقرير الأصول،" فكتُب النَّحو التي فيها الممارسة العمليَّة للشَّواهد، تشير بوضوح إلى أن دارسي اللّغة قد صرفوا أنفسهم قصدا عن استقراء النصِّ القرآنيِّ لاستخلاص قواعدهم منه." [3] ، وما ورد من الآيات في كتبهم كان فقط لتأكيد قاعدة ما أقرّوها، في حين قرَّر العلماء أن كلَّ قراءة وافقت العربيَّة ولو بوجه، ووافقت إحدى المصاحف العثمانية، وأنّ كل ما ورد أنّه قُرئ به جاز الاحتجاج به.[4]

يرى محمَّد عيد أنَّ أهمَّ سبب جعل العلماء يحجمون عن الاحتجاج بالقرآن الكريم في استنباط القواعد هو "التحرُّز الدِّيني"؛ حيث نظروا إلى نصوصه نظرة تتريه حفاظا منهم على قدسيته مهابة وإجلالا، وهذا الأخير أدّى ببعضهم إلى رفض بعض القراءات القرآنية، وليّ أعناق نصوصها بالتأويل، لكونها مخالفة لأصولهم وقواعدهم، " ومن أجل هذا "التحرُّز الدِّيني" نفسه صرفوا أنفسهم عن

[1] - ينظر: الاستشهاد و الاحتجاج باللُّغة. محمَّد عيد. دار الشَّرق الأوسط للطباعة، القاهرة، مصر، (د.ط)؛ 1988م، ص: 158.

[2] - المرجع نفسه، ص: 176.

[3] - نفسه، ص: 103.

[4] - ينظر: الاقتراح في علم أصول النَّحو. السيوطي، جلال الدين. تع: محمود سليمان ياقوت. دار المعرفة الجامعية، مصر، (د.ط)؛ 1426هـ، 2006م، ص: 75.

الاحتجاج به، واستنباط القواعد من نصّه الموثّق، والحرج الذي شعر به علماء اللُّغة أمام القراءات يعود إلى هذا السَّبب نفسه؛ ذلك أن طبيعة التفكير الذي فرض نفسه على دارسي اللُّغة يحمل بين طيَّاته تعدُّد الآراء، وإعمال الذّهن في النّص اللّغويِّ...، والنصُّ القرآنيُّ لا يتحمّل ذلك ولا يطيقه، فكان لا بدَّ لهم من وقف دراسيٍّ يحفظ للقرآن قدسيَّته الدِّينية في نفوسهم وفي نفوس غيرهم."[1]

وعليه فقد كان من نتائج هذا المنهج الذي سلكه القدامى حرمان العربيَّة من زاد لغويٍّ وافر؛ لأنَّ النحَّاة كان يعنيهم في المقام الأوّل مراعاة القواعد على حساب النُّصوص، لذلك " فقد كان خليقا بمن وضعوا النّحو، وأسّسوا قواعده أن تكون المادة القرآنيَّة أهمّ ما يقيمون عليه تلك القواعد، ويستندون إليه في وضع النَّحو؛ لأنَّ أسلوب القرآن وتركيبه مبرَّأ من الضَّرورات والشواذ التي حفل بها الشعر، وامتلأ بها غريب اللّغة الذي استندوا إليه بلا اعتدال ولا قصد."[2]

وكان الخير كلّ الخير للعربيَّة أن يجعل النحَّاة القرآن الكريم إمامهم الأوَّل أثناء التَّقعيد فتكون المادة القرآنية هي الأكثر، وإقامة القواعد أو عرضها على هذه المادة، غير أنَّ " من النحَّاة من ينتزع من المقدار الذي يقف عليه من كلام العرب حكما لفظيا ويتَّخذه مذهبا، ثمَّ تعرض له آية على خلاف ذلك الحكم فيأخذ في صرف الآية عن وجهها." [3]

وممَّا يؤخذ على منهجهم أيضا إحجامهم عن الاحتجاج بالحديث النّبوي الشّريف حتى عصر ابن مالك، و" نحن نجد أئمّة النّحو البصريِّ والكوفيِّ على السّواء، والمتقدّمين منهم، وكثيرا ممن جاء بعدهم من المؤيِّدين لهذين المذهبين، أو من الذين يعتبرون مؤسّسي مدرسة بغداد، أو مصر

[1] – الاستشهاد و الاحتجاج باللُّغة. محمَّد عيد. ص: 106.

[2] – نحو القرآن. عبد الستار الجواري. ص: 8،9.

[3] – في أصول النحو. سعيد الأفغاني. ص: 32.

أو الأندلس لا يعتمدون عليه، ولا يعتبـــرونه أصلا من أصول الاستـــشهاد، وتقعيد القواعد النّحوية، وتثبيت أحكامها....وإن جاءوا بالحديث فإنما يجيئون به لتقوية ما لـــديهم مـــن شـــواهد قرآنيـــة، أو شواهد شعرية، أو نثرية وردت عن القبائل العربية التي يحتجّون بلغاتها."[1]

وكان سكوت القدماء عن الاستشهاد بالحديث لسببين أولهما: جواز النقل بالمعنى مـــن قبـــل الروَّاة، وثانيهما: وقوع اللّحن في كثير مما روي من الحديث، وتبعا لهذا اختلفت آراء العلماء حـــول صحة الاحتجاج بالحديث في إثبات القواعد النحوية، فانقسموا إلى ثلاثة أقسام: قسم يـــرى منـــع الاستشهاد بالحديث، وآخر يتوسَّط بين المنع والجواز، وثالث يجيز الاستشهاد به.[2]

وهذان السَّببان لا يثبتان عند التحقيق والتدقيق؛ وذلك لأنَّ رواية الحديث بالمعـــنى ليـــس في كل الأحوال، وإنما عند الضرورة، وأن تجويز النقل بالمعنى حدث منه الكثير في الشعر ، وفي هذا يقول سعيد الأفغاني: " ....وإن وقع بعد ذلك شك في بعض الرِّوايات من غلط أو تـــصـــحيف فنـــــزر يسير، لا يقاس أبدا إلى أمثاله في الشعر وكلام العرب، فكثير من الأشعار نفسها رويـــت بروايـــات مختلفة."[3]، فلم يرفض أحد من النَّحويين الاحتجاج بروايات الشعر المختـــلفة، وبالمقابل لم يرفضون الاحتجاج بالحديث الشريف على أساس هذه الشبهة؟

قد يشير بعضهم إلى أن التحرُّز الدِّيني[4] كان سبب امتناعهم عن الاحتجاج بالحديث أيضـــا، إذ وقف الإحساس الشَّديد بتبرئة السنَّة، وهذا ما رفض؛ لأنَّ " فكرة التحرّز الدّيني ونظرة التقـــديس والتنزيه فكرة غير مقنعة؛ فالنحَّاة قاطبة استدلوا بالقرآن الكريم دون تردد فيه....نعم وقف فريق من

---

[1]- الشَّاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه. خديجة الحديثي. ص: 61، 62.

[2]- القرآن الكريم وأثره في الدِّراسات اللُّغوية. عبد العال سالم مكرم. مؤسسة علي جراح الصباح، الكويت، ط2، 1978م، ص: 345.كما ينظر:موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف. خديجة الحديثي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، (د.ط)؛ 1981م، ص: 367، 368، 369، 370.

[3]- في أصول النحو ، سعيد الأفغاني ، ص:51.

[4]- ينظر: الاستشهاد و الاحتجاج باللغة. محمَّد عيد. ص: 113.

النحّاة موقفا يتَّسم بالشدَّة والعنف تجاه القراء..، ومع هذا لم يصرفوا أنفسهم عن الاستشهاد بالقرآن، وهذه المؤلَّفات النَّحوية التي بين أيدينا شـــاهد صدق على صحة ما ذهبت إليه."[1]

ويعلِّل ابن الطيب الفاسي (ت:**1170**هـــ) موقف القدماء من الاستشهاد بالحديث بقـــوله : " فأمَّا عدم استدلالهم بالحديث فلا يدلّ على أنهم يمنعون ذلك، ولا يجوّزونه كما توهَّمه، بل تركهم له لعدم تعاطيهم إياه، وقلَّة إسفارهم عن محيَّاه...، وأيضا في الصَّدر الأوَّل لم يكن الحـــديث مـــدّونا مشهورا مستعملا استعمال الأشعار العربيّة، والآي القرآنيّة، وإنمـــا اشـــتهر ودوّن بعـــدهم، فعـــدم احتجاجهم به لعدم اشتهاره بينهم."[2]

وصفوةُ القول أنهم جمعوا مادة غزيرة في صور لهجـــات ورطانات محلية يشوبها كـــثير مـــن الشـــوائب وتتضارب فيها الانتماءات الثقافية، و الاجتماعية و العادات النطـــقية [3]، وكـــان لنتيجة إحاطة قواعدهم بالتقـــديس، و إنزالها منزلة الحقـــائق البديهية المســـلَّمة اعتمـــادا علـــى المنـــطق، والتي أقاموا عليها بناء الهيكـــل النحوي؛ الطَّعن في القراءات القرآنية وليّ أعناق نـــصوصها حتى تتَّـــفق مع ما وضعوه من أصول، وصرفهم للطَّاقة الهائلة في الجدال المتمثل في تلك المناظرات التي تطالعنا بها كتب الأخبار، فخلّفوا اللُّغة وراءهم ظهريا، وإخضاعهم للكمِّ الهائل ممَّا جمعوا من مـــادَّة ذات المستويات المختلفة لنـــظام واحد دون إتبـــاع مبدأ تعدد الأنظـــمة، واقتصارهم علـــى اللّغـــة الأدبيَّة في ذلك، إضافة إلى عدم استشهاد بعضهم بنصوص الحديث النَّبـــوي الشَّريف، و الشافع لهم في ذلك أنَّ علم الحديث لم يكن مستقرًّا . وهذا كلُّه ما أساء إلى النَّحو العربيِّ ممـــا جعل ماءه غورا لا نستطيع له طلبا .

---

[1]- الحديث النبوي في النحو العربي. محمود فجال. أضواء السلف، الرياض، السُّعودية ، ط2؛ 1417هـ،1997م، ص: 125، 126.

[2]- المرجع نفسه، ص: 118، 119 .

[3]- ينظر: « جدلية الفكر العربي في تناول النحو ». كمال بشر. ص: 34 .

الفصل الأوَّل :

خرق معيارية التركيب وعلاقته بمقصديَّة الخطاب القرآني

توطئة:

تتّخذ الكلمات في اللّغة العربيّة مواقع حدَّدها معيار اللّغة، الذي ينظّم تتابعها في الهيكل الأساسي للبناء اللُّغوي، والتّركيب بينها على الوجه الذي يتشكّل بموجبه المعنى هو الذي يبثّ فيها الحياة داخل النّسيج اللّغوي، وهذا يعني أن تفكيك شفرات الخطاب وتأويلها رهن بالتواشجات النَّوعية التي يتمُّ بها التَّشكيل؛ إذ " إنّ دراسة الكلمات في حدّ ذاتها لا تمثل شيئا في فهم العمل الأدبي، بل إن هذا الفهم لا يتمثّل إلاّ في العلاقات بين الكلمات، أي وحدات اللّغة وهي بدورها تقوم على أساس التَّسلسل بين التَّراكيب التي يخلقها النّحو بإمكاناته الواسعة."[1]

إلى مثل هذا المعنى أشار السكّاكي (ت: **626هـ**) بقوله: " أن تنحوَ معرفة كيفية التَّركيب فيما بين الكلم لتأدية أصل المعنى، وفقا للمقاييس والقوانين المستنبطة من استقراء كلام العرب."[2]

والذي يفهم من هذا الكلام حقيقتان مهمَّتان: " أولاهما: أنَّ تركيب أجزاء الكلام، وترتيبه خاضع لمقاييس ومعايير مقرَّرة، وثانيهما: أن وضع أجزاء الكلم في المنازل التي اختصَّت بها هي التي تعطيه الإفادة المرجوَّة والمعنى المراد." [3]

فالتَّركيب اللُّغوي دعامة رئيسة في بناء النص لكشف النِّقاب عن المعاني، وهولا يقدِّم رؤية دلالية تعمل على تقريب أبعاد النص إلى ذهن المتلقِّي، إلاّ من خلال الوقوف على الطريقة التي يتمُّ بها تشكيل هذا التركيب؛ لأن " الطريقة التي يتم بها تركيب بنية النص هي التي تمنح النصَّ قيمته التعبيرية والإيحائية." [4]

---

[1] – البلاغة و الأسلوبية. محمَّد عبد المطلب. الشركة المصرية العالمية للنشر، ط1؛ 1994م، ص: 52.

[2] – مفتاح العلوم. السكاكي، أبو يعقوب. شرح وتعليق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)؛ 1407هـ، 1987م،ص: 75.

[3] – «العدول في البنية التركيبية قراءة في التراث البلاغي». إبراهيم بن منصور التركي. مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة و اللغة العربية وآدابها مكة المكرمة ، السعودية ؛ 1428هـ ، (ع 40)، ج19، ص: 547.

[4] – «النص الأدبي في اللسانيات البنيوية ». يوسف حامد جابر. مجلة علامات، النادي الأدبي الثقافي بجدة، السعودية؛ 1998م مج 7، ج 29، ص: 23.

وهو ما تنبّه إليه مبكرا **عبد القاهر الجرجاني** (ت: **471هـ**) بقوله: " الألفاظ لا تفيد حتَّ تؤلّف ضربا خاصّا من التَّأليف، ويُعمَد بها إلى وجه دون وجه من التَّركيب و الترتيب." [1] فالحسن للألفاظ في تعاضدها وتفاعلها في تأدية المعنى للبلوغ بالتعبير مترلة رفيعة، وبهذا تكون نظرية النظم عند الجرجاني ليست وصفا لمجرد تتابع الألفاظ، بل لإمكانات التراكيب وطاقات النحو، و" من حيث كانت هذه الإمكانات ذات فعالية خطيرة في أنساق اللُّغة و أساليبها حتَّ يمكن القول إنها العنصر الأساسي في تشكيل الأداء شعرا ونثرا، كما أنها المدخل الحقيقي لإدراك الإعجاز القرآني."[2]

ومن ثَمَّ فإنَّ دراسة التَّركيب اللُّغوي له فاعليته في الكشف عن القوانين الدَّاخلية التي تضبط الخطاب، فهو يسهم بشكل جاد في تأطير القراءة . فالتركيب " ليس مجرد رصف للألفاظ كيفما اتُّفق، بل إنّ مجموع الألفاظ في تركيب معين تتعاضد فيما بينها وفق علاقات نحوية، وارتباطات دلالية، وتفاعلات سياقية، هي التي تمنح الفكرة معناها، والكلام قيمته الإبلاغية والفنِّية."[3]

وقد يعكس التّركيب اللّغوي ما يختلج في النفس من انفعالات، ونشاطات وجدانية، و" أنَّ العناية بالأحوال والكيفيات والتَّراكيب ليست إلاَّ بحثا في أسرار القلوب، والعقول الماثلة في أسرار الكيفيات والتراكيب، وأنَّ المعنى الخفي الغامض والمستكن وراء هذا الحال من أحوال اللَّفظ العربي، إنما هو الاختلاجة الخفية، والغامضة في باطن النَّفس التي أبدعت هذا التركيب."[4]

---

[1] – أسرار البلاغة في علم البيان. الجرجاني، عبد القاهر. تع: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، السُّعودية ، (د ط)؛ 1412هـ ، 1991م، ص: 04.

[2] – جدلية الإفراد و التركيب في النَّقد العربي القديم. محمَّد عبد المطَّلب. الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، مصر، ط1؛ 1995م، ص: 273.

[3] – في السِّيميائيات العربية (قراءة في المنجز التراثي). عقاق قادة. مكتبة الرشاد للطباعة و النشر و التوزيع، سيدي بلعباس، الجزائر، (د.ط)؛ 1425هـ ، 2004م، ص: 71.

[4] – دلالات التراكيب دراسة بلاغية. محمَّد محمَّد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة ، مصر، ط2؛ 1408هـ، 1987م، ص: 25.

والقرآن الكريم كأثمن نصّ تعبيريّ، وأعلى نموذج بيانيّ وفنيّ ما يمنحه خصوصية عن الأساليب الأخرى، باستحداثه نظاما تركيبيا خاصا به لغايات دلالية دقيقة، و أسرار فنِّيـــة جمالية وهدفـــه في ذلك الإيحاء بالمعاني الخفية بوصفه يحمل معنى متحركا، يستثمر الآليات اللّغـــوية ويستعمل الخرق في مبانيه الجملية و التركيبية عل أروع نسق، وأجمل هيئة تعبيرية، فهـــو يعـــمد إلى نسق خـــاصٍّ من الأداء، وصيـــاغة التَّراكيب وفق نظـــام يشـــدُّ بعضـــه برقـــاب بعـــض في " هيكل نُسّقت لبناته، ونظّمت أدقّ تنظيم ... وتنسيق كلّ جملة مع ما يجاورها ممَّا يدهش العقول، ويحيّر الألباب، إذ هـــو أمر فوق الطبيعة البشرية والقدرة الإنسانية."[1]

وعليه بدا أنَّ رصد علاقة الخرق بمقصدية الخطاب القرآني من واجب هذه الصفحات أن تقوم به لإبراز الأبعاد الدَّلالية و الجمالية.

[1] – ابن قيِّم وحسُّه البلاغي في تفسير القرآن. عبد الفتاح لاشين. دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط1؛ 1406هـ ، 1982م، ص: 158

المبحث الأوَّل:

خرق(*) معياريَّة التَّرتيب:

إن الأنظمة التي تتيحها قواعد اللُّغة لا تعني صرامتها، وعدم إمكانية مساس قدسيَّتها، وخرقها بتبادل المواقع بين أجزاء الكلام؛ إذ " أن أيّ تغيير في النِّظام التَّركيبي للجملة يترتَّب عليه بالضَّرورة تغيُّر الدَّلالة، وانتقالها من مستوى إلى مستوى آخر."[2] ؛ أي هو تغيير يطرأ على النَّسق المثالي للجملة، وهذا ما يسمَّى بـ (الإنحراف الدَّلالي) الذي يتجلَّى في آلية التقديم والتَّأخير، والتي تمثل خرقا للنَّمط المألوف لتركيبها، وتخليص السِّياق من الرَّتابة، وهي تغيير بنيوي على مستوى التَّركيب، لتحقيق غرض من الأغراض؛ لأنَّ "مجرَّد المخالفة ينبئ عن غرض ما، ذلك الغرض هو إبراز كلمة من الكلمات لتوجيه التفات السَّامع إليها."[3]

ومن الواضح " أن تحوُّلات البنية في التَّقديم والتَّأخير، تعلن عن ظاهرة لها أهمِّيتها البالغة، وهي أن تفكيرنا في الصِّياغة الأدبيَّة يقوم على أنها مجموعة من الخصائص الطارئة، يمكن متابعتها بالكشف عن عناصرها أولا، ووظائفها الدّلالية ثانيا، وهو ما يقدِّم لنا منظومة متكاملة من السِّمات؛ لأنَّ كلَّ عنصر في الصِّياغة يمكن التَّعامل معه تحليليًّا للكشف عن أدبيَّته، حتَّ تلك التَّراكيب غير الأدبيَّة، لها نصيب من هذه الخصائص."[4]

---

*- هناك تسميات متعددة لهذا المصطلح مثل: العدول ، والانتهاك ، والتجاوز ، والانزياح ، وكسر النمط ... ينظر: «الانزياح وتعدد المصطلح». أحمد محمد ويس. مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت؛ 1997م، (ع03)، مج25 ، ص : 58 .

[2]- البلاغة و الأسلوبية. محمَّد عبد المطلب. ص: 326 .

[3]- اللُّغة. ج فندريس. تر: عبد الحميد الدواخلي ومحمَّد القصاص، مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة ، مصر، (د.ط)؛ 1950م. ص: 188.

[4]- البلاغة العربية قراءة أخرى. محمَّد عبد المطلب. الشركة المصرية العالمية للنشر، ط1؛ 1997م، ص: 243.

وقد فطن **عبد القاهر الجرجاني** إلى أهميَّة هذه الآلية اللُّغوية في مدِّ التَّركيب بدلالات جديدة وإلى الوظيفة التي تؤدِّيها بقوله : " هو باب كثير الفوائد، جمُّ المحاسن، واسع التصرُّف، بعيد الغاية، لا يزال يفتّر لك عن بديعة ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك، أن قدّم فيه شيء،وحوّل اللفظ عن مكان إلى مكان."[1]

ظاهرة التَّقديم والتَّأخير على اعتبار أنها خروج على القالب المعياري للّغة، من الظواهر التي شدَّت انتباه النّحويين والبلاغيِّين على حدٍّ سواء، وأولوها عناية كبيرة مع اختلاف في الرُّؤى فالنّحويون وقفوا في بنائية الجملة على تحديد الثوابت والمتغيرات (الرتب المحفوظة الثابتة، والرتب المتغيرة غير المحفوظة)، في حين أن البلاغيِّين والأسلوبيِّين بحثوا عن القيم الدَّلالية، والنَّفسية والأبعاد الجمالية.[2]

إن الخرق الذي يحدثه التَّقديم والتَّأخير في بنية التَّركيب اللُّغوي بعامة، وفي بنية الإسناد بخاصَّة له ثقله المركزي في تشخيص إبداعية النص، اعتمادا على المحور التَّركيبي، ممَّا يضفي على التَّركيب دلالات جديدة، وطاقات إيحائية، ويعين على الوصول إلى الدّلالات الغائبة و البعيدة ويرى الأسلوبيون " أنه كلَّما تصرَّف مستعمل اللُّغة في هياكل دلالاتها، أو أشكال تراكيبها بما يخرج عن المألوف، انتقل كلامه من السِّمة الإخبارية إلى السِّمة الإنشائية."[3]

إن آلية التَّقديم والتَّأخير لا تقوم على مجرَّد خرق الرُّتب، وإعادة ترتيب مواقع الألفاظ؛ إذ من الخطأ اعتبارها مجرَّد تصرُّف اعتباطي في بنية التركيب، ونظم الكلام بكسر النَّسق اللُّغوي المألوف، وإنما هي تقنية أسلوبية يعتمدها منشئ الخطاب بتعديل فني في البناء اللّغوي لإثرائه بالالتفاتات الدّلالية، وينظر إلى ذلك " على أن أهم العناصر الخاصة بالقول الجمالي هو أنَّه يكسر

[1] – دلائل الإعجاز في علم المعاني. الجرجاني، عبد القاهر. تع: محمود محمَّد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، (د.ط)؛ 2000م، ص: 106 .

[2] – ينظر: الأسلوبية الرؤية و التطبيق. يوسف أبو العدوس. دار المسيرة للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط1؛ 1427 هـ ، 2007 م، ص: 191 .

[3] – الأسلوبية و الأسلوب. عبد السلام المسدي. الدار العربية للكتاب، تونس، ط3، (د.ت)، ص: 163 .

نظام الإمكانات اللُّغوية الذي يهدف إلى نقل المعاني العادية، ويهدف هذا الكسر بالذات إلى زيادة عدد الدلالات الممكنة."[1]

إذا هذه الآلية تشكِّل خرقا للنِّظام الثَّابت، وانزياحا عن المعتاد في التَّركيب، ويتأتَّى ذلك الخرق في أحوال كثيرة : كتقديم الخبر عن المبتدأ، والمفعول به عن الفاعل، وتقديم الظرف والجار والمجرور... وهكذا؛ لذلك " ينبغي اعتباره حركية فاعلة تفيد انتقال، وتحوُّل الكلام ممَّا كان عليه في تصوّر السّامع إلى انتظام جديد غايته الجذب بقصد تنبيه إدراك المتلقِّي، وتهيئة حواسه بخرق قيمه التقبليّة نحو توقُّعات غير منتظرة... "[2]

وأنتقل من ميدان التَّنظير إلى ميدان التَّطبيق لأقف عند بعض النَّماذج التي اعتمدت آلية خرق معيارية الترتيب، من خلال العديد من القراءات الإسقاطية، والتي تحاول في مجملها تجلية الإشكاليات الدَّلالية التي تثيرها النُّصوص المختلفة؛ فحين يعمد الخطاب القرآني إلى هذا الضَّرب من الخرق إنَّما يستهدف التَّركيز على جملة من المعاني الإضافية. فالنظام النحوي في ترتيبه المثالي قد تطرأ عليه تغيُّرات تمسُّ عناصر الإسناد، إذ يقدم عنصرا أو يؤخر آخر.

[1] – نظرية البنائية في النقد الأدبي. صلاح فضل. دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1؛ 1419هـ ، 1998م، ص: 251.

[2] – «جمالية العدول في التراث البلاغي». خيرة حمر العين. مجلة جذور، النادي الأدبي الثقافي، جدة، السعودية؛ 1424هـ ، 2003 ، مج7 ج14، ص: 247 .

1- حركيَّة التَّقديم و التَّأخير و التَّفاعل الدَّلالي:

إنَّ تغيُّر التَّركيب وخلخلته في البيان القرآني ذو أثر كبير في تحوُّلات الدَّلالة من خلال العرض المعجز لآلية التَّقديم و التَّأخير، وما تحمله من طاقات تعبيرية في الكشف عن الأسرار البلاغية والدَّلالات النَّفسيَّة ، وهي تعمل على قسمين في البيان القرآني :

الأوَّل: تقديم اللفظ على عامله [1]: كتقديم المفعول به على فعله أو فاعله، أو تقديم الخبر عن المبتدأ، والجار والمجرور عن فعلهما، ونحو ذلك لأسرار دلالية، ولطائف فنِّية، ومعانٍ نفسية.

قال تعالى:﴿**قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾ [2] فالآية تؤسّس حضورها على مرتكز الخرق التَّركيبي؛ حيث قدِّم الفعل (آمنَّا) على الجار والمجرور (به)، وقدّم الجار والمجرور الثاني (عليه) على الفعل (توكَّلنا)؛ وذلك أن " الإيمان لمّا لم يكن منحصرا في الإيمان بالله، بل لابد معه من رسله، وملائكته، وكتبه واليوم الآخر، وغيره ممَّا يتوقف صحَّة الإيمان عليه، بخلاف التوكّل فإنه لا يكون إلاّ على الله وحده لتفرّده بالقدرة، والعلم القديمين الباقيين، قدّم الجار والمجرور (فيه) ليؤذن باختصاص التوكُّل من العبد على الله دون غيره؛ لأنَّ غيره لا يملك ضرا ولا نفعا فيُتوكل عليه."[3]

---

[1]- ينظر : إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني. صلاح عبد الفتاح الخالدي. دار عمار، عمان، الأردن، ط1؛ 1421هـ 2000م، ص: 261 .

[2]- سورة الملك. الآية : 29 .

[3]- البرهان في علوم القرآن. الزركشي، بدر الدين محمَّد بن عبد الله. تح: محمَّد أبي الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر، ط3؛ 1404 هـ 1984م، ج2، ص: 414.

ومن النَّماذج الكاشفة عن الإشارات الدَّلالية النَّفسية تقدُّم الخبر عن المبتدأ. يقول تعالى: ﴿ **وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ** ﴾[1]

إنَّ المخالفة البارزة في الخلخلة التَّركيبية للجملة قد عملت على منح النص الإيحاء الحقيقي في وصف مشهد من مشاهد أهل الحشر، ورسم أبعاد الصُّورة، وذلك بتقدم الخبر (شاخصة) على المبتدأ (أبصار)، لتخصيص الأبصار بالشُّخوص الدَّال على حالة الخوف والذُّهول الشَّديدين لما رأوا " كأنها لا تتعداه إلى غيره من الحيرة ،أو الإزورار أو غيرها من الأمور التي يمكن أن تتَّصف بها الأبصار."[2]

ففي التَّقديم إشارة إلى نفي جميع الصِّفات المرئية التي قد تصيب الأبصار، و لم يبق سوى الانفتاح الدَّال على الخوف المفاجئ والذُّهول، وقد أدَّى ضمير القصة (هي) في الآية دوره في مدّ التَّركيب بالمعنى المطلوب للتأكيد على وصف انفتاح الأبصار مالا يفيده لو قيل، (فإذا أبصار الذين كفروا شاخصة).

جاء في (**المثل السائر**) : " ومن غامض هذا الموضع قوله تعالى : (واقترب الوعد الحقُّ فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا)؛ فإنه إنَّما قال ذلك و لم يقل : فإذا أبصار الذين كفروا شاخصة لأمرين : أحدهما تخصيص الأبصار بالشُّخوص دون غيرها . أما الأوَّل: فلو قال : فإذا أبصار الذين كفروا شاخصة لجاز أن يضع موضع (شاخصة) غيره فيقول : (حائرة) أو (مطموسة)، أو غير ذلك، فلمَّا قدَّم الضَّمير اختصَّ الشُّخوص بالأبصار دون غيرها، وأما الثاني : فإنَّه لَّا أراد أن الشُّخوص خاصٌّ بهم

[1] – سورة الأنبياء. الآية: 97.

[2] – بلاغة التراكيب دراسة في علم المعاني. توفيق الفيل. مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، (د.ط)؛ 1991م، ص: 131.

دون غيرهم دلّ عليه بتقديم الضَّمير أوَّلا ثم بصاحبه ثانيا، كأنَّه قال : فإذا هم شاخصون دون غيرهم ..." [1]؛ بحيث إن نقل الكلمة من موضعها يؤثر في المعنى .

وذلك من أجل أن يبعث في نفس المتلقِّي القلق القرائي، وإثارة انتباهه إلى أهميَّة ما يجيء بعد ذكر هذا الضمير (هي)؛ ذلك أنّهم "إذا أرادوا أن يذكروا جملة اسمية أو فعلية تشتمل على معنى هام، أو غرض فخم يستحق توجيه الأسماع و النفوس إليه، لم يذكروها مباشرة خالية مما يدلُّ على تلك الأهمِّية و المكانة، و إنما يقدّمون لها بضمير يسبقها، ليكون الضَّمير – بما فيه من إبهام وتركيز، ولاسيما إذا لم يسبقه مرجعه – مثيرا للشَّوق، و التطلّع إلى ما يزيل إبهامه، باعثا للرَّغبة فيما يبسط تركيزه، فتجيء الجملة بعده والنَّفس متشوِّقة لها، مقبلة عليها في حرص ورغبة فتقديم الضَّمير ليس إلاَّ تمهيدا لهذه الجملة المهمّة، فهو بمثابة رمز لها ولمحة أو إشارة توجّه إليها."[2]

وتلك معان لا تضطلع بتأديتها أيَّة لفظة أخرى، وفي تقديمها دليل على تواجد تعاضد بين المفردات ووظائفها النحوية، وإنَّ هذا التَّلاحم هو " تفاعل بين العناصر النَّحوية و العناصر الدَّلالية، فكما يمدُّ العنصر النَّحوي العنصر الدَّلالي بالمعنى الأساسي في الجملة الذي يساعد على تمييزه وتحديده، يمدُّ العنصر الدَّلالي العنصر النَّحوي كذلك ببعض الجوانب التي تساعد على تحديده وتمييزه، فبين الجانبين أخذ وعطاء، وتبادل تأثيريٌّ مستمر."[3]

ومن هذا الباب قوله تعالى : ﴿...**وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ**...﴾[4]، حيث قدّم الخبر (مانعتهم)، وأخّر المبتدأ (حصونهم)، وكان أصل التعبير : (وظنوا أنَّ حصونهم مانعتهم من الله)، والأولى بحسب ما تقرِّره معيارية القواعد أن يكون المقدَّم في مثل هذا البناء الاسم؛ لأنه مسند

---

[1] – المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر. ابن الأثير، ضياء الدين. تقديم وتعليق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة. دار نهضة مصر للطباعة و النشر، القاهرة ، مصر، ط2؛ 1973، ج2، ص: 216 .

[2] – النَّحو الوافي. عباس حسن. دار المعارف، مصر، ط3، (د.تا)، ج1، ص: 250 .

[3] – النَّحو و الدَّلالة (مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي). محمَّد حماسة عبد اللطيف، دار الشروق ، ط1 ، 1420 هـ، 2000م، ص: 113

[4] – سورة الحشر. الآية : 02 .

إليه أو محكوم عليه، ويكون المؤخَّر أي الخبر هو الوصف؛ لأنَّه مسند أو محكوم به؛ ذلك أنَّ " الجملة العربية لا تتميز بحتمية في ترتيب أجزائها."[1]

ولكن بناء الآية الكريمة عدل عن ذلك إلى الصُّورة التي هو عليها لمرجح بلاغيٍّ، وسرٍّ دلاليٍّ بياني؛ لأنهم كانوا يظنُّون أنَّ المانعة لهم من الله الحصون، فقدَّموا ما هو أهم بمحل التَّقديم في استحضار ظنّهم من أهمية المنعة على أهمية جهتها في أيِّ صورة كانت، وفي هذا الخرق التَّركيبي الموضعي دليل على فرط اعتقاد يهود بني النظير الجازم بحصونهم التي تحول بينهم، وبين بأس المسلمين، ووثوقهم بالوسائل المادية المحضة متغافلين عن قوة المدد الربَّاني.

وقد كان **الزَّمخشري** أكثر نفاذا إلى أغوار النَّص بقوله : " فإن قلت : أيُّ فرق بين قولك : وظنُّوا أنَّ حصونهم تمنعهم أو مانعتهم، وبين النَّظم الذي جاء عليه؟، قلت : في تقديم الخبر على المبتدأ دليل على فرط وثوقهم بحصانتها ومنعها إياهم، وفي تصيير ضميرهم اسما لـ (أنّ)،وإسناد الجملة إليه : دليل على اعتقادهم في أنفسهم أنهم في عزَّة ومنعة، لا يبالي معها بأحد يتعرض لهم أو يطمع في معازهم، وليس ذلك في قولك : وظنُّوا أن حصونهم تمنعهم."[2]

وذهب **الطَّاهر بن عاشور** (ت : **1393هـ**) إلى القول أنَّ : "في تقديم (مانعتهم) وهو وصف على (حصونهم) وهو اسم، و الاسم بحسب الظاهر أولى بأن يجعل في مرتبة المبتدأ، ويجعل الوصف خبرا عنه، فعدل عن ذلك إشارة إلى أهمِّية منعة الحصون عند ظنهم، فهي بمحل التَّقديم في استحضار ظنِّهم، ولا عبرة بجواز جعل حصونهم فاعلا باسم الفاعل وهو مانعتهم بناء على أنَّه

[1] – البلاغة و الأسلوبية. محمَّد عبد المطلب. ص: 329.

[2] – الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل. الزمخشري، جار الله بن القاسم محمود بن عمر. تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود و آخرون. ج6، ص: 74 .

معتمد على مسند إليه؛ لأنَّ محامل الكلام البليغ تجري على وجوه التصرُّف في دقائق المعاني فيصير الجائز مرجوحا."[1]

وقد تتعدَّد التأويلات للتَّركيب الواحد بفعل هذا الخرق للرُّتبة، كقوله تعالى: ﴿ **فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى** ﴾[2]، فيحقِّق التَّقديم فائدتين إحداهما صوتية والأخرى دلاليَّة نفسيَّة؛ حيث أن تقديم الجار والمجرور، والمفعول (في نفسه خيفة) على الفاعل (موسى) حافظ على التَّوازن الصوتي العام، وعلى الانسجام الموسيقي الخاص برعاية الفاصلة، عندما نوازن بين الآية، وبين أصل التعبير قبل الخرق، وهو: (فأوجس موسى خيفة في نفسه) . قالوا: " فأنه لو أخر (في نفسه) عن موسى فات تناسب الفواصل؛ لأنَّ قبله ﴿ **يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى** ﴾[3]، وبعده ﴿ **قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَى** ﴾[4]"[5]

جاء في (**الكشَّاف**): " كان ذلك لطبع الجبلّة البشريَّة وأنَّه لا يكاد يمكن الخلو من مثله وقيل: خاف أن يخالج الناس شكّ فلا يتبعوه." [6]؛ فالآية قدَّمت ضمير الفاعل في قوله (في نفسه) والضَّمير يعود على متأخر في اللَّفظ (موسى) .

وقيل: " خاف – عليه السلام– من أن يعرض للناس، ويختلج في خواطرهم شكّ وشبهة في معجزة العصا لما رأوا من عصيّهم، وإضمار خوفه عليه السَّلام من ذلك لئلاَّ تقوى نفوسهم إذا ظهر لهم فيؤدِّي إلى عدم اتباعهم."[1]

---

[1] – التَّحرير و التَّنوير. ابن عاشور محمَّد الطاهر. الدَّار التونسية للنشر، تونس، (د.ط)؛ 1984م، ج28، ص: 70.

[2] – سورة طه. الآية: 67.

[3] – سورة طه.الآية: 66.

[4] – سورة طه. الآية: 68.

[5] – البرهان في علوم القرآن. الزركشي، بدر الدين محمَّد بن عبد الله. تح: محمَّد أبي الفضل إبراهيم، ج3 ، ص: 234 .

[6] – الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل. الزمخشري، جار الله بن القاسم محمود بن عمر. تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود و آخرون. ج 4 ، ص : 94 .

إن التَّقديم والتَّأخير في الآية له أثره في المعنى، وبتغيير مواقع الألفاظ (فأوجس موسى خيفة في نفسه) يكون المعنى : أن الخوف كان في أعماق نفس موسى ثم أظهره، وبصورة أخرى لو قيل: (فأوجس خيفة في نفسه) لكان المعنى أن الخوف كامن في النَّفس وهي منطوية عليه وهذا ذمٌّ لموسى – عليه السَّلام –.[2]

وعليه إنَّ " تقديم (في نفسه) مهمٌّ جدًّا في هذا الموقف؛ إذ ظهور الخوف عليه أمام الملأ من علائم الضُّعف، وعدم الثقة، وتقديمها أهمُّ من تقديم موسى؛ ذلك أنَّ الكلام معلوم أنَّه بخصوص موسى ... ، وهناك أمر آخر حسَّن تقديم (في نفسه)؛ وهو أنَّه قال قبل بدء القصة ﴿**وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى**﴾ [3]، والسرّ هو ما في النَّفس والذي أخفى من السر هو ما لم تعلمه النَّفس، و لم يصل بعد إليها وهذا كلُّه غيب، وفي الآية قال: ﴿**فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى**﴾[4]، وهذا غيب وهو من السرِّ، وقال بعدها: ﴿**قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَى**﴾ [5]، وهذا أخفى من السرّ فإن المخاطب لا يعلمه، فانظر كيف تناسقت الآية مع الآية التي تقدَّمت القصة."[6]

وفي هذا إشارة إلى الحالة النَّفسية لسيِّدنا موسى – عليه السَّلام – ، بحيث يستمدُّ التَّصوير إيحاءاته الفنية من رسم ملامح الصُّورة الحسية والصُّورة النَّفسية لموسى، وهو يرى حبال السّحرة وعصيّهم تسعى عن سحرهم، وتلقي الرّعب في قلوب المتفرِّجين، دلالة على ضخامة الحدث ووقعه الشّديد على نفسية سيِّدنا موسى – عليه السَّلام – بوصفه إنسانا يواجه موقفا صعبا، ولا يكاد قلب يخلو من هذا الهاجس في موقف التحدِّي الذي يجمع فيه حشد من الناس.

---

[1] – روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. الألوسي، محمود شكري. دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ج16، ص: 228.

[2] – ينظر : الجملة العربية تأليفها وأقسامها. السامرائي، فاضل صالح. دار الفكر، عمان، الأردن، ط2؛ 1427هـ ، 2007م، ص: 54 .

[3] – سورة طه. الآية: 07.

[4] – سورة طه. الآية: 67.

[5] – سورة طه. الآية:68.

[6] – الجملة العربية تأليفها وأقسامها. السامرائي، فاضل صالح. ص: 54.

" وهذه الخيفة العرضية التي ألمت بموسى – عليه السَّلام- من لوازم بشريته، ولا يلام عليها؛ لأنها لم تستمر طويلا، ولم تتحوَّل إلى جبن وخوف، ولم تؤد به إلى الهزيمة، ومرور الخيفة به سريعا على صورة طائف عرضيٍّ موقوت، أمر مفهوم مبرَّر؛ لأنَّه كان في مباراة كبيرة ومعركة قوة، ومن كان مكانه لا يتوجَّس خيفة، وإنما ينهار من الخوف."[1]، وبدلالة (لاَ تّخفْ إنَّكّ أنتَ الأعْلَى) تطمين لموسى – عليه السلام – بالغلبة عليهم، وفي الإتيان باسم التفضيل (الأعلى) تأكيد على ذلك الانتصار الموعود به .

وكان **الطَّاهر بن عاشور** أرهف أذنا في إصغائه لهمس السِّياق بقوله : " وزيادة (في نفسه) هنا للإشارة إلى أنها خيفة تفكّر لم يظهر أثرها على ملامحه، وإنَّما خاف موسى من أن يظهر أمر السَّحرة فيساوي ما يظهر على يديه من انقلاب عصاه ثعبانا؛ لأنَّه يكون قد ساواهم في عملهم، ويكونون قد فاقوه بالكثرة، أو خشي أن يكون الله أراد استدراج السَّحرة مُدَّة فيملي لهم بظهور غلبهم عليه، ومدّه لما تكون له العاقبة فخشي ذلك، وهذا مقام الخوف، وهو مقام جليل ..."[2]

ويستطردُ قائلا : " والدَّليل على هذا قوله تعالى: (قلناَ لاَ تخفْ إنَّكَ أنْتَ الأعلَى)، فتأكيد الجملة بحرف التَّأكيد، وتقوية تأكيدها بضمير الفصل، وبالتَّعريف في (الأعلى) دليل على أنَّ ما خَامره من الخوف إنما هو خوف ظهور السَّحرة عند العامَّة، ولو في وقت ما، وهو وإن كان موقنا بأن الله ينجز له ما أرسله لأجله لكنه لا مانع من أن يستدرج الله الكفرة مدّة قليلة لإظهار ثبات إيمان المؤمنين ..."[3]

---

[1]- مواقف الأنبياء في القرآن. صلاح عبد الفتاح الخالدي. نقلا عن : الانفعالات النفسية عند الأنبياء في القرآن الكريم. إبراهيم محمد مصطفى، رسالة ماجستير (مخطوط)، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين؛ 2009م، ص: 45، 46.

[2]- التحرير و التنوير. ابن عاشور، محمَّد الطاهر، ج16، ص: 259 .

[3]- المصدر نفسه، ج16 ، ص: 259، 260.

ومن هنا فإنَّ التَّركيب النَّحوي يسهم في تشكيل المعنى الإضافي وتكوين الصورة؛ لأنَّ " الكلمة مهما كانت تحمل ذاتيًّا من خصائص، فإنَّ التَّركيب هو الذي يزيد في تلك الخصائص أو يقلِّل منها فالعلاقات تنتج عن التركيب."[1]

وإنَّه ممَّا لاشكَّ فيه أن يكون لتغاير المبنى أثر في اختلاف المعنى، كالآيات التي تتحدث عن الموت يتمُّ فيها التحوُّل في رتبة الفاعل والمفعول؛ إذ يأتي (الموت) فاعلا مؤخَّرا، و (الميِّت) مفعولا به مقدَّما، حتى صار ذلك من اطِّرادات الخطاب القرآني.

قال تعالى: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ** ﴾[2]، وكذلك قوله سبحانه : ﴿**وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفَظَةً حَتَّىَ إِذَا جَاء أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ** ﴾[3]

ولعلَّ في هذا الخرق لمعيارية الرُّتبة إشارة إلى حقيقة نفسية مفادها : " أن الإنسان يرغب في أن يتأخر الموت، ويتمنَّى أن لا يأتيه أبدا ليستمتع بحياته. وإذا كان لابدَّ من قدومه فليتأخر ... وأنَّ الموت مؤخَّر عن شعور الإنسان وتفكيره، وقد راعى السِّياق هذه الرغبة النَّفسية البشريَّة فأخَّره في الجملة القرآنية."[4]

والملاحظ في سياقات التَّعبير القرآني التي تتحدَّث عن الموت وحالات الاحتضار أنَّه يخالف في استعمال الفعلين (حضر و جاء)؛ إذ " إنَّ تعبير (جاء الموت) يعني الموت المفاجئ الذي لا يملك الإنسان معه شيئا، أو هو السَّكتة القلبية كما يقال اليوم . أما تعبير (حضر الموت) فهو الموت البطيء الذي يملك الإنسان معه نفسه، فيستطيع أن يوصي أصحابه و أهله، وأن يدبِّر أمره، وأن يستغفر عن

[1] – في سيمياء الشعر القديم (دراسة نظرية تطبيقية). محمَّد مفتاح، دار الثقافة للنشر و التوزيع، الدَّار البيضاء، المغرب، (د.ط)؛ 1409هـ، 1989م، ص: 45 .

[2] – سورة البقرة. الآية: 180.

[3] – سورة الأنعام. الآية: 61.

[4] – لطائف قرآنية. صلاح عبد الفتاح الخالدي. دار القلم ، دمشق، سوريا، ط1؛ 1412هـ، 1996م، ص: 115.

ذنوبه، وأن يتوب إن شاء، ويعدل عن سيرته." [1] ؛ أي أنَّ " القرآن يستعمل حضور الموت مع الوصايا والأحكام، أمَّا مجيء الموت فيستعمله لذكر ما يتعلَّق بالموت، أو ما يتعلَّق بالنَّاس وأحوالهم فيه، أو فيه وفيما بعده."[2]

أما القسم الثاني: تقديم الألفاظ بعضها على بعض في غير العامل [3] ، ومن هنا تأتي فاعلية خرق معيارية الرتبة من خلال مختلف السّمات الإنزياحية التي يلجأ إليها صاحب الخطاب بكسر مثالية الأداء اللُّغوي، والتَّتابع المألوف في النِّظام بتقديم بعض الوحدات المعجميَّة، وتأخير الأخرى لتفجير طاقات النَّص الإيحائية، والتي لا يقدِّمها التَّركيب اللُّغوي في نسقه المثالي، وقد صرَّح باسكال Pascal بأنَّ " الكلمات المختلفة التَّرتيب يكون لها معنى مختلف، وأنَّ المعاني المختلفة التَّرتيب لها تأثيرات مختلفة."[4]

من ذلك قوله تعالى: ﴿**الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ...**﴾ [5] ، فلم قدمت الأنثى على الذكر ؟ ؛ لأنَّ الزنى فيهن أكثر، و"قدَّم الزَّانية على الزَّاني والسَّبب فيه أنَّ الكلام الأوَّل في حكم الزِّنا ، والأصل فيه المرأة لما يبدو منها من الإيماض والإطماع." [6]

ومن هذا النَّوع من التقديم قوله تعالى: ﴿**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [7]. قدّم السارق على السارقة؛ لأنَّ السَّرقة في الذُّكور أكثر، و"لأنَّ تقديم السَّارق على السَّارقة يدلُّ على أنَّ الذَّكر أجرأ عليها من الأنثى، ومنه إذا اتهم ذكر وأنثى

---

[1] – التَّطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم (دراسة دلالية مقارنة). عودة خليل أبو عودة. مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط1؛ 1405هـ ،1985م، ص: 346 .

[2] – أسئلة بيانية في القرآن الكريم. السامرائي، فاضل صالح. مكتبة الصحابة، الإمارات، ط1؛ 1429هـ، 2008م، ص: 193.

[3] – ينظر: إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني. صلاح عبد الفتاح الخالدي. ص: 261 .

[4] – نظرية اللُّغة في النقد العربي. عبد الحكيم راضي. المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1؛ 2003، ص: 218.

[5] – سورة النور.الآية: 02 .

[6] – حاشية ابن المنير على الكشاف. نقلا عن: التعبير القرآني. السامرائي، فاضل صالح. دار عمار، عمان، الأردن، ط4؛ 1427هـ، 2006م، ص: 59.

[7] – سورة المائدة. الآية: 38.

في سرقة، و لم توجد الأدلَّة التي تثبت التُّهمة على أحدهما، كان هذا التَّقديم دليلا يستأنس به على اهام الذَّكر وتبرئة الأنثى." [1]

و من دقَّة التَّعبير القرآني أنَّه يضع الألفاظ في مواضعها بدقَّة عجيبة مراعاة لسياق الكلام والاتِّساق العام في التَّعبير إثباتا لإعجازه، فقد يكون التقديم والتَّأخير حسب القدم والأولوية في الوجود والأسبقيَّة، وقد يكون بحسب الفضل والشَّرف، وقد يكون بحسب الرُّتبة، أو الكثرة والقلَّة... وهكذا. [2]

يأخذ الكلام بعضه برقاب بعض، وتعمل آلية خرق معيارية التَّرتيب على فكِّ شفرة الخطاب بين المرسل والرسل إليه، من خلال فهم المثيرات الدَّلالية التي يومئ إليها هذا الخرق في إطار فاعلية السِّياق، والنَّاظر لأسلوب التَّقديم والتَّأخير في القرآن الكريم يجده فنًّا رفيعا " يعرفه أهل البصر بالتَّعبير والذين أوتوا حظاً من معرفة مواقع الكلام، وليس ادِّعاء يدَّعى أو كلمة تقال، وقد بلغ القرآن الكريم في هذا الفنِّ – كما في غيره – الذّروة في وضع الكلمات الوضع الذي تستحقُّه في التَّعبير بحيث تستقرُّ في مكانها المناسب، و لم يكتف القرآن الكريم في وضع اللَّفظة بمراعاة السِّياق الذي وردت فيه، بل راعى جميع المواضع التي وردت فيها اللَّفظة، ونظر إليها نظرة واحدة شاملة في القرآن الكريم كلِّه، فنرى التَّعبير متَّسقا متناسقا مع غيره من التَّعبيرات كأنَّه لوحة فنِّية واحدة مكتملة متكاملة." [3]

فكان أداة فعَّالة لخلق هذا الأسلوب المعجز، فهو من أهم القرائن الدَّالة على مراد المتكلم وله أثره الكبير في الكشف عن دلالة الألفاظ، والتَّراكيب وهي في صورتها التَّركيبية، وهو الذي يسهم بشكل جاد في تأطير القراءة، للكشف عن الدَّلالات التي تقف وراء تشكيل تلك العلاقات بين العناصر اللُّغوية الدَّالة، واستنطاق المستوى التَّركيبي، " وكثيرا ما يكون المعنى محكوما

[1] – «أثر القراءة الافتراضية في التَّخريجات النَّحوية دراسة في التراث». أحمد عرابي.مجلة جذور، النادي الأدبي الثقافي، جدة، السعودية؛ 1431هـ ، 2010 م، مج 12، ج30، ص: 55.

[2] – ينظر: إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني. صلاح عبد الفتاح الخالدي. ص:262 .

[3] – التعبير القرآني. السامرائي، فاضل صالح. ص: 53 .

بالصِّلة بين الكلمات، وأهمِّية المعنى تأتي من أهمِّية موقع الكلمة، وتحريك الكلمة أفقيًّا إلى الأمام أو إلى الخلف يساعد مساعدة بالغة في الخـــروج باللُّغة من طابعها النَّفعي إلى طابعها الإبداعي."[1]

وتلعب جمالية التَّقديم والتَّأخير القرآني دورا كبيرا في كشف النِّقاب عن المراد خاصَّة بتقـــديم لفظة في مكان، وتأخيرها في مكان آخر، و" التي تتجاوز مجرَّد انخراق الأصول إلى ابتداع مـــستويات من التَّركيب تجدّد تجربة المتلقِّي بالنص ونسيجه المستحدث، وتنشئ بين الكلمات ألفة جديدة تنقلها من سياقها التَّركيبي المألوف إلى سياق مغاير يتمُّ فيه إعادة انتظام الجمل بشكل يلفت القارئ."[2]

وممَّا جاء في هذا المدار قوله تعالى: ﴿ **وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِـــرَةٌ مِّـــنَ اللّـــهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لإِلَى اللهِ تُحْشَرُونَ** ﴾[3]، والملاحظ في الآيـــة الأولى تقديم القتل على الموت، بينما في الآية الثَّانية تقديم الموت على القتل، فما سرُّ ذلك ؟

" سبب ذلك – والله أعلم – أنه لما ذكر في الآية الأولى (في سبيل الله) وهو الجهاد قدَّم القتـــل إذ هو المناسب؛ لأنَّ الجهاد مظنَّة القتل، ثم هو الأفضل أيضا ولذا ختمها بقوله: (لمغـــــفرة مـــن الله ورحمة)، فهذا جزاء الشَّهيد ومن مات في سبيل الله، ولما لم يقل في الثانية: (في سبيل الله) قدَّم الموت على القتل؛ لأنَّه الحالة الطبيعية في غير الجهاد، ثم ختمها بقوله: (لإلى الله تحشرون)،إذ الميِّت والمقتول كلاهما يحشره الله إليه... ، وقال في خاتمة الشهيد: (لمغفِرةٌ منَ اللهِ ورَحمةٌ خيرٌ ممَّا يجمّعُون) فوضـــع كلَّ لفظة الوضع الذي يقتضيه السيَّاق."[4]

أيّ : " قدَّم القـــتل على الموت لأنَّه أكثر ثوابا و أعظم عند الله تعالى، فتـــــرتّب المغـــــفرة والرَّحمة عليه أقوى، وعكس في قوله سبحانه : (وَلئِنْ متُّم أو قُتِلتُم لإلىَ اللهِ تحشَرُون)؛ لأنَّ المـــوت أكثر من القتل، وهما مستويان في الحشر."[1]

---

[1]- جدلية الإفراد و التَّركيب في النقد العربي القديم. محمَّد عبد المطلب. ص: 161، 162.

[2]- « جماليات العدول في التراث البلاغي ». خيرة حمر العين. ص: 242.

[3]- سورة آل عمران. الآيتان: 157 ، 158.

[4]- التعبير القرآني. السامرائي، فاضل صالح. ص: 62، 63 .

أو أنَّ تقديم القتل هنا – يعني الآية الأولى –؛ لأنَّه الأشرف الأهمُّ، ثم قدَّم الموت في الآية الثَّانية؛ لأنَّها آية وعظ بأهوال الحشر و الآخرة، وبالمقابل تزهيد في الحياة الدُّنيا، وتحقير لأمرها ومن ثمَّ الحضُّ على طلب الشَّهادة، فالحشر لا بدَّ منه، فالأولى أن يأتيه المرء وهو شهيد.[2]

وقد يكون خرق معيارية التَّرتيب ليس في آيتين تبعا، وإنَّما يكون في موضعين متباعدين كقوله تعالى: ﴿ **وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ** ﴾[3] ، وقوله: ﴿ **وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾[4]

الملاحظ في (آل عمران): (ولتَطْمئِنَّ قلُوبُكُم بِه)، وفي (الأنفال): (ولِتطْمَئِنَّ بِه قُلُوبُكُم)، فما السر الدَّلالي في ذلك ؟ وماسبب المخالفة في التعبير؟، ومقصود الآيتين واحد من حيث المعنى وهما لأهل بدر ؟

وبيان ذلك : أنَّ آية (آل عمران) بيَّن أنَّ قلوبهم هي المطمئنَّة بذلك فقال: (ولتطمَئنَّ قُلوبُكم به)، فقدِّمت القلوب على المجرور اعتناء وبشارة ليمتاز أهلها ممن ليس لهم نصيب، وجاء بضمير خطابهم متَّصلا بلام الجر المقتضية الاستحقاق فقال : (بشرّى لكُم) . أمَّا آية (الأنفال) فقدّم قبلها أوعاد جليلة عليَّة، فناسبها تأكيد الوصفين من قدرته – عزَّ وجلَّ– على كل شيء وحكمته في أفعاله ، فقال: (إن الله عزيز حكيم)، بخلاف آية (آل عمران) لم يقع فيها إفصاح بالوعود فوردت الصِّفتان تابعتين دون تأكيد، ونجد السِّياق يذكر حال خوف الصَّحابة واستغاثتهم بربِّهم فلمَّا تعلَّقت

[1] – دلالات التقديم و التأخير في القرآن الكريم (دراسة تحليلية). منير محمود المسيري. مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط1؛ 1426هـ ، 2005 م، ص: 279، 289.

[2] – ينظر: المرجع نفسه ، ص: 280.

[3] – سورة آل عمران. الآية: 126.

[4] – سورة الأنفال. الآية: 10.

قلوبهم بالنَّصر، وانتظروا المددَ والغوث من الله تقدّم الضمير (به)؛ لأنَّهم كانوا في انتظاره.[1]

وإلى مثل هذا التَّخريج الدَّلالي أشار فاضل صالح السَّامرائي بقوله:" أنَّه لَمَّا كان المقام في (الأنفال) مقام الانتصار، وإبراز دور الإمداد الربَّاني قدّم (به) على القلوب والضّمير يعود على الإمداد، ولما كان المقام في (آل عمران) هو الطَّمأنة وتسكين القلوب قدّمها على الإمداد فقال: (ولتَطْمَئِنَّ قلُوبُكُم به)، وزاد كلمة (لَكُم) فقال: (ومّا جَعلَهُ اللهُ إلاَّ بُشْرَى لَكُم) زيادة في المواساة والمسح على القلوب فجعل كلاًّ في مقامه." [2]

ومن هذا القبيل قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ والصَّابِئُون وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وعَمِلَ صَالِحاً فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾[3]، و قوله عز وجل : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ [4]

إنَّ القراءة المتأنية للآيتين الكريمتين تكشف عن انحرافات تركيبيَّة و تحوُّلاتٍ رتبيَّة؛ حيث تقدَّم ذكر الصَّابئينَ على النَّصارى في (المائدة)، بينما تأخَّر ذكرهم في (البقرة).

علّل **الزّمخشري** الفائدة من التَّقديم بقوله : " فائدته التَّنبيه على أن الصَّابئين يتابُ عليهم إن صحَّ منهم الإيمان، والعمل الصالح، فما الظنُّ بغيرهم؛ وذلك أنَّ الصَّابئينَ أبينُ هؤلاء المعدودين ضلالا وأشدُّهم غيّا، وما سمّوا صابئين إلاَّ لأنهم صبئوا عن الأديان كلّها، أي خرجوا."[5]

---

[1]- ينظر: ملاك التأويل.الغرناطي، ابن الزبير. تح: سعيد الفلاح. دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1؛ 1403هـ ، 1983م، ج1، ص: 314 ، 315 .

[2]- التعبير القرآني. السامرائي، فاضل صالح. ص:72 .

[3]- سورة المائدة. الآية: 69 .

[4]- سورة البقرة. الآية: 62.

[5]- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل. الزمخشري، جار الله بن القاسم محمود بن عمر. تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود و آخرون. ج 2، ص:273 .

وقيل: " لأنَّ النَّصارى مقدَّمون على الصَّابئين في الرّتبة؛ لأنَّهم أهل كتاب فقدَّمهم في (البقرة)، والصَّابئونَ مقدَّمون على النّصارى في الزّمان؛ لأنَّهم كانوا قبلهم في الحج، وراعى في (المائدة) المعنيين فقدّمهم في اللّفظ، وأخّرهم في التقدير؛ لأنَّ تقديره : و الصَّابئون كذلك ... فتأمل فيها وفي أمثالها يظهر لك إعجاز القرآن."[1]

وذهب **الغرناطي** (ت: **708 هـ**) إلى ذكر سبب تأخير (الصَّابئين) في آية (البقرة)؛ ذلك أنَّهم ليسوا أهل كتاب مقارنة مع باقي الأصناف التي ذكرتهم الآية باعتبارهم أهل كتاب، ولمكانة المؤمنين وشرفهم، بينما لم يقدَّم ذكرهم على اليهود؛ لأنَّ اليهود كان يفترض بهم أن يكونوا أوَّل الرّعيل في الاستجابة . أما النَّصارى فهم أقرب إلى الصَّابئين من حيث التثليث.[2]

وارتأى **السّامرائي** أنّ الكلام فيما بعد آية المائدة على :" ذمِّ عقيدة النَّصارى وتسفيه عقيدة التَّثليث، فكأنَّ النّصارى لم يؤمنوا بالله حقا، وإنما هم من صنف المشركين ... فقدَّم الصَّابئين عليهم وهو المناسب للمقام، وليس نحو هذا الأمر موجودا في آية البقرة، فجرت الآية على نسق واحد، فأخّر الصَّابئين وجعلهم في مكانهم بعد الملل."[3] ، فلاحظ كيف فتحت آلية خرق الرتبة النصَّ على عدة قراءات، وأسهمت في التَّفاعل الدَّلالي، وإغناء التحوُّلات التَّركيبية، وأنَّ طريقة الأداء التعبيري هي التي تمدُّ النصَّ فاعليته، ومن ثمَّ فإنَّ اختلاف الأداء يؤدِّي إلى اختلاف المعنى.

2- خرق الرُّتبة بين القاعدة الشَّرعية و القاعدة النَّحويَّة:

إن المتأمِّل في الخطاب القرآني يجد بعض الآيات في ظاهرها تبدو متصادمة من حيث تركيبها اللُّغوي، والتي تثير إشكاليات دلالية مع الواقع الشَّرعي، من ذلك قوله تعالى: ﴿ **فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ**

[1] - دلالات التقديم و التأخير في القرآن الكريم (دراسة تحليلية). محمود منير المسيري. ص: 207.

[2] - ينظر: ملاك التأويل. الغرناطي، ابن الزبير. ج1، ص: 220.

[3] - معاني النحو. السامرائي، فاضل صالح. دار الفكر، عمان، الأردن، ط4، 1430هـ ، 2009م، ج1، ص: 317 ، 318.

فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾[1]، والملاحظ بدلالة الظَّاهر أنَّ القراءة مقدمة على الاستعاذة وقد أخذ بظاهر الآية جمع من الصحابة.[2]

جاء في (**روح المعاني**):" أي : إذا أردت قراءة القرآن فاسأله -عزّ جاره- أن يعيذك من وساوس الشيطان الرّجيم كيلا يوسوسك في القراءة."[3]، فتكون الاستعاذة بذلك من جملة الأعمال الصَّالحة، لذلك استلزم منه أن يأتي بالاستعاذة أولا طردا لوساوس الشيطان.

قال **الرَّازي** :" الفاء في قوله (فاستعذ بالله) للتَّعقيب، فظاهر هذه الآية يدل على أنَّ الاستعاذة بعد قراءة القرآن، وإليه ذهب جماعة من الصَّحابة و التَّابعين ... و الفائدة فيه أنَّه إذا قرأ القرآن استحقَّ به ثوابا عظيما، فإن لم يأت بالاستعاذة وقعت الوسوسة في قلبه، وتلك الوسوسة تحبط ثواب القراءة . أما إذا استعاذ بعد القراءة اندفعت الوساوس وبقي الثَّواب مصونا عن الإحباط. أمَّا الأكثرون من علماء الصَّحابة والتَّابعين فقد اتَّفقوا على أنَّ الاستعاذة مقدَّمة على القراءة، وقالوا: معنى الآية: إذا أردت أن تقرأ القرآن فاستعذ، وليس معناه استعذ بعد القراءة... ونظيره قوله تعالى: ﴿...**إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ**...﴾[4] أي إذا أردتم القيام إلى الصَّلاة فاغسلوا."[5]

والملاحظ من خلال هذه القراءة أنَّ المؤوِّل يلجأ إلى تقدير محذوف في الآية (إذا أردت أن تقرأ القرآن فاستعذ)، حتى يستقيم المعنى ولا يتعارض مع تظافر الرّوايات على أنه – صلى الله عليه وسلم – كان يستعيذ قبل القراءة، ومع الواقع الشرعي.

---

[1]- سورة النحل. الآية: 98.

[2]- ينظر: التفسير الكبير. الرازي، فخر الدين. ج20، ص: 116.

[3]- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. الألوسي، محمود شكري. ج 14، ص: 228 .

[4]- سورة المائدة. الآية: 06 .

[5]- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. الألوسي، محمود شكري. ج 20، ص: 116.

"وهذا خرق لمعيارية التَّرتيب بين الشَّرط وجزائه، واعتمد هذا الخرق على الطَّريقة الشَّرعية والعقلية، والتي تعني أن تكون الاستعاذة قبل البدء في القراءة، ولعلَّه من الواضح أن نفهم الجزاء لاحقا للشَّرط في الزَّمان مهمٌّ في بعض الآيات؛ لأنَّه تقوم عليه أصول تشريعية، ويفهم من هذا أنَّ الأصل في الفاء الواقعة في جواب الشَّرط أن تفيد التَّرتيب في الزَّمان، إلاَّ إذا قامت في السِّياق قرينة تفيد غير الترتيب، وعليه فإني أقول: إن الترتيب في هذه الفاء ظاهرة سياقية؛ أي أنَّ السِّياق هو الذي يحدِّد دلالتها على هذا المعنى أو ذاك، فدلالتها كدلالة اللَّفظ المعجمي تماما." [1]

ومن هذا الباب قوله تعالى : ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾ [2]، قدَّم التعبير العبادة على الاستعانة، في حين أن الواقع الشرعي يؤكد على تقديم الاستعانة على العبادة .

جاء في (**بدائع التفسير**) : " وتقديم (العبادة) على (الاستعانة) في الفاتحة من باب تقديم الغايات على الوسائل؛ إذ العبادة غاية العباد التي خلقوا لها، و الاستعانة وسيلة إليها؛ ولأن (إيَّاكَ نعبدُ) متعلِّق بألوهيته و اسمه الله، و (إيَّاكَ نَستَعِين) متعلِّق بربوبيته و اسمه الربّ، فقدَّم (إيَّاكَ نَعْبدُ) على (إيّاك نَستَعِين) كما تقدَّم اسم الله على الربِّ في أوَّل السورة ... ؛ ولأنَّ العبادة المطلقة تتضمَّن الاستعانة من غير عكس ... ؛ ولأنَّ العبادة حقه الذي أوجبه عليك والاستعانة طلب العون على العبادة ..." [3]

---

[1] – أثر التَّخريجات الدَّلالية في فقه الخطاب القرآني. عرابي أحمد. ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، ط4؛ 2010، ص: 59، 60.

[2] – سورة الفاتحة. الآية: 5.

[3] – بدائع التَّفسير الجامع لما فسَّره الإمام ابن قيم الجوزية. ابن قيم الجوزية. جمع: يسري السيد محمَّد، ومراجعة: صالح أحمد الشامي. دار ابن الجوزي للنشر و التوزيع، السعودية، ط1؛ 1427هـ ، ج1، ص: 44 .

ويضيف **الألوسي** (ت :**1270 هـ**) وجها آخر للتَّقديم وهو التَّقديم لسبق الوجود، فيقول : "... وتقديم ما هو مقدَّم في الوجود ، فإنَّه تعالى مقدَّم على العابد والعبادة ذاتا، فقدم وضعا ليوافق الوضع الطبع ، وتنبيه العابد من أوَّل الأمر على أن المعبود هو الله تعالى الحق، فلا يتكاسل في التَّعظيم ولا يلتفت يمينا وشمالا، والاهتمام فإنَّ ذكره تعالى أهمُّ للمؤمنين في كلِّ حال لا سيما حال العبادة؛ لأنَّها محل وساوس الشَّيطان من الغفلة والكسل والبطالة."[1]

وقوله سبحانه : ﴿ ... **مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ** ... ﴾[2]، قدَّم الوصيَّة على الدَّين مع أن الدَّين مقدم عليها .

يقول **الزمخشري** : " فإن قلت : لم قُدمت الوصية على الدَّين، والدَّين مقدم عليها في الشريعة ؟ قلت : لما كانت الوصية مشبهة للميراث في كونها مأخوذة من غير عوض، كان إخراجها مما يشقُّ على الورثة، ويتعاظمهم، ولا تطيب أنفسهم بها، فكان أداؤها مظنَّة للتَّفريط بخلاف الدَّين فإنَّ نفوسهم مطمئنَّة إلى أدائه، فلذلك قدّمت على الدَّين بعثا على وجوبها والمسارعة إلى إخراجها مع الدَّين، ولذلك جيء بكلمة (أو) للتَّسوية بينهما في الوجوب."[3]

ويعلِّل الدَّارس **محمَّد منير المسيري** سبب تقديم ذكر الوصية على ذكر الدّين، و الدّين مقدم عليها بإجماع، فيقول : " قدمَّها لكثرة وجودها ووقوعها فصارت كاللاَّزم لكلِّ ميِّت مع نص الشّرع عليها، وأخّر الدَّين لشذوذه، فإنَّه قد يكون وقد لا يكون، فبدأ بذكر الذي لا بدَّ منه وعطف بالذي

[1]- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. الألوسي، محمود شكري، ج1، ص: 87 .

[2]- سورة النساء. الاية: 11.

[3]- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل. الزمخشري، جار الله بن القاسم محمود بن عمر. تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود و آخرون. ج 2 ، ص: 36 ، 37.

يقع أحيانا، ويقوي هذا العطف بـــ (أو)، ولو كان الدَّين راتبا لكان العطف بالواو ... إنَّما قـــدِّمت الوصيَّة إذ هي حظ مساكين وضعفاء، وأخّر الدَّين إذ هو حظ غريم يطلبه بقوة وسلطان ولـــه فيـــه مقال."[1]

إنَّ هذه القراءات الإسقاطية للنُّصوص الدّينية لما تطرحه من إشكاليات دلالية " تبـــيِّن ســـبب الخرق الذي وقع في الشّرع، وكذلك الذي وقع في القاعدة النَّحوية إلاَّ أنَّ القاعدة الشَّرعية هي التي أثارت أنَّ في الجملة تقديما للمتأخر وتأخيرا للمتقدِّم، وفيه تنبيهات دلالية على أن الـــدَّين مـــضمون الأداء؛ لأنَّ الشَّـــرع يضمنه لصاحبه وهو حيٌّ يطالب به . أمَّا الوصيَّة فـــإنَّ صاحـــبها قد مـــات، وتنفيذها مشكوك فيه فعدمت لذلك."[2]، ومن هنا تبيَّن أهمية القاعدة الشَّرعية في فهـــم المـــثيرات الدَّلالية التي تطرحها القاعدة النَّحويَّة.

3- الخرق التَّركيبي و عقيدة المؤوّل:

يمتلك القرآن الكريم نمطا تعبيريًّا، وأسلوبا خاصًّا به يتجاوز به اللُّغة البشرية، فهو يستعين بعدد من الآليات اللُّغوية، ويتَّخذ من الانحرافات الموضعية، والمعجمية، والتّركيبية، والدّلالية طابعا يـــستمدُّ منه إعجازه، ويستثمر آلية خرق معيارية الرتبة ليثير المتلقي من جهة، ويقدم إمكانات دلالية متنوعـــة من جهة أخرى، ويغني التَّركيب اللّغوي من جهة ثالثة، مما يجعل النص القرآني أكثر حيويَّة، ويبعث في نفس المتلقي الهمّة للوصول إلى الدَّلالات الكامنة وراء هذا الخرق فتنشأ بذلك عدة قـــراءات للـــنَّص الواحد حسب ذهنية المتلقي، وأفكاره، وعقيدته.

قال الله تعالى : ﴿ **وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّـــمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيماً** ﴾[3] . قال **الزمخشري** : " وعن إبراهيم ويحيى بن وثاب أنهما قرآ (وكلـــم اللهَ)

---

[1]- دلالات التقديم و التأخير في القرآن الكريم (دراسة تحليلية). منير محمود المسيري. ص: 286.

[2]- جدلية الفعل القرائي عند علماء التراث دراسة دلالية حول النص القرآني. عرابي أحمد. ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، ط1؛ 2010م، ص: 135،136.

[3]- سورة النِّساء. الآية: 164.

بالنصب" [1]. فتكون قراءتهما بنصب لفظ الجلالة على أنه مفعول به، ورفع موسى على أنه فاعل وبهذه القراءة ينفون نسبة الكلام إلى الله تعالى، وهذا يتناسب مع عقيدتهم الاعتزالية، فهم يفرّون من القراءة المتواترة، ويتمسّكون بقراءة شاذة لما ثبت عندهم بالدّليل العقلي أن الله منزه عن الجسمية والجهة.

يطالعنا **ابن الأنباري** (ت: **577هـ**) في هذا المدار بقوله :" تكليما، مصدر كلّم، وفعّل يجيء مصدره على التّفعيل، كرتّل ترتيلا، وقتّل تقتيلا... وفي ذكر هذا المصدر تأكيد للفعل ودليل على أنَّه كلَّمه حقيقة لا مجازا؛ لأنَّ الفعل المجازي لا يؤكَّد بالمصدر، ألا ترى أنَّه لا يقال: قال برأسه قولا، وإنما يؤكّد الفعل الحقيقي فيقال: قال بلسانه قولا."[2]

وإلى مثل هذا التَّخريج أشار **الألوسي** بقوله:" تكليما، مصدر مؤكّد رافع لاحتمال المجاز على ما ذكره غير واحد... فإذا أكّد لم يكن إلا حقيقة الكلام لا يفي بالمقصود، إذ نهاية ما فيه رفع المجاز عن الفعل في هذه المادة."[3]

إضافة إلى أنَّه جاء ذكر تكليم الله لنبيه موسى – عليه السلام – في عدَّة مواضع من الذكر الحكيم، كقوله تعالى: ﴿ **وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيّاً**﴾ [4]،وقوله أيضا: ﴿**وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ...**﴾[5]

---

[1]- الكشَّاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل. الزمخشري، جار الله بن القاسم محمود بن عمر. تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود و آخرون. ج2 ، ص: 179.

[2]- البيان في غريب إعراب القرآن ، ابن الأنباري ، أبو البركات. تح: طه عبد الحميد طه ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط ، 1400هـ ، 1980م، ج1، ص: 277.

[3]- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. الألوسي، محمود شكري. ج 6، ص: 18 .

[4]- سورة مريم. الآية: 52 .

[5]- سورة الأعراف. الآية: 143.

من هنا يتبين لنا أن الدَّلالة تستمدُّ حياتها من عملية التَّأويل الذي يعد (فن قراءة)، أو فن حل النُّصوص وتفكيكها، والكشف عن معاينها، وبذلك أمست مهمة التَّأويل تقوم على الاقتراب من الهويَّة المفترضة للنصِّ للوصول إلى مكامنه، من خلال الكفاءة القرائية التي ينهض بها المتلقي للنص والباحث عن مدلولاته.

ومنه أيضا قوله تعالى : ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** ﴾ [1] ، في الآية تقديم الظرف (يومئذ) على (ناظرة) ، و تقديم الجار و المجرور (إلى ربها) على (ناظرة) .

يذهب علماء التأويل من المعتزلة والذين رأوا في آلية خرق الرتبة وسيلة يمكن بها تفسير بعض النُّصوص القرآنية، وصرف كثير من معانيها إلى ما يتفق مع آرائهم، ومعتقدهم إلى وجوب حمل الكلام على خلاف المفهوم من حقيقته لاستحالة التشبيه والتجسيم في جنب الله، ونفي الرؤية من المسائل المهمة التي كانت محطَّ اختلاف بين أهل السنة و المعتزلة، وأكتفي بعرض بعض تلك الأقوال :

قال **الزمخشري** : " والنَّاظرة من نظرة النعيم ... ، تنظر إلى ربها خالصة لا تنظر إلى غيره وهذا معنى تقديم المفعول ...، ومعلوم أنهم ينظرون إلى أشياء لا يحيط بها الحصر، ولا تدخل تحت العدد في محشر يجتمع فيه الخلائق كلّهم، فإن المؤمنين نظارة ذلك اليوم؛ لأنهم الآمنون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فاختصاصه بنظرهم إليه لو كان منظورا إليه محال ، فوجب حمله على معنى يصحُّ معه الاختصاص ..." [2]

يتبين من خلال قول **الزمخشري** (لو كان منظورا إليه)، نفي رؤية الله تعالى في الآخرة بحجة أن الرؤية تستلزم التشبيه؛ لأنها تستلزم وجود المرئي في مقابلة الرائي ، وأن يكون جسما وأن يكون

[1] – سورة القيامة . الآيتان : 22،23.

[2] – الكشَّاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل. الزمخشري، جار الله بن القاسم محمود بن عمر. تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود و آخرون. ج 6، ص: 270 .

في جهة إلى غير ذلك من الإلزامات التي جعلوها للرُّؤية، ولذلك هم ينفونها ويجعلونها من المستحيلات عقلا " وأوّلوا على أساسه كلّ التعبيرات القرآنية التي هي من هذا النوع ، وذهبوا إلى أنها كنايات، أو مجازات ، أو تمثيل لقدرة الله ، و لم يلتفتوا إلى ظاهر العبارة القرآنية التي قد توحي ببعض المعاني التي لا تتَّفق و التنزيه المطلق." [1]

ويستدلّون على نفي الرؤية بدلالة التناص القرآني ، كقوله تعالى : ﴿ **لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾[2]، وكذلك بقوله تعالى ردّا على موسى عندما طلب الرؤية فقال له:﴿...**لَن تَرَانِي وَلَـكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي**... ﴾[3]

ويتكفّل **الفخر الرازي** بالردّ على المعتزلة بقوله : " اعلم أن جمهور أهل السنة يتمسّكون بهذه الآية في إثبات أن المؤمنين يرون الله تعالى يوم القيامة . أما المعتزلة فلهم هاهنا مقامان : (أحدهما) : بيان أن ظاهره لا يدلّ على رؤية الله تعالى، و(الثاني) : بيان التأويل ... و الذي ندّعيه أنّ النظر المقرون بحرف (إلى) المعدَّى إلى الوجوه ليس إلاّ بمعنى الرؤية."[4]

ويتبعه **ابن المنيّر** (ت:**683هـ**) في الردِّ على **الزمخشري** و من نهج منهجه من المعتزلة قائلا : "ما أقصر لسانه عند هذه الآية ، فكم له يدَندنُ ويُطبِّل في جحد الرؤية، ويشقّق القباء ، ويكثر و يتعمّق، فلما فغرت هذه الآية فاه، صنع في مصادمتها بالاستدلال على أنَّه لو كان المراد الرؤية لما انحصرت بتقديم المفعول؛ لأنها حينئذ غير منحصرة على تقدير رؤية الله تعالى، وما يعلم أن المتمتّع برؤية جمال وجه الله تعالى لا يصرف عنه طرفه، ولا يؤثر عليه غيره ، ولا يعدل به عزّ وعلا منظورا سواه، وحقيق له أن يحصر رؤيته إلى من ليس كمثله شيء، ونحن نشاهد العاشق في الدنيا إذا أظفرته

---

[1]- التأويل اللُّغوي في القرآن الكريم (دراسة دلالية). حسين حامد الصالح. دار ابن حزم للطباعة و النشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1؛ 1426هـ ، 2005م، ص: 157، 158 .

[2]- سورة الأنعام. الآية : 103 .

[3]- سورة الأعراف. الآية : 143.

[4]- التفسير الكبير. الرازي، فخر الدين. ج30، ص: 226، 227، 228.

برؤية محبوبه لم يصرف عنه لحظة، و لم يؤثر عليه، فكيف بالمحب لله عزّ وجلّ إذا أحظاه النظر إلى وجهه الكريم." [1]

ويذهب **ابن الأنباري** إلى القول بأنّ :" ناضرة من النضارة بالضاد، و إلى ربها ناظرة من النظر بالبصر بالظاء، وفي هذا دليل على إثبات الرؤية؛ لأنّ النظر إذا قرن بالوجه، وعدّي بحرف الجر، دلّ على أنّه بمعنى النظر بالبصر . فقال: نظرت الرجل، إذا انتظرته، ونظرت إليه إذا أبصرته." [2]

والذي يؤكّد جواز مسألة الرؤية أنّه – صلى الله عليه وسلم – لم يثبت عنه أن نفاها بل أثبتها بأحاديث كثيرة ردًّا على أسئلة الصحابة الذين سألوه عنها، وقد مثّل رؤيتنا له – جلّ شأنه – برؤية القمر ليلة التّمام، وذلك ما رواه الإمام **البخاري**(ت:**256**هـ) في (**صحيحه**): "عن قيس بن أبي حازم، حدثنا جرير قال: " خرج علينا رسول الله – صلى الله عليه و سلّم – ليلة البدر فقال : " إنكم سترون ربّكم يوم القيامة كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته "." [3]

يتبّن من خلال ما تمّ عرضه أنّ المعتزلة تقف من الآيات الدّالة على الرؤية موقف التأويل، وهم يرفضون الاستدلال بالأحاديث النبويّة الدّالة على إمكان رؤية الله تعالى في الآخرة كونها أحاديث آحاد، وأحاديث الآحاد لا يؤخذ منها عقيدة بقصد التنزيه عن مشابهة الخلق، بحجة أن الرُّؤية تستلزم التشبيه؛ أي استلزام وجود المرئي في مقابلة الرَّائي، وأن يكون جسما، وأن يكون في جهة إلى غير ذلك من الإلزامات التي جعلوها للرؤية تحقيقا لمذهبهم العقلي ، وهذه التعدُّديَّة القرائيَّة فرضتها حركية التقديم و التأخير.

4- القيمة الدَّلالية لموقعيَّة العدد:

[1]- المسائل الإعتزالية في تفسير الكشاف. صالح بن غرم الله الغامدي. دار الأندلس للنشر و التوزيع، حائل، السعودية، ط1؛ 1418هـ 1998م، ج2 ، ص: 1063.

[2]- البيان في غريب إعراب القرآن. ابن الأنباري، أبو البركات. ج2 ، ص: 477 .

[3]- صحيح البخاري. البخاري محمَّد بن إسماعيل. دار ابن كثير، دمشق، سوريا، ط1؛ 1423هـ، 2002م ص: 1834 .

وتمتد آلية التَّقديم و التَّأخير إلى آيات العدد في التَّعبير القرآني لتفصح عن أسرار دلالية ومعـــان محدَّدة، وذلك لمدّ التَّركيب بدلالات جديدة مما يكسب التعبير حركية و روحا جديدة كتقديم ألفاظ الأعداد بعضها على بعض.

مثل قوله تعالى:﴿**وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَـــى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَـــى أَلاَّ تَعُولُـــواْ**﴾[1]، والملاحظ في التعبير انحراف الأعداد عن صيغتها الأصلية (اثنين وثلاث وأربع).

يقول **الفخر الرازي** : "(مثنى وثلاث ورباع) معناه : اثنين اثنين، وثلاثا ثلاثا، وأربعا أربعـــا ... إنها معدولة عن تكرُّرها فإنَّك لا تريد بقولك : مثنى ثنتين فقط، بل ثنتين ثنتين، فـــإذا قلـــت: جاءني اثنان أو ثلاثة كان غرضك الإخبار عن مجيء هذا العدد فقط . أما إذا قلت : جاءني القوم مثنى أفاد أن ترتيب مجيئهم وقع اثنين اثنين، فثبت أنَّه حصل في هذه الألفاظ نوعان من العدد."[2] وتقديره: " فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين، وثلاثا ثلاثا، وأربعا أربعا. فـــإن قلـــت : الذي أطلق للنَّاكح في الجمع أن يجمع بين ثنتين أو ثلاث أو أربع، فما معنى التَّكـــرير في مثنى وثلاث ورباع ؟ قلت : الخطاب للجميع فوجب التَّكرير ليصيب كلٌّ ناكح يريد الجـــمع ما أراد من العدد الذي أطلق له ... ولو أفردت لم يكن له معنى."[3]

ويرى **الزمخشري** أن اختيار العطف بحرف الواو دون (أو) لغرض بلاغي دقيق قائلا :" فـــإن قلت : فلم جاء العطف بالواو دون (أو) ؟ قلت : كما جاء بالواو في المثال الذي حـــذوته لـــــك ولو ذهبت تقول : اقتسموا هذا المال درهمين درهمين، أو ثلاثة ثلاثة، أو أربعة أربعة : أعلمت أنه لا يسوغ لهم أن يقتسموه إلاَّ على أحد أنواع هذه القسمة، وليس لهم أن يجمعوا بينهما فيجعلوا بعـــض

[1]- سورة النساء ، الآية : 03 .

[2]- التفسير الكبير. الرازي، فخر الدين. ج9 ، ص: 179، 180 .

[3]- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل. الزمخشري، جار الله بن القاسم محمود بن عمر. تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود و آخرون. ج 2، ص: 15 ، 16.

القسم على تثنية، وبعضه على تثليث، وبعضه على تربيع، وذهب معنى تجويز الجمع بين أنواع القسمة الذي دلَّت عليه الواو، وتحريره: أن الواو دلَّت على إطلاق أن يأخذ الناكحون من أرادوا نكاحها من النساء على طريق الجمع، إن شاءوا مختلفين في تلك الأعداد، وإن شاءوا متفقين فيها، محظورا عليهم ما وراء ذلك."[1]

والذي يفهم من كلام الرَّجل أنَّه " أثبت أنَّ الواو هنا أصَّلت حكما شرعيًّا لا يثبت إلاَّ بها وهو جواز الجمع بين أنواع القسمة في مجتمع المخاطبين،كلٌّ حسب رغبته إلى الحدِّ المباح لهم ولو قيل، أو للزم نوع واحد من الجمع لو اختاره رجل من القوم لزم الجميع في ذلك العصر ، وانسحب الحكم على بقيَّة العصور؛ لأنَّ (أو) تفيد التَّخيير في الحكم بخلاف الواو التي تفيد التَّشريك فيه."[2]

وشبيه به قوله تعالى : ﴿ **وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاء فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾[3]، قدّم الماشي على بطنه؛ لأنَّه أدلُّ على عظيم القدرة الإلهية، إذ هو ماش بغير الآلة المخلوقة للمشي(الأرجل)، ثم ذكر الماشي على رجلين مقدَّما على الماشي على أربع؛ لأنَّه أدخل في الاقتدار وأدلُّ على القدرة ممن يمشي على أربع لأجل كثرة آلات المشي في الأربع.[4]

قال **الزَّمخشري** : " فإن قلت : لم جاءت الأجناس الثَّلاثة على هذا الترتيب ؟ قلت : قدم ما هو أعرف في القدرة وهو الماشي بغير آلة مشي من أرجل و قوائم، ثم الماشي على رجلين ، ثم الماشي على أربع."[5]

---

[1]- المصدر نفسه، ج 2، ص: 16.

[2]- سورة النساء دراسة بلاغية تحليلية. خديجة محمد أحمد البناني. رسالة دكتوراه (مخطوط)، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية؛ 1422هـ، 2001م، ص: 157.

[3]- سورة النور. الآية:45.

[4]- ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر. ابن الأثير، ضياء الدين.ج 2، ص:225.

[5]- المصدر السابق. ج 4، ص: 312. وينظر : من بلاغة القرآن. أحمد أحمد بدوي. شركة نهضة مصر للطباعة والنشر و التوزيع مصر، (د.ط)؛ 2005م، ص: 93.

وقوله سبحانه : ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ**﴾[1] ، ودلالة التَّقديم (مثى) على (فرادى) تكمن في : " حثّهم على القيام بالنصيحة لله، وترك الهوى، مجتمعين متساويين أو منفردين متفكرين، ولا شك أن الأهم حالة الاجتماع فبدأ بها."[2] وهذه الشواهد السَّابقة الذكر خرجت فيها ألفاظ الأعداد من جمودها كما يدعي المدَّعون إلى نشر ظلال من الدَّلالات.

[1]- سورة سبأ. الآية : 46.

[2]- البرهان في علوم القرآن. الزركشي، بدر الدين محمَّد بن عبد الله. تح: محمَّد أبي الفضل إبراهيم، ج3، ص: 246.

المبحث الثَّاني:

خرق مثالية الأداء اللُّغوي:

من أبرز أشكال الخرق اللُّغوي ظاهرة الحذف الذي هو نقيض الإظهار، وهو من الظّواهر الأسلوبية الشّائعة في اللّغة العربيَّة، والبارزة في نظامها اللُّغوي لماله من تأثير في المعنى واللَّفظ، ومن أبرز عوارض التركيب في الكلام، لذلك كان في بؤرة الدَّرس النَّحوي، والبلاغي، و التَّفسيري على حد سواء .

وقد عقد له **ابن جني** (ت : **392 هـ**) في (**خصائصه**) بابا سمَّاه: (باب شجاعة العربية)؛ إذ يقول:" اعلم أن معظم ذلك إنما هو الحذف والزِّيادة، والتَّقديم والتَّأخير، والحمل على المعنى والتَّحريف..."[1]

وعدَّه **عبد القاهر الجرجاني** من اللَّطائف التي تأنس لها النَّفس ومن عوامل الإجادة والإبداع بقوله : " هو باب دقيق المسلك لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنَّك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصَّمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتمّ ما تكون بيانا إذا لم تبن..."[2]

يرى النحَّاة أن الأصل في الكلام الذكر منطلقين من قاعدة أنَّ التَّركيب اللُّغوي لابدَّ له من طرفين أساسيين هما: المسند والمسند إليه، ولا يحذف واحد منهما إلاَّ بدليل، سواء كان هذا الدَّليل صناعيًّا (تقتضيه الصناعة النَّحوية)، أو معنويا (يقتضيه المعنى) لوجود قرينة أو مرجّح دال عليه وذلك بتوجيه المتغيرات النَّحوية نحو المعنى .

---

[1] – الخصائص. ابن جني. تح: محمَّد علي النجار. الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط3؛ 1406 هـ، 1986م، ج2، ص، 360.

[2] – دلائل الإعجاز في علم المعاني. الجرجاني، عبد القاهر. ص: 146.

قال **ابن الأثير** (ت :**637 هـ**) : "والأصل في المحذوفات جميعها على اختلاف ضروبها أن يكون في الكلام ما يدلُّ على المحذوف، فإن لم يكن هناك دليل على المحذوف، فإنَّه لغو من الحديث، لا يجوز بوجه ولا سبب."[1] ، ويعرِّفه **الزركشي** (ت: **794هـ**) بقوله:"إسقاط جزء الكلام أو كلّه لدليل."[2]

وممَّا تحسن الإشارة إليه أوَّلاً هو أنَّ الحذف ظاهرة تتعدَّد مواقعها في السِّلسلة الخطيَّة للجملة اسمية كانت أو فعلية، وتتنوَّع مظاهرها من جملة إلى أخرى، و من سياق إلى آخر تبعا لملابسات هذا السِّياق أو ذاك؛ إذ هي خرق لمعيارية بنائية النِّظام اللُّغوي بإسقاط أحد عناصر التَّركيب؛ وذلك بالانحراف عن المستوى التعبيري المألوف، والخروج عن السُّنن اللُّغوية المألوفة . فالأصل في المعيار اللُّغوي ذكر عناصر الإسناد التي تحتاجها عملية التَّواصل، وهذا الأصل هو ما سمَّاه أصحاب النظريَّة التَّحويلية بالبنية العميقة التي حاولوا الوقوف عليها و الوصول إليها من خلال ما سمّوه البنية السَّطحية.[3]

إن المغزى العام لسياق الحذف هو غياب الدّوال؛ لذلك هو"ظاهرة تتصف بكونها تجلِّيا في خفاء وحضورا في غياب"[4]، وآلية الحذف وسيلة لغوية لاستنطاق طاقات التَّركيب اللُّغوي والبوح بما لم يبح به في شكله المعياري من خلال كسر قواعد الإسناد، وخروج عن السّنن المألوفة، وقد أدرك القدماء:" أنَّ بعض العناصر اللُّغوية يبرز دورها الأسلوبي بغيابها أكثر من حضورها وكانت مباحث الحذف والذِّكر هي وسيلتهم لإبراز هذا الدَّور في العمل الأدبي."[5] فتَسْتَتِرُ البِنية العميقة خلف البنية

[1] – المثل السائر في أدب الكاتب والشَّاعر. ابن الأثير، ضياء الدين. ج2، ص: 268.

[2] – البرهان في علوم القرآن. الزركشي، بدر الدين محمَّد بن عبد الله. تح: محمَّد أبي الفضل إبراهيم، ج: 03، ص: 102.

[3] – ينظر: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي. طاهر سليمان حمودة. الدار الجامعية للطباعة و النشر والتوزيع، الإسكندرية ، مصر، (د.ط)؛ 1998م، ص: 17.

[4] – « ظاهرة الحذف في النحو العربي ». بوشعيب برامو. مجلة عالم الفكر ، وزارة الإعلام، الكويت؛ 2006م، (ع03)، مج31، ص: 43.

[5] – جدلية الإفراد والتركيب في النَّقد العربي القديم. محمَّد عبد المطلب. ص: 181، 182.

السّطحية هذا من جهة، وخرق للنّمط المعرفي المعتاد عند المتلقي من جهة أخرى، مما سيعطي لهذه الآلية اللغوية قيمتها التعبيرية .

1- آلية الحذف اللُّغوي والعلاقات الحضوريَّة و الغيابيَّة:

الحذف ظاهرة تمسّ كلّ نوع من أنواع الكلام، فقد يحذف من التّركيب الحرف أو الكلمة، أو الجملة، أو يجتزئ بالحركة للدَّلالة على المحذوف حسبما يقتضيه السياق، ممَّا "يعطي للُّغة طواعية وليونة في التَّعبير عن المعنى، كما يسمح للمبدع بإدراك ذلك المتخيِّل، ونقله إلى الواقع المحسوس بيسر، ويمكّن القارئ من تلقي النص بكل إيحاءاته ودلالاته."[1] ، وهو يشكل حيِّزا واسعا في الخطاب القرآني، وأحد أوجد جماليات الأسلوب فيه حيث يأخذ أشكالا متنوعة .

ومن مظاهر الحذف في الخطاب الربَّاني حذف الحرف ، وفي حذفه دلالات بيانية تنطوي على مقدار غير يسير من اللطائف البلاغية والإشارات النفسية .كما في قوله تعالى: ﴿ **فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً** ﴾[2]. فما الفرق بين (اسطاعوا) بحذف التاء ، و (استطاعوا) بإبقائها ؟

جاء في (**ملاك التأويل**): "جيء أولا بالفعل مخفَّفا عند إرادة نفي قدرتهم على الظُّهور على السدّ والصّعود فوقه، ثمَّ جيء بأصل الفعل مستوفي الحروف عند نفي قدرتهم على نقبه، وخرقه ولا شكَّ أنَّ الظهور أسير من النَّقب، والنَّقب أشدّ عليهم وأثقل، فجيء بالفعل مخفَّفا مع الأخفِّ وجيء به تامًّا مستوفيا مع الأثقل فتناسب ... وأيضا فإنَّ الثاني في محل التَّأكيد لنفي قدرتهم على الاستيلاء على السدّ وتمكّنهم منه، فناسب ذلك الإطالة..."[3]

فـ**ابن الزبير** في تعليله يحتكم إلى مسألة الخفّة والثقل، ويربط ذلك بالمعنى؛ فالمعنى الأثقل وهو النَّقب يأتي مع اللفظ الأثقل، بينما جاء معنى الظهور، وهو الأخفُّ مع اللفظ الأخف؛ أي:"خفّف

[1]- النَّقد والإعجاز(دراسة). محمَّد تحريشي. منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سورية، (د.ط)؛ 2004م، ص: 103 .
[2]- سورة الكهف. الآية : 97.
[3]- ملاك التأويل، الغرناطي، ابن الزبير، ج2، ص: 791.

الفعل للعمل الخفيف، فحذف التاء، فقال (فمَا اسْطاعُوا أنْ يَظهرُوهُ)، وطوَّل الفعل فجاء بأطول بناء له للعمل الثَّقيل الطَّويل، فقال: (ومّا اسْتطَاعُوا لهُ نَقْبا) فحذف التاء في الصُّعود وجاء بها في النَّقب."[1]

وكذلك قوله عزّ وجلَّ : ﴿**قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْراً**﴾ [2]، وقوله في السورة نفسها:﴿... **ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً**... ﴾ [3] ، وللتعرف على سبب هذا التَّباين " نعتمد على السِّياق وحده في الكشف عن المضامين الدَّاخلية للكلمات المرتبطة بقضايا الانفعال الدَّاخلي والعاطفي، ويوضِّح لنا السِّياق الدَّلالات الإيحائية وما تحويه الكلمات من علاقات إيحائية تبرز لنا عن طريق السِّياق، و العلاقات الإيحائية التي ترتبط بألفاظ معينة في كلمات مؤثرة توحي بأكثر من مدلولها الظاهري."[4]

علَّل الإمام **الكرماني** (ت:**505**هـ) سبب المغايرة في استعمال الفعل بقوله : " قوله : (ما لم تسطع عليه صبرا) جاء في الأول على الأصل ، وفي الثاني : (تستطع عليه صبرا) على التَّخفيف لأنَّه الفرع."[5]

ذلك أن موسى – عليه السلام – قد انتابته حيرة ودهشة في قراءة وتفكيك شفرة ما قام به العبد الصالح من أعمال ظاهرها ينكره الدِّين و العقل (خرق السفينة، قتل الغلام، إقامة الجدار بدون أجر)، "وكأنه صار في همٍّ نفسيٍّ وشعوريٍّ ثقيل، ولاحظ السِّياق ذلك الهمَّ النفسيَّ الثقيل فأثبت

---

[1]- التعبير القرآني. السامرائي، فاضل صالح. ص: 75.

[2]- سورة الكهف. الآية: 78 .

[3]- سورة الكهف. الآية: 82 .

[4]- الدَّلالة السِّياقية عند اللُّغويين. عواطف كنوش المصطفى. دار السيَّاب للطباعة و النشر و التوزيع، لندن، ط1؛ 2007، ص: 228.

[5]- البرهان في توجيه متشابه القرآن. الكرماني، محمود بن حمزة. تح: عبد القادر أحمد عطا. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1؛ 1406هـ، 1986م، ص:122 .

التاء مع الفعل أوَّل مرَّة ليتفق ذلك مع الثقل النفسي الذي يعيشه موسى – عليه السلام – ...، وبعدما علّل الخضر لموسى – عليه السلام – حقيقة الأحداث والأفعال زال الهمُّ النفسي الذي سيطر عليه، و الثِّقل النَّفسي الذي عاشه، ولاحظ السِّياق زوال ذلك الثقل النفسي فحذفت التاء من الفعل (تسطع) لتشارك التَّخفيف النَّفسي عند موسى، بخفة في حروف الفعل ..."[1]

أو " لأنَّ المقامَ في الآية الأولى مقام شرح و إيضاح و تبيين، فلم يحذف من الفعل، و أمَّا الآية الأخرى فهي مقام مفارقة، و لم يتكلم بعدها بكلمة وفارقه فحذف من الفعل." [2]، وهكذا لمسنا التوسُّع في الدلالة الإيحائية لهذا الحذف المعبّر عن معنى الآية على الرغم من غيابه، وهنا تكمن الملامح الأسلوبية للآية في البنية السطحية التي هي انعكاس للبنية العميقة وتأكيد لها.

وقد يحذف حرف واحد في موطن، ويثبت في موطن آخر، في إشارة إلى تغيّر الدلالة والحالة النَّفسية . فالحذف آلية لغويَّة يتّكأ عليها الخطاب ليتعدّى أفق المتلقي بالقلق القرائي، ويستحثه للوصول إلى المسكوت عنه في النص، واستحضار (النص الغائب) أو الدَّلالة الغائبة .

فالاستعمال القرآني يدقق في ذكر الحروف وحذفها، وما توحي به من دلالات عميقة تحمل معاني الحرف المحذوف .

وإذا أردت أن ترى جلال الإعجاز انظر إلى قوله تعالى : ﴿**وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللّهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ**﴾ [3] ، وقوله: ﴿ **وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ** ﴾ [4]، فالتعبير القرآني في الآيتين يكاد يكون واحدا بحسب ظاهر النص، إلاَّ أنَّه يشتمل

[1] – لطائف قرآنية. عبد الفتاح الخالدي. ص: 54. كما ينظر له: مع قصص السابقين في القرآن. دار القلم، دمشق، سوريا، ط1؛ 1409هـ، 1989م، ص: 232، 233.

[2] – بلاغة الكلمة في التعبير القرآني. السامرائي، فاضل صالح. دار عمار، عمان، الأردن، ط4؛ 1428هـ، 2007 م، ص: 19.

[3] – سورة النحل. الآية: 127.

[4] – سورة النمل. الآية: 70.

على تباين في جانب آخر و المتمثل في ذكر وحذف بين الآيتين، ففي قوله (فَلاَّ تَكُ) بحذف النون في (النَّحل) وأبقاها في آية النمل (تّكُن)، وكلاَهما ينهيان الرَّسول-صلَّى الله عليه وسلَّم - عن الحزن على الكافرين، وعن أن يكون في ضيق مما يكيدون.

جاء في (**البرهان**): إنما " خصَّت سورة النَّحل بحذف النُّون موافقة لما قبلها، وهو قوله: ﴿ **إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾[1]،والثاني : أن هذه الآية نزلت تسلية للنَّبي – صلَّى الله عليه و سلم- حين قتل عمُّه حمزة ومُثّل به ...، فبالغ في الحذف ليكون ذلك مبالغة في التسلّي وجاء في (النّمل) على القياس؛ لأنَّ الحزن هناك دون الحزن هنا – والله أعلم –."[2]

أي:"لا يكن في صدرك أيّ ضيق مهما قلّ، وهو تطمين من الله لرسوله وتطييب له مناسب لضخامة الأمر وبالغ الحزن، أو هو من باب تخفيف الأمر وتهوينه على المخاطب، فخفّف الفعل بالحذف إشارة إلى تخفيف الأمر وتهوينه على النفس. أمَّا الآيات الثانية فهي في سياق المحاججة في الميعاد، وهو ما لا يحتاج إلى مثل هذا التصبير."[3]

وما ذكره **الكرماني** لا يعدو تعليل الحذف من وجهتين: أحدهما يتعلق بالسِّياق الدَّاخلي وهو مراعاة النسق المتبع في السورة، والآخر يتعلق بالسِّياق الخارجي (الجانب التداولي) الذي يمكن أن يفسِّر الكثير من أجزاء السِّياق اللُّغوي، وعليه يقتضي بأن يؤخذ بعين الاعتبار في تحليل النصوص السِّياق النَّفسي، والاجتماعي للخطاب.[4]

---

[1]- سورة النحل. الآية: 120.

[2]- البرهان في توجيه متشابه القرآن. الكرماني، محمود بن حمزة. تح: عبد القادر أحمد عطا، ص: 115.

[3]- معاني النحو. السامرائي، فاضل صالح. ج 1، ص: 215.

[4]- ينظر: لسانيات النَّص مدخل إلى انسجام الخطاب. محمَّد خطابي. المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1؛ 1991، ص: 47.

وهو ما سمّاه علماء البلاغة المعنى المقامي (مقتضى الحال)، والمتمثل في أسباب نزول الآية الذي دعا إلى حذف النون في الفعل (تَكُ)؛ لأنها نزلت"حين مثّل المشركون بالمسلمين يوم أحد بقروا بطونهم وقطعوا مذاكيرهم، فوقف رسول الله- صلّى الله عليه وسلّم- على حمزة وقد مثّل به، وروي: فرآه مبقور البطن، فقال: " أما والذي أحلف به، لئن أظفرني الله بهم لأمثلنّ بسبعين مكانك"، فنزلت – يقصد الآية -﴿**وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللّهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ**﴾ [1]، فكفّر عن يمينه وكفّ عمّا أراده."[2]

ونحو هذا قوله تعالى : ﴿ ... **فَلاَ تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ** ﴾[3]، وقوله : ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ** ﴾[4]، ومردّ هذا الاختلاف إلى دلالة السّياق؛ حيث " ناسب الحذف في الآية الأولى دون الثانية تثبيتا للرَّسول ونهيا له عن الرّيبة فيه؛ وذلك أنَّه طلب منه أن لا يكون في شيء من المرية أصلا، فلمَّا كان الكلام في القرآن، و في قومه ناسب الحذف هاهنا دون الثانية."[5]

وقد يحذف الحرف ويعوَّض بكسرة لسر دلالي . من ذلك قوله تعالى على لسان المتوفّى: ﴿... **لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ** ﴾[6]، وقوله على لسان إبليس: ﴿**قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَـذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً** ﴾ [1]

---

[1]- سورة النحل. الآيات : 126، 127، 128.

[2]- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل. الزمخشري، جار الله بن القاسم محمود بن عمر. تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود و آخرون. ج، 6 ، ص: 486، 487.

[3]- سورة هود. الآية: 17.

[4]- سورة السجدة. الآية: 23 .

[5]- التعبير القرآني. السامرائي، فاضل صالح. ص: 78.

[6]- سورة المنافقون. الآية: 10.

فالتعبير القرآني في الآية الأولى ذكر (أخَّرْتني) بالياء، في حين افتقرت الآية الثانية لمثل هذه الزيادة (أخَّرْتنِ) بدون ياء، حيث نلمس بوضوح القيمة الإيحائية لحذف الحرف، والسرّ في ذلك – والله أعلم –" أنَّ طلب إبليس لا يريده من أجل نفسه، ولا لأنَّه يحتاج إليه، وإنما يريده ليضلّ ذرية آدم، ثمَّ إنَّ هذا الطَّلب لا يعود عليه بنفع، ولا يدفع عنه ضرّا، وليست له مصلحة فيه، بل العكس هو الصّحيح، بخلاف الطلب الآخر؛ فإنه يريده لنفسه حقا، وأنَّه لا شيء ألزم منه لمصلحته هو ودفع الضّرر عنه."[2]، وهكذا نرى أنَّ حذف الياء من الكلمة جاء ليخدم المعنى ويكثفه والخروج عن الأصل قاد المتلقي إلى تمثّل اللُّغة الإعجازية المتولدة عن النَّص.

وشبيه بهذا قوله تعالى في قصة يوسف – عليه السلام – : ﴿ ...**قَالُواْ يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَـذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ** ﴾[3] ، وقوله في قصة موسى– عليه السلام– :﴿**قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصاً**﴾ [4] ، فالملمح الأسلوبي في هذا النص يتمثَّل في التَّركيب المنحرف عن الأصل؛وذلك في لفظة (نَبغِي) و(نّبغ)، وكان أصل الكلام (نَبغِي) بالياء الطويلة، ولكنَّ التَّعبير القرآني مال إلى استعمال الكسرة القصيرة.

وسبب ذلك و – الله أعلم – أنَّه : " أثبتت الياء في فعل (نبغِي)؛ لأنَّ بغية وطلب الإخوة هو الطعام، فسبب رحلتهم إلى مصر هو إحضار ذلك الطعام، فلأنه هو بغيتهم الأساسية أثبتت الياء في الفعل ...، أمَّا حذف الياء من الفعل في سورة الكهف ...، إنما أراد المكان عند الصخرة لأنَّه سيجد الخضر عنده، فهو عنده وسيلة إلى غاية؛ لأنَّ غايته و بغيته من الرحلة كلّها هي لقاء الخضر، و الصخرة هي مكان اللقاء، وذهاب الحوت عندها علامة عليه، وليس هذا بغية أساسية لذلك حذفت الياء من فعل (نبغ) للإشارة إلى عدم إرادة المكان لذاته، فإرادة المكان ناقصة وليست تامة،

---

[1]– سورة الإسراء. الآية: 62.

[2]– بلاغة الكلمة في التعبير القرآني. السامرائي، فاضل صالح. ص: 27.

[3]– سورة يوسف. الآية: 65.

[4]– سورة الكهف. الآية: 64.

وحذفت الياء ليكون الفعل ناقصا حرفا، وبذلك يتوافق عدم تمام الفعل بعدم تمام البغية عند الصخرة؛ لأنها وسيلة للغاية وهي لقاء الخضر عندها." [1]

جاء في (**فتح القدير**): "(قَال ذّلِكَ مَا كُنَّا نَبغ)؛ أي : قال موسى لفتاه ذلك الذي ذكرت من فقد الحوت في ذلك الموضع هو الذي كنا نطلبه، فإنَّ الرَّجل الذي نريده هو هنالك."[2]

أو " لأنَّ المقام مقام حثٍّ على النظر والتأمل، والتفكر فيما يطلبون من يعقوب – عليه السلام- من إرسال بنيامين معهم، وهذا يحتاج إلى تروّ وتأنّ، فلا مجال هنا للحذف؛ لأن السِّياق اقتضى الذكر، لتصوير التأني و التروّي الذين يحتاج إليهما في مقام التأمل، فذكر الفعل كاملا ينسجم مع بغية الإخوة، وهدفهم في الحصول على الطعام عن طريق أخيهم، فهو السَّبب في ذلك." [3] . أما آية (الكهف) " تصوِّر سرعة ارتداد موسى وفتاه ورجوعهما إلى الصخرة، إذ دلت الفاء في قوله تعالى (فارتدا) على سرعة ارتداد موسى، وهذه السرعة لا تسمح بذكر المحذوف (الياء)،- والله أعلم-."[4]

إنَّ الحذف انحرافٌ عن البنية الأساسية للجملة العربية، وإعادة بنائها عن طريق إسقاط بعض بناها . فهو إذن تغيير في العلاقات الإسنادية داخل الجملة؛ لذلك فالنصُّ القرآني يراعي السِّياق في اختيار الحذف والذكر المناسب للغرض المناسب للآية بشكل دقيق وواضح، و "يرجع حسن العبارة في كثير من التَّراكيب، و الأساليب إلى ما يعمد إليه المتكلم من حذف ما لا يغمض به المعنى، ولا يلتوي وراءه القصد، و إنما هو تصرُّف تصفى به العبارة ويشتدُّ به أسرها ويقوى حبكها و يتكاثر إيحاؤها، ويمتلئ مبناها ... وفي طبع اللُّغة أن تسقط من الألفاظ ما يدلُّ عليه غيره، أو ما يرشد إليه سياق الكلام أو دلالة الحال، وأصل بلاغتها في هذه الوجازة التي تعتمد على ذكاء القارئ أو السامع، وتعوّل على إثارة حسه، وبعث خياله وتنشيط نفسه، حتى يفهم بالقرينة

[1] – الإعجاز القرآني ودلائل مصدره الرباني. عبد الفتاح الخالدي. ص: 248 ، 249.

[2] – فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية في علم التفسير. الشوكاني، محمَّد بن علي بن محمَّد. تح: عبد الرحمن عميرة. (د.ط)؛ 1994 م، ج3، ص: 412.

[3] – النظم القرآني في سورة يوسف –عليه السلام-. جمال يوسف الحاج علي. رسالة ماجستير(مخطوط)، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين؛ 1421هـ، 200م، ص: 76.

[4] – المرجع نفسه ، ص : 77.

ويدرك باللمحة، ويفطن إلى معاني الألفـــاظ التي طواها التعبير." [1]

يشكل حذف الفاعل في سياقات الحديث عن مغادرة الرّوح البدن، وعن أحداث القيامة سمـــة مميزة في الخطاب القرآني، وتؤكد الباحثة عائشة عبد الرَّحمن على أنَّ " اطّراد هذه الظاهرة في موقف البعث و القيامة، ينبّه إلى أسرار بيانية وراء ضوابط الصنعة البلاغية، وإجـــراءات الإعراب الشكلية؛ فبناء الفـــاعل للمجهول فيه تركيز الاهتمام على الحـــدث، بصرف النـــظر عن محدثه."[2]

من ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاء اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ** ﴾ [3]،فالمتـــــمعِّن في التعبير يجد فيه خرقا على مستوى نسق التركيب، وذلك بحذف الفاعل، " وهذه الآية تنقل لنا مشهدا من مشاهد يوم القيامة، فنحن نرى أنَّ المسند إليه قد حذف، وهم (الملائكة)؛ لأنَّ الـــذي يريـــده القرآن هو توجيه الناس إلى هذه الأحداث الجسام العظام، دون أن يشغلوا بمن فعل هذه الأفعال، فأيّا كان فالحاشر و الوازع لهم يوم القيامة هم الملائكة المأمورون بذلك من الله عـــزَّ وجـــلَّ."[4]؛ إذ أنَّ الاهتمام موجَّه إلى الحدث نفسه بغض النَّظر عن صاحب الحدث.

" فهو إذا نسق ينـــاسب غرض القرآن الكريم في نقل مشاهد يوم القيـــامة، والتَّـــركيز على تصوير أحداثها لا ذكر محدثها؛ إذ كان سبحانه معلوما من السِّياق و المقام، حتى ليخيّل للمـــرء أنّ هذه الأشياء منقادة انقيادا إلى سرعة الاستجابة للفعل، فتنخلع الأفئدة، وترتعد الفرائص من هول ما يحدث آنذاك ترهيبا وتخويفا." [5]

---

[1]- خصائص التراكيب (دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني). محمَّد محمَّد أبو موسى. مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط4؛ 1416هـ 1996م، ص: 153.

[1] – الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق. عائشة عبد الرحمان. دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3؛ 2004 م، ص: 242

[2]- سورة فصلت. الآية : 19.

[3]- سورة فصلت دراسة بيانية. محمَّد صالح حابش العلياني. رسالة ماجستير(مخطوط) ، جامعة أم القر ى، مكة، السعودية؛ 1422هـ، ص: 331.

[5]- التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية. أحمد سعد محمَّد. مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، (د.ط)؛ 2000م، ص: 265.

وقد يكون في حذف الفعل والفاعل معا أثره في نشر ظلالٍ من المعاني تسهم في بناء الصورة. قال تعالى : ﴿ **فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا**﴾ [1]، فقد " أراد ذروا ناقة الله واحذروا عاقبة عقرها، وحُسن الحذف هنا ليس له نهاية، وكان صالحهم -صلوات الله وسلامه عليه- مرجوّا فيهم، رحيما بهم، يخاف أن يمسّهم من ربهم عذاب، فصاح بهم محذّرا ملهوفا : ناقة الله وسقياها، ولو قال : ذروا ناقة الله، وذكر الفعل والفاعل؛ أي المسند والمسند إليه لذهب بكل ما يدل على الحذف هنا من لهفة نفسه، وشدة حرصه على نجاة قومه، واندفاعه السَّريع نحو دفع الخطيئة الموبقة لهم ... " [2]

فالنصُّ القرآني لا يتعلَّق بمجرد الإخبار فقط، وإنما هو يريد تكثيف الدَّلالات، وإذا كان من المسلّم به أن المعنى يعتمد أساساً على البنية العميقة للتركيب، فإنه سيكون للتّحويلات إلى البنية السطحية كل الأثر في فنِّية التَّركيب وإعجازه، وهذا ما بدا جليّا في الآية السابقة و بالتحديد في جملة (ناقة الله وسقياها)، كمن يرى صاحبه مقبلا على خطرٍ كبير ولا سعة في الزمن تسمح له بأن يخاطبَه بكلام كامل، مما يصوّر شدّة حرصه واندفاعه، وكأنّ كل شيء اختفى حتى لم يعد مشاهداً إلا مصدر الخطر لا غير.

ومن هذا الباب قوله تعالى : ﴿**فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ**﴾[3]، فعجوز خبر لمبتدأ محذوف ويجوز أن تكون فاعلاً لفعل محذوف مع همزة الاستفهام المحذوفة والتقدير : أيلد عجوز عقيم ، وفي الآية تصويرٌ دقيق لشدَّة وقع الخبر على قلبها، وتصوير للدَّهشة التي كانت عليها وهي تُبَشَّرُ؛ لأنَّ حالها كان مما تستحيل معه ولادة، فالمرأة متى صارت عجوزاً لا تنجب، فإذا كانت عقيما كانت عن الولادة أبعد، إضافة إلى أنَّ بعلها شيخ كبير، مما جعل القرآن يصوّر هذا الاستغراب الذي أفقدها اتزانها ، فأطلقت صيحتها، و لم تزد عن أن قالت (عجوز

[1]- سورة الشمس. الآية : 13 .

[2]- خصائص التراكيب (دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني). محمَّد محمَّد أبو موسى. ص: 286 .

[3]- سورة الذاريات. الآية : 29.

عقيم)؛ لأنَّ هاتين الكلمتين وحدهما كافيتان لاستبعاد ذلك في نظرها؛ لذلك فإن تقدير أيَّ محذوف تُرك ذكره في الجملة لن يؤدي إلاَّ إلى إذهاب فنّها التَّصويري، وما رُسم فيها من صورة لزوج إبراهيم -عليه السلام-.[1]

ومن هنا يبدو أن بعض أشكال الحذف تبدو أكثر توافقا من بعضها الآخر مع حالات نفسية، وفي " هذه الحالة يستعمل المتكلِّم تغييرات ذات وظيفة في سياق معين، ويمكن أن يكون هذا السياق نفسيًّا في الدَّرجة الأولى؛ ذلك أنَّ اختيار الكلمات، والبنى المتمثلة في الجمل والمتتاليات، والخصائص الترابطية يخضع لحالة المتكلم الذهنية وموقفه، وللانفعالات التي يعبر عنها بهدف حثّ قارئه، أو المستمع إليه على تفسير هذه المميِّزات الأسلوبية كإشارات إلى حالته النَّفسية في وقت معين." [2]

وقد يحذف المفعول به على الرغم من شدة الحاجة إليه؛ كما ذكر **عبد القاهر الجرجاني** : " فإن الحاجة إليه أمسُّ، وهو إلى ما نحن بصدده أخصُّ، واللَّطائف كأنها فيه أكثر، وممَّا يظهر بسببه من الحسن و الرَّونق أعجب و أظهر."[3]، وهو يمثل سمة واضحة في سلّم الاهتمام لدى البلاغيين فقد اهتموا بمسائله من الناحية الدَّلالية، وإن كانت دراستهم قد قامت على أسس نحوية ، وعلى هذا يمكن اعتبار " أن المميّز النَّحوي له تأثيره الشَّديد في تحديد موقعيَّة التَّراكيب اللُّغوية في اللُّغة العربيَّة وعملية تحليل أركانها، وبخاصَّة في جانبها اللُّغوي الدَّلالي." [4]

---

[1] - ينظر: التعبير القرآني. السامرائي، فاضل صالح. ص: 37.

[2] - بلاغة الخطاب وعلم النص. صلاح فضل. المجلس الوطني للثقافة و الفنون والآداب، الكويت،(د.ط)؛ 1992م، ص: 190، 191.

[3] - دلائل الإعجاز في علم المعاني. الجرجاني. عبد القاهر. ص: 153.

[4] - « أثر المميز النحوي في تحديد موقعية التراكيب اللغوية ». عابد بوهادي. مجلة النَّقد و الدِّراسات الأدبية و اللُّغوية، منشورات مكتبة الرشاد للطباعة و النشر و التوزيع، سيدي بلعباس، الجزائر، 2009م، (ع2)، ص: 291 .

قال تعالى: ﴿**مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى**﴾ [1] ، فالنصُّ يمارس خرقا تركيبيًّا يتمثل في حذف المفعول به من قوله (قلى)، والتقدير: (ما قلاك)، وهنا تهيمن على التعبير مسحة جمالية بفضل الفراغ الذي تركه حذف المفعول به لدلالة القرينة عليه .

جاء في (**معاني النحو**) : " أن الحذف هنا للإكرام والتَّعظيم؛ وذلك أنَّه تعالى لم يرد أن يواجهه بالقلَى فيقول (وما قلاك)، وإنما اكتفى بالمفعول السَّابق إكراما لرسول الله من أن يناله الفعل... أمَّا ذكر مفعول التَّوديع في (مَا وَدَّعَكَ) فللإكرام؛ ذلك أنَّ التّوديع إنما يكون بين المتحابِّين بخلاف القلى... فقولك : (ودَّعتُ فلاَنا) دليل على محبتك له وأنت تفارقه . فذكر مفعول التَّوديع إكرام لرسول الله، وحذف مفعول القلى إكرام له، فكان الإكرام له في الذكر والحذف."[2]

وقد ذهب الدكتور **محمَّد أبو موسى** في الردّ على من قال أن الحذف في الآية لرعاية الفاصلة، إذ يقول : " أمَّا تعليل الحذف برعاية الفاصلة فليس من المقبول عندنا أن يقوم البيان القرآني على اعتبار لفظي، وإنما الحذف لمقتضى معنوي بلاغي يقوى به الأداء اللَّفظي دون أن يكون الزخرف الشَّكلي هو الأصل، ولو كان البيان القرآني يتعلق بمثل هذا لما عدل عن رعاية الفاصلة في آخر السورة."[3]

وممَّا جاء في هذا المدار قوله تعالى : ﴿ **وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى** ﴾ [4]، نجد فيه خرقا على مستوى نسق التَّركيب، وذلك بحذف المفعول به، و التقدير : (وما هداهم) ، وسبب ذلك "علاوة على الإيجاز، وذلك أنه أخرجه مخرج العموم؛ أي : أنَّ فرعون لم يتَّصف بصفة الهداية

[1]- سورة الضحى. الآية: 03.

[2]- معاني النحو. السامرائي، فاضل صالح. ج 2، ص: 81 ، 82.

[3]- خصائص التراكيب (دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني). محمَّد محمَّد أبو موسى. ص : 360، 361.

[4]- سورة طه. الآية: 79.

البـــتّة ؛ وذلك أنَّه لو قال (وما هداهم) لكان عدم الهداية مقيَّـــدا بقومه ، إذ يحتمل أنَّـــه هـــدى غيرهم لكنه قال : (وَمَا هَدَى) أي : ما هدى أحدا."[1]

فالنص أوضح لنا أبعاداً دلالية يضفيها السِّياق وتركيب الكلام؛ بحيث " أنّ النص يتحرَّك ضمن دلالاته، ولا شيء يقوى على ضبط هذه الدَّلالات وتحديد مواقعها، أو رسمها وبنـــائها قدر ما يقوى الأسلوب عليه."[2]، ولهذا عمل الحـــذف على إبراز جوانب جمالية وسمـــات أسلـــوبية في التعبير.

وقوله تعالى: ﴿ **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى** ﴾ [3]، فالتَّعبير منح المتلقي مـــساحة للتَّقـــدير بإحالته إلى دلالات متعدِّدة يمكن أن تستحضر في ذهنه وهو يتذوَّق الكلام من خلال حذف المفعول به الثاني للفعل (يُعْطِيكَ). فتبرز الوظيفة الجمالية لهذا الحذف في كونها بنية متراحة عمَّا وضعت لـــه أصلا، وقد مدَّ هذا الحذف الآية بجملة من الدَّلالات الإيحائية، بحيث يترك المتلقِّي يتخيَّل مـــا الـــذي سيعطيه الله تعالى لرسوله ، إضافة إلى أنه حقَّق المتعة الجمالية من أجل " الرقي بالخطاب إلى مستوى تعبـــيري قادر على شدِّ انتباه المتلقِّي والتـــأثير فيه، أي الإقـــناع، إضـــافة إلى استغلال سمات جمالية تضفي على الخطاب سمات الجمال، أي الإمتاع."[4]

إذا كان الحذف خرقا للسُّنن اللُّغوية المألوفة بجبر أحد عناصر الإسناد على الغياب، فإنَّ جماليتة قائمة على فلسفة الحضور والغياب، وهذا الغائب (المحذوف) يلعب دورا أساسيًّا في إنتاج الدَّلالـــة، لذلك " يعد الحذف تحوُّلا في التَّركيب اللُّغوي يثير القارئ ويحفِّزه نحو استحضار الـــنص الغائـــب، أو سد الفراغ ،كمـــا أنه يثري النصَّ جماليا، ويبعده عن التلقِّي السلبي."[5]

---

[1]- المرجع السَّابق. ص:81.

[2]- مقالات في الأسلوبية. منذر عياشي. منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا؛ 1990م، ص: 91.

[3]- سورة الضحى. الآية: 05.

[4]- لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، محمد خطابي. ص: 95.

[5]-« من دلالات الانزياح التركيبي وجمالياته في قصيدة الصقر لأدونيس ». عبد الباسط محمد الزيود. مجلة جامعة دمشق، سوريا؛ 2007م (ع01)، مج23، ص: 171.

فهو يعمد إلى الإخفاء ليفتح النص على محاولة قراءة النص الغائب، ويعطي للمتلقي مساحة للإنتاج بتقدير المحذوف، وملء المسكوت عنه من القول، أوسد تلك النتوءات لاكتناه أبعادها فاتحا الأفق لخيال المتلقي، ومن ثم حدوث تفاعل بين النص والمتلقي، وتظهر أهميته " من أنه لا يورد المنتظر من الألفاظ، ومن ثم يفجر في ذهن المتلقي شحنة فكرية توقظ ذهنه وتجعله يتخيل ماهو مقصود، ومن ثمة حدوث تفاعل بين المرسل والرسالة والمتلقي."[1]

وقد زخر القرآن الكريم بعدة أنواع لحذف الجمل: منها حذف جواب القسم، وحذف جواب الشرط، وحذف جواب (لو) و (لمّا)، وغيرها لأسرار دلالية، وإشارات نفسية على نحو ما ورد في قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**﴾[2] ، فقد أسقط التعبير القرآني جواب (لمّا) مما منح النصَّ دلالات إيحائية متعدِّدة، وقيمة هذا الحذف تكمن في قدرته على إبراز الحالة النفسية لسيدنا إبراهيم وابنه إسماعيل – عليهما السَّلام –.

يقول **الزمخشري** في الآية: "... فإن قلت: أين جواب لّما؟ قلت: هو محذوف تقديره: فلمّا أسلما و تلّهُ للجبين (و نَادَيناهُ أنْ يا إبراهيمُ قدْ صدَّقتَ الرُّؤيا) كان ما كان مما ينطق به الحال و لا يحيط به الوصف من استبشارهما و اغتباطهما، و حمدهما لله و شكرهما على ما أنعم به عليهما من دفع البلاء العظيم بعد حلوله، و ما اكتسبا في تضاعيفه بتوطين الأنفس عليه من الثواب، والأعواض، ورضوان الله الذي ليس وراءه مطلوب."[3]

---

[1] – الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية ، سليمان فتح الله محمَّد، الدار الفنية للنشر و التوزيع، القاهرة، مصر، (د.ط)؛ 1990م، ص: 139.

[2] – سورة الصّافات. الآيات: 103، 104، 105.

[3] – الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل. الزمخشري، جار الله بن القاسم محمود بن عمر. تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود و آخرون. ج 5 ، ص : 222 ، 223 .

غير أن **الرازي** يرى تقديرا آخر للحذف، فيقول : " فلما فعل ذلك (وناداه الله أن يا إبراهيم قد صدّقت الرؤيا) سعد سعادة عظيمة، و آتاه الله نبوّة ولده، و أجزل له الثواب قالوا: و حذف الجواب ليس بغريب في القرآن، والفائدة فيه أنه إذا كان محذوفا كان أعظم و أفخم."[1]

وهكذا نرى أنَّ الجملة المحذوفة كانت موضِّحة للمغزى الذي جاءت به الآية، وزاخرة بالدَّلالة الإيحائية للنص عبر سياقه الأسلوبي؛ إذ أنَّ "في هذا الحذف إشارة إلى أن اللَّفظ لا يستطيع أن يصف ما أصاب إبراهيم، وابنه من المسرّة و الابتهاج." [2]

وشبيه به قوله تعالى: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ** ﴾[3]، فالنص الكريم اشتمل على سمة أسلوبية تعبيرية تمثَّلت في حذف جواب الشرط، وكان لهذا الحذف دلالته الواضحة في إبراز المعنى، حتَّى يأخذ بلبِّ المتلقِّي إلى تصوُّر المقطع المحذوف من الآية.

قال **الزمخشري** : " لو يعلم هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم أن القدرة كلّها لله على كلِّ شيء من العقاب والثَّواب دون أندادهم، ويعلمون شدة عقابه للظالمين إذا عاينوا العذاب يوم القيامة، لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم، والحسرة، ووقوع العلم بظلمهم وضلالهم."[4]، وهنا تبرز الوظيفة الجمالية لحذف جواب الشرط؛ لأنه يفضي إلى بعث النفس على التفكير لتهتدي إلى الجواب الذي لابد أن يكون شيئا عظيما.

---

[1]- التفسير الكبير. الرازي، فخر الدين. ج26 ، ص: 157.

[2]- من بلاغة القرآن. أحمد أحمد بدوي. ص: 101.

[3]- سورة البقرة. الآية: 165.

[4]- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل. الزمخشري، جار الله بن القاسم محمود بن عمر. تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود و آخرون. ج1 ، ص: 354.

وهكذا تبين من خلال الآية القيمة الأسلوبية المتأتية من حذف جواب الشرط، كما أبرز المعنى بدقة وإيجاز، وبحذفه واستحضار صورتهم كان أدل على القلق النفسي" حال مشاهدتهم العذاب وما ينتظرهم من هول المفاجأة حين يرون ذلك، ويدركون يقينا ألاّ مناص من الوقوع فيه ، وما يغشاهم من رهبة وخوف ... وهي صورة يقصد بها الترهيب، و التهديد لفظاعة ذلك المشهد الذي تحضره هي"[1]، وهكذا نرى أنّ الجملة المحذوفة كانت موضحة للمغزى الذي جاءت به الآية، وزاخرة بالدلالة الإيحائية للنص عبر سياقه الأسلوبي.

وفي حذف الموصوف إشارة إلى مساحات نفسية متعددة ، وقد وضع العلماء شروطاً في جواز حذفه، فقد ذكر **الزركشي** أنه يشترط فيه أمران: أحدهما:كون الصفة خاصة بالموصوف ، فمتى كانت الصفة عامة امتنع حذف الموصوف . والثاني: أن يعتمد على مجرد الصفة من حيث تعلقها بغرض السِّياق[2]. وفي ضوء هذا يكون لحذف الموصوف ما يسوغه وهو القرينة السِّياقية.

قال تعالى: ﴿ **فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظّاً مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىَ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمُ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾[3]

يقرر النصَّ واقع حال اليهود في المدينة وما كانوا عليه من الكيد للمسلمين، وفي حذف الموصوف تعدد مدلول الصفة ؛ حيث هناك " الفعلة الخائنة، والنيَّة الخائنة، والكلمة الخائنة،والنَّظرة الخائنة، يجملها النص بحذف الموصوف، وإثبات الصفة (خائنة) لتبقى الخيانة وحدها مجرَّدة، تملأ الجوَّ،

[1] – بلاغة القرآن الكريم (دراسة في أسرار العدول في استعمال صيغ الفعل). ظافر بن غرمان العمري. رسالة دكتوراه، مكتبة وهبة، القاهرة مصر، ط1؛ 1429هـ، 2008م، ص: 258.

[2] – ينظر: البرهان في علوم القرآن. الزركشي، بدر الدين محمَّد بن عبد الله. تح: محمَّد أبي الفضل إبراهيم. ج 3، ص: 154.

[3] – سورة المائدة. الآية: 13.

وتلقي ضلالها وحدها على القوم، فهذا هو جوهر جبلَّتهم ، وهذا هو جوهر موقفهم مع الرَّسول – صلَّى الله عليه و سلَّم – ، ومع الجماعة المسلمة."[1]

والحذف في النص هو الذي قاد إلى تمثُّل هذه الصورة، مما يؤدِّي إلى تعميق الدَّلالة، ويصبح المعنى غنيا، ويعطي للصُّورة بعدا نفسيًّا، ويصبح الأداء التعبيري عامرا بالحركة .

2- علاقة الحذف اللُّغوي بالعمليَّة التَّأويليَّة:

قد تقدَّم ظاهرة الحذف خدمة للمؤول بما يناسب مذهبه وأصول معتقدة، وهذا ما يبدو واضحاً في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً**﴾[2]. فتعدد قراءة النص الكريم تفتح آفاقاً رحبة للفكر يتم فيها تأويل الوجه الأقرب إلى السياق، وهنا تبرز ملامح التعبير الأسلوبية وتلونها .

جاء في (**الكشاف**): " (فَفَسّقُوا)؛ أي أمرناهم بالفسق ففعلوا، والأمر مجاز؛ لأنَّ حقيقة أمرهم بالفسق أن يقول لهم: افسقوا، وهذا لا يكون فبقي أن يكون مجازا، ووجه المجاز أنَّه صبَّ عليهم النعمة صبًّا فجعلوها ذريعة إلى المعاصي و إتباع الشهوات، فكأنهم مأمورون بذلك، لتسبُّب إيلاء النعمة فيه، وإنما خوَّلهم إياها ليشكروا ويعملوا فيها الخير ويتمكَّنوا من الإحسان والبرّ، كما خلقهم أصحّاء أقوياء وأقدرهم على الخير والشر.... فإن قلت: هلاَّ زعمت أن معناه: أمرناهم بالطاعة ففسقوا ؟ قلت: لأنَّ حذف ما لا دليل عليه غير جائز، فكيف يحذف ما الدَّليل قائم على نقيضه،

[1] – في ظلال القرآن. سيد قطب. دار الشروق، القاهرة، مصر، ط 32؛ 1423هـ، 2003م، ج6، ص: 859.

[2] – سورة الإسراء. الآية: 16.

وذلك أن المأمور به إنما حذف؛ لأنَّ (فسقوا) يدلُّ عليه... فكان صرف الأمـــر إلى المجاز هو الوجه، والنظير (أمر): شاء في أن مفعوله استفاض في الحذف لدلالة ما بعده عليه."[1]

والذي يتبيَّن من خلال موقف **الزمخشري** من الآية: " أن المفعول الثـــاني المحـــذوف تقـــديره (الفسق) أو (بالفسق)، فالله هو الآمر، ومترفوا القرية هم المأمورون بالفسق، والمأمور به هو الفسق، بيد أنَّ هذا التأويل لا ينسجم مع الأصل العقائدي الذي قرَّره المعتزلة... وهذا الأصـــل هو العـــدل الذي ينصّ أنَّ الله لا يفعل القبيح ولا يأمر به..."[2]

فالحذف في النص مظهر من مظاهر خرق التَّركيب لمنطق بنائية النِّظام اللُّغوي، واعتماده علـــى آلية المجاز كمخرج لما يتعارض ومعتقـــده، ويتَّكئ على قرينة العقل التي هي عنده " من أهم الوسائل التي يلجأ إليها المؤوِّل لفحص المعاني وحلّ الإشكالات التي تثيرها ظواهر بعض الألفـــاظ والعبارات القرآنية، كما أنَّ هذه القرينة أداة أساسية من أدوات المعرفة حين يتعدّى الأمر حدود العلاقـــة بـــين الدال و المدلول، وتصبح الألفاظ دوالَ على معان أعمق غورا من دلالتها اللُّغوية المألوفة."[3]

يردُّ **الفخر الرَّازي** على تفسير **الزمخشري** للآية بقوله : "... وهذا الكلام في غاية الظهور فلا أدري لما أصرَّ صاحب الكشَّاف على قوله مع ظهور فساده، فثبت أن الحق ما ذكره الـــكل وهو أنَّ المعنى أمرناهم بالأعمال الصالحة وهي الإيمان والطاعة، والقوم خالفوا ذلك الأمر عنادا وأقدموا علـــى الفسق..."[4]

وبهذا تسفر آلية الحذف عن تجليات النص القرآني الدَّلالية المبنية على خرق مألوف الإسناد في العلاقات اللُّغوية ، وبهذا الخرق " الـــذي هو التشكيل اللُّغوي للأدوات الأسلوبية في النص تشكيلا

[1] – الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل. الزمخشري، جار الله بن القاسم محمود بن عمر. تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود و آخرون. ج 3، ص: 500، 501.

[2] – إستراتيجية التّأويل الدلالي عند المعتزلة.هيثم سرحان. دار الحوار للنّشر و التوزيع، سوريا، ط1؛ 2003م، ص: 142.

[3] – التأويل اللغوي في القرآن الكريم دراسة دلالية. حسين حامد الصالح. ص: 167.

[4] – التفسير الكبير. الرازي، فخر الدين. ج 20 ، ص: 176.

يخرج بالكلام عن المألوف، فيذهب المتلقي في تأويله مذاهب شتَّ، وتتعدَّد تأويلات الخطاب الأدبي بتعدُّد قراءاته." [1] ، مما يمنحه ثراء وانفتاحية وتعدديَّة قرائية، وهذا دليل على الغنى الدَّلالي للتَّعبير القرآني بحيث يتجدَّد الثَّوب الدَّلالي مع كل قراءة.

ومثله قوله تعالى: ﴿ **هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلآئِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ** ﴾[2]، وحسب الظاهر وبحكم المعيار النَّحوي، ودلالة اللفظ إثبات معنى الإتيان إلى الله. وباستنطاق النص يفصح عن حذف في الآية حسب المعتزلة.

جاء في (**الكشاف**) : " إتيان الله إتيان أمره وبأسه، كقوله: ﴿**يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ**﴾[3]، ويجوز أن يكون المأتي به محذوفا، بمعنى أن يأتيهم الله ببأسه أو بنقمته للدَّلالة عليه."[4]

ويذهب **الرَّازي** في تأويل هذه الآية إلى تقدير محذوفين فيقول:" الوجه الأول : في التأويل أن يكون المراد (هل ينظرون إلى أن يأتيهم الله)؛ أي أمر الله، ومدار الكلام في هذا الباب أنَّه تعالى إذا ذكر فعلا وأضافه إلى شيء، فإن كان ذلك محالا فالواجب صرفه إلى التأويل، كما قال العلماء في قوله: ﴿ **الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ** ﴾ [5] والمراد يحاربون أولياءه... فكذا قوله: ﴿**يَأْتِيَهُمُ اللّهُ**﴾[6]

---

[1] – الأسلوبية في النقد العربي الحديث. نور الدين السَّد نقلا عن : في السيميائيات العربية (قراءة في المنجز التراثي). عقاق قادة. ص : 84، 85.

[2] – سورة البقرة.الآية : 210.

[3] – سورة النحل. الآية : 33 .

[4] – الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل. الزمخشري، جار الله بن القاسم محمود بن عمر. تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود و آخرون. ج1 ، ص: 419.

[5] – سورة المائدة. الآية : 33 .

[6] – سورة البقرة. الآية : 210.

المراد يأتيهم أمر الله، وقوله: ﴿ **وَجَاء رَبُّكَ** ﴾ [1] المراد وليُّه فيه، إلاَّ حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، وهو مجاز مشهور يقال: ضرب الأمير فلانا، وصلبه، وأعطاه، والمراد أنَّه أمر بذلك لا أنَّه تولَّى ذلك العمل بنفسه."[2]

والمحذوف الثاني ما ذكره في الوجه الثالث في تأويل معنى الآية :"وهل ينظرون إلاَّ أن يأتيهم الله بما وعد من العذاب والحساب، فحذف بما يأتي به تهويلا عليهم؛ إذ لو ذكر ما يأتي به كان أسهل عليهم في باب الوعيد، وإذا لم يذكر كان أبلغ لانقسام خواطرهم وذهاب فكرهم في كل وجه."[3]

ويعلق الدكتور **أحمد عرابي** على ما جاء به **الرَّازي** بقوله:"فهو يحمل نصًّا على نص آخر ليؤوِّل الظَّاهرة اللُّغوية إلى معنى غير معناها الظاهري. والمعتمد هنا هو الحذف الاعتباري وهو ما يفترضه المتلقي في التَّركيب لكي يحصل التوافق بين ما دلَّ عليه التَّركيب النَّحوي والمعنى القائم في ذهن المفسر، ويعتبر هذا التأويل تحريفا للنص، وزيادة عليه من غير دليل مقنع وإلاَّ لماذا لا يقول الله تعالى:(إلا أن يأتيهم أمر الله) ، أو (إنَّ الذين يحادّون أولياء الله)، فلماذا خاطبنا الله بالحذف و لم يخاطبنا بالذكر؟ ، ثم إنَّ النصوص التي اعتمد عليها في تأويله للحذف لا تنهض دليلا على الحذف؛ لأنها متساوية في القوة والاعتبار، وكلٌّ منها يحتاج إلى دليل آخر على حذف المضاف إليه، وهو تقييد للنص وتضييق لدلالته، والحذف توسيع للمعنى، وفتح مجال التأمُّل أمام القارئ ليذهب به التفكير كل مذهب."[4]

إنَّ الحذف آلية لغوية يوظفها الخطاب القرآني استغلالا لإمكاناته الدَّلالية والإيحائية، من خلال عدم تعيين المحذوف حتى ينفتح على إمكانات واسعة " بغية تكثيف الدَّلالة بقليل من الألفاظ

---

[1]- سورة الفجر. الآية : 22 .

[2]- التفسير الكبير ، الرازي، فخر الدين. ج 5، ص: 232.

[3]- التفسير الكبير ، الرازي، فخر الدين. ج 5، ص: 233.

[4]- جدلية الفعل القرائي عند علماء التراث دراسة دلالية حول النص القرآني. عرابي أحمد. ص: 107 ، 108 .

من ناحية، وتجنُّب التكرار من ناحية أخرى، وشدِّ انتباه المتلقِّي من ناحية ثالثة." [1]، ومن هنا كانت القراءة التأويلية للنصوص القرآنية ذا أثر كبير في الكشف عن الغائب من الدَّلالات، وهي في الوقت نفسه مركب خطير يركبه المؤوِّل توجِّهه رياح معتقده وعقيدته.

3- دلالات الحذف في مسائل العدد:

كثيرا ما يعمد القرآن في آيات العدد إلى الحذف لأسرار دلالية، يقتضيها السِّياق والمعنى منها قوله تعالى : ﴿ **وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُواْ بَقَرَةً قَالُواْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ** ﴾[2]، وهو نقيض قولنا لا تذبحوا بقرة .

قال **الرَّازي** : " إن قوله تعالى (اذْبَحُوا بَقَرَة) كالنَّقيض لقولنا لا تذبحوا بقرة، وقولنا لا تذبحوا بقرة يفيد النَّفي العام فوجب أن يكون قولنا اذبحوا بقرة يرفع عموم النَّفي، ويكفي في ارتفاع عموم النَّفي خصوص الثبوت على وجه واحد، فإذن قوله (اذْبَحُوا بَقَرَة) يفيد الأمر بذبح بقرة واحدة فقط، أمَّا الإطلاق في ذبح بقرة أيّ بقرة شاءوا، فذلك لا حاجة إليه في ارتفاع ذلك النَّفي فوجب أن لا يكون مستفادا من اللفظ."[3]

و يقول في مواصلته تعليل الحذف : " أنَّ قوله تعالى (بقرة) لفظة مفردة منكرة، و المفرد المنكر إنما يفيد فردا معينا في نفسه غير معيَّن بحسب القول الدَّال عليه، ولا يجوز أن يفيد فردا أي فرد كان بدليل أنه إذا قال: رأيت رجلا فإنه لا يفيد إلاَّ ما ذكرناه، فإذا ثبت أنه في الخبر كذلك وجب أن يكون في الأمر كذلك. " [4]، والآيات التالية لهذه الآية تبيِّن أنَّ المقصود بقرة واحدة بعلامات معينة لها لا توجد في غيرها من جنس البقر يُبيِّنها الضَّمير (ها) العائد عليها، وسرُّ الحذف هنا ضخامة

---

[1]- الأسلوبية الرؤية و التطبيق. يوسف أبو العدوس. ص: 190 .
[2]- سورة البقرة. الآية: 67 .
[3]- التفسير الكبير. الرازي، فخر الدين. ج3، ص: 123 .
[4]- المصدر نفسه ، ص: 123 .

الأمر الذي سيحدث بعد الذبح، فأكثر ما يرد حذف الصفة " للتفخيم و التعظيم في النكرات، وكأن الأمر حينئذ عَلمٌ عليه."[1]

وكذلك قوله تعالى : ﴿ **وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** ﴾[2] ، و التقدير (فأتوا بسورة واحدة)؛ أي حذف العدد الواقع حسب القواعد المعيارية صفة.

قال **الزمخشري** : " قيل : إن ارتبتم في هذا الذي وقع إنزاله هكذا على مهل وتدريج فهاتوا أنتم نوبة واحدة من نوبة ، وهلمُّوا نجما فردا من نجومه : سورة من أصغر السور ، أو آيات شتى مفتريات ، وهذه غاية التبكيت ، ومنتهى إزاحة العلل." [3]

ويذهب **الرَّازي** إلى تخريج الحذف في هذه الآية التَّخريج التالي : " قوله : (فّأتوا بسُورَةٍ مِنْ مِثلِه) يدلُّ على أنَّ القرآن، وما هو عليه من كونه سورا هو على حدِّ ما أنزله الله تعالى...، فلذلك صحّ التحدّي مرّة بسورة ومرة بكل القرآن ." [4]

ومن هنا تبيّن أن إسقاط العدد في بعض آي الذكر الحكيم له قيمته التعبيريّة ، وهو يتمتَّع بأسرار دلالية أفصح عنها القرآن الكريم، من خلال الاستعمال الفنِّي الرَّفيع لها، نأيا بها عن قواعدها الصّارمة.

[1]- الرهان في علوم القرآن. الزركشي، بدر الدين محمَّد بن عبد الله. تح: محمَّد أبي الفضل إبراهيم، ج 3، ص: 155.
[2]- سورة البقرة ، الآية : 23 .
[3]- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل. الزمخشري، جار الله بن القاسم محمود بن عمر. تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود و آخرون. ، ج1 ، ص: 218 .
[4]- التفسير الكبير. الرازي، فخر الدين. ج2، ص: 128 .

الفصل الثّاني

دلالة البنية في التّعبير القرآني

توطئة:

يقسِّم جمهور النحَّاة الفعل إلى ثلاثة أقسام: الفعل الماضي، المضارع، والأمر منطلقين من أنَّ الأزمان ثلاثة: ماض، و حاضر، ومستقبل، وهذا تقسيم للفعل على أساس الزَّمن الفلسفي، غير ناظرين إلى الزَّمن داخل السِّياق، حيث أبعدهم هذا المنهج عن واقع اللغة، وعن توضيح الواقع الدَّلالي للأفعال في سياقاتها الخاصة، لذلك " كان على النحَّاة أن يدركوا أنَّ الأفعال مجرد صيغ، وألفاظ تدلُّ على زمن ما ، هو جزء من معنى الصِّيغة لا على زمن معين، وأنَّ السِّياق أو الظروف القولية بقرائنها اللَّفظية، والحالية هي وحدها التي تعيّن الدَّلالة الزمنيَّة وترشّحها لزمن بعينه."[1]

وعليه يمكن للباحث أن يميِّز بين نوعين من الزَّمن هما: أولا: الزَّمن الصَّرفي، أو التَّحليلي أو الصِّيغي؛ وهو وظيفة الصِّيغة مفردة خارج السِّياق، وثانيا: الزَّمن النَّحوي (السِّياقي أوالتَّركيبي)، يتعامل مع الصيغة، ووظيفتها داخل النص، وهو متغيِّر تبعا للعلاقات السِّياقية أو القرائن الحالية، وهو مستخلص من كمِّ العلاقات التَّركيبية السِّياقية وهي تمارس طقوسها داخل النَّص.[2]

قال **تمام حسان** : " وإذا كان النَّحو هو نظام العلاقات في السِّياق فمجال النَّظر في الزَّمن النَّحوي هو السِّياق وليس الصيغة المنعزلة ...؛ لأنَّ معنى الزَّمن النَّحوي يختلف عن معنى الزَّمن الصَّرفي

[1] – أقسام الكلام العربي من حيث الشكل و الوظيفة. الساقي. فاضل مصطفى. مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، (د.ط)؛ 1397هـ، 1977م، ص: 232.

[2] – ينظر: الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية. عبد القادر عبد الجليل. دار صفاء للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط1؛ 1422هـ 2002 م، ص: 180، 181.

من حيث أن الزَّمن الصَّرفي وظيفة الصيغة، وإنَّ الزَّمن النَّحوي وظيفة السِّياق تحدِّدها الضَّمائم و القرائن."[1]

المبحث الأوَّل :

خرق معيارية الزَّمن:

إن استخدام الصِّيغ الفعلية في بنية التَّعبير القرآني ذات دلالات و إيحاءات، فكثيرا ما يخرق أسلوبه معيارية المطابقة الزَّمنية التي أقرَّها النحَّاة، ويكسر النَّمط المألوف للُّغة، وذلك بالمخالفة في أزمنة الأفعال، ومن الطبيعي أن يؤدِّي اختلاف الأزمنة إلى اختلاف المعاني؛ إذ التعبير بالماضي غير التعبير بالحاضر، وكذلك زمن الأمر مضاد لزمن المضارع، وهكذا.

وأوَّل ما يشير إليه البحث التركيز على مخالفة مقتضى الظاهر في صيغ الأفعال، في استعمال التعبير القرآني لها، وما تشي به من دلالات في البنية القرآنية. وإليك بعض صور خرق معيارية المطابقة الزمنية بين الأفعال، والتي تكتسب دلالتها من السِّياق الذي ترد فيه من خلال الرَّبط بين البنية العميقة للتَّركيب، والبنية السَّطحية ليظهر من خلال ذلك جماليات التركيب وأسراره الدَّلالية والفنية، ممَّا يدلُّ على أنّ لصيغ الفعل المختلفة على مستوى البنية دلالتها و إيحاؤها.

أ- بين الماضي و المضارع:

قد يخرق التعبير القرآني المطابقة السِّياقية بالانتقال عن الفعل الماضي إلى المضارع ، ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرونَ بِمَا وَرَاءهُ وَهُوَ**

[1] – اللغة العربية معناها ومبناها. تمام حسان. عالم الكتب، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، (د.ط)؛ 1994م، ص: 242.

الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[1] ، وقوله أيضا: ﴿... **أَفَكُلَّمَا جَاءكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ**﴾[2] ، بموجب المطابقة الزمنية بين الأفعال يكون: (فلم قتلتم أنبياء الله من قبل) ، و (فريقا كذبتم وفريقا قتلتم).

قال **الزمخشري** :"فإذا قلت: هلاَّ قيل: وفريقا قتلتم ؟ قلت: هو على وجهين: أن تراد الحال الماضية؛ لأنَّ الأمر فظيع فأريد استحضاره في النُّفوس، وتصويره في القلوب، وأن يراد وفريقا تقتلونهم بعد لأنكم تحومون حول قتل محمد –صلى الله عليه وسلم– لولا أني أعصمه منكم."[3]

جاء في (**معاني النحو**):"فالفعل حصل فيما مضى، ألا ترى إلى قوله (من قبل)، ولكنه عبَّر عنه بالفعل المضارع استحضارا لهذه الصورة الشنيعة من قتل أنبياء الله، فخلع على المشهد صورة الحياة والحركة بجعله ماثلا أمام عين الرائي."[4]

بمعنى أن دلالة الفعل (يقتلون) تفيد استحضار صورة قتل الأجداد للأنبياء تبشيعا بقبح فعلهم، وفيه دلالة على الاستمرارية للحدث وتجدُّد حصوله، كما أفاد الحضور للمشهد في الأذهان كأنَّه أمر مشاهد بارز للعيان فهم أهل قتل، وإجرام أجدادا وأحفادا؛ لأنَّه " لما كان القتل شيئا شنيعا مستعظما عدل عن الماضي إلى المضارع؛ لأنَّ المضارع استحضار صورة الماضي، لتكون ماثلة أمام النَّفس، فتكون أكثر تأثيرا، وتكون النَّفس منها أشدّ اشمئزازا." [5]، وفيه تيئيس من تحقق ذلك في حق نبيِّه.

---

[1]– سورة البقرة. الآية : 91.

[2]– سورة البقرة. الآية : 87.

[3]– الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل. الزمخشري، جار الله بن القاسم محمود بن عمر. تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود و آخرون. ج 1، ص: 292، 293.

[4]– معاني النحو. السامرائي، فاضل صالح. ج 3، ص: 289.

[5]– البلاغة فنونها وأفنانها. فضل حسن عباس. دار الفرقان للنشر و التوزيع، أربد، الأردن، ط2؛ 1409هـ، 1989م، ص: 446.

قال **ابن الأثير**: " واعلم أن الفعل المستقبل إذا أوتي به في حالة الإخبار عن وجود الفعل، كان ذلك أبلغ من الإخبار بالفعل الماضي؛ وذلك لأن الفعل المستقبل يوضح الحال التي يقع فيها، ويستحضر تلك الصورة حتى كأن السامع يشاهدها، وليس كذلك الفعل الماضي."[1]

ومن ذلك أيضا قوله تعالى عن الخوف الذي هزّ المسلمين يوم الأحزاب: ﴿ **إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا**﴾ [2]

نجد أن النَّسق الماضوي في الآية كسر بإدخال الفعل المضارع ممثلا على النحو التالي: (جاء – زاغ – بلغ – تظنون) ، فالآية تتحدَّث عن أحداث انقضت، ثم فجأة تحوَّل السّياق إلى الفعل

الذي يبدو فيه عدم المطابقة السِّياقية؛ إذ الأصل فيه أن يكون ماضيا عطفا على الأفعال الماضية (جاء، زاغ، بلغ)، غير أنَّ عدم المطابقة مقصود في الخطاب القرآني؛ وذلك "للدلالة على تجدُّد تلك الظُّنون بتجدُّد أسبابها،كناية عن طول مدَّة هذا البلاء، وفي صيغة المضارع معنى التعجُّب من ظنونهم لإدماج العتاب بالامتنان . فإن شدَّة الهلع الذي أزاغ الأبصار، وجعل القلوب بمثل حالة أن تبلغ الحناجر، دلَّ على أنهم أشفقوا من أن يهزموا لما رأوا من قوة الأحزاب وضيق الحصار، أو خافوا طول مدَّة الحرب وفناء الأنفس...، أو نحو ذلك من أنواع الظنون وتفاوت درجات أهلها."[3]

فالآية الكريمة ترسم ملامح الصُّورة الحسيَّة، والصُّورة النَّفسية، فأتت صورة المجيء من فوق ومن تحت تعبيرا عن الحسِّية بالإحاطة ، فترى الموقف بكل سماته، وكلِّ انفعالاته، وكلِّ خلجاته وكلِّ حركاته ، ماثلا أمامنا كأننا نراه من خلال هذا النص القصير ...، ثم ننظر فترى أثر الموقف في النفوس ... وهو تعبير مصوِّر لحالة الخوف، والكربة، والضيق يرسمها بملامح الوجوه وحركات

[1]- المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر. ابن الأثير، ضياء الدين. تقديم وتعليق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، ج2، ص: 181.
[2]- سورة الأحزاب. الآية : 10.
[3]- التحرير و التنوير. ابن عاشور، محمَّد الطاهر. ج 21، ص: 281 .

القلوب، ولا يفصل هذه الظنون ويدعها مجملة ترسم حالة الاضطراب في المشاعر والخوالج ، وذهابها كلّ مذهب، واختلاف التصوّرات في شتى القلوب." [1]

وللانتقال من الزمن الماضي إلى المضارع دلالات أخرى غير دلالة استحضار الصورة، فيخرج إلى معان أخرى يوضحها السِّياق القرآني في استعماله للأفعال،كدلالة التعريض الذي لا يضرُّ تلطفا [2] ، وكثرة وقوع الفعل وتكراره وغيرها من الدَّلالات الأخرى. [3]

أمَّا ما جاء دالاً على وقوع الحدث في الحال أو الاستقبال، من خلال توظيف القيمة الزَّمنية للحصول على مساحة تتعدَّد فيها الدَّلالات للنص وتتَّسع، كالدَّلالة على التجدُّد والاستمرارية، أو على إطالة مشهد الحدث، أو التَّركيز على نتيجة الحدث كما سيتم بيانه من خلال النماذج القرآنية الآتية :

فمن عطف المضارع على الماضي قوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ [4]، فقد أضفى زمن المضارع (تَطْمئِنُّ) على السِّياق معنى التجدُّد والاستمرارية؛ لأنَّ قلوبهم قد اطمأنت بذكر الله ماضيا، وحاضرا، ومستقبلا، و"نرى الطُّمأنينة إنما هي ناتج عن الإيمان؛ لأنَّ من لم يؤمن بالله لا يجد في قلبه شيئا من ذلك، فالمؤمنون بثبوت إيمانهم ورسوخه في نفوسهم تتجدَّد طمأنينتهم، وتزداد في ثقتهم بالله مرَّة بعد أخرى، و إنما جاء الإيمان هنا بلفظ المضيّ ليدلّ على الرُّسوخ و اليقين الذي هو أصل الإيمان؛ لأنَّ المراد من ذكر الإيمان الاتصاف بأصل الصِّفة كما كان قوله : (الذينَ كفرُوا) كاللَّقب للكافرين."[5]

---

[1]- في ظلال القرآن. سيد قطب. ج21 ، ص: 2837 .

[2]- ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. الألوسي، محمود شكري. ج 22، ص: 141 .

[3]- ينظر: معاني النحو. السامرائي، فاضل صالح. ج 3، ص: 280 ومابعدها .

[4]- سورة الرعد. الآية: 28 .

[5]- بلاغة القرآن الكريم دراسة في أسرار العدول في استعمال صيغ الفعل. ظافر بن غرمان العمري. ص: 229 .

ولكن صاحب (**إرشاد العقل السليم**) ذهب إلى القول : " الذين صار أمرهم إلى الإيمان؛ أي الصائرين إلى التقوى، وإلاّ فالإيمان لا يؤدِّي إلى الهداية نفسها، أو خبر لمبتدأ محذوف؛ أي هم الذين آمنوا، أو منصوب على المدح ، و العدول إلى صيغة المضارع لإفادة دوام الاطمئنان و تجدُّده حسب تجدُّد الآيات و تعدُّدها."[1]

ومن النماذج الدالة على سرعة الحركة مع قوَّتها لإطالة مشهد الحدث لما فيه من التَّخويف والتَّهديد. قوله تعالى: ﴿ ... **وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاء فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ**﴾[2] ، وكانت المطابقة تقتضي: (خر ، فخطفته ، هوت)، ولكنه عدل عن هذا المقتضى إلى التعبير بالمضارع .

علَّق سيِّد قطب على هذا بقوله: " إنه مشهد الهوي من شاهق (فكأنما خرّ من السماء) وفي مثل لمح البصر يتمزّق (فتخطفه الطير)، أو تقذف به الرِّيح بعيدا عن الأنظار (أو تهوي به الرِّيح في مكان سحيق) في هوّة ليس لها قرار، و الملحوظ هو سرعة الحركة مع عنفها وتعاقب خطواتها في اللَّفظ (بالفاء)، وفي المنظر بسرعة الاختفاء على طريقة القرآن الكريم في التعبير بالتصوير."[3]

ضف إلى ذلك مجيء الحرف (في) الذي أفاد الإمعان في تصوير السُّقوط، وكأنَّ المكان السَّحيق قد أصبح ظرفا ووعاء له لا ينتهي فيه إلى قرار، بعكس لو قال (إلى مكان سحيق) لأفاد المعنى وصول السَّاقط إلى حدٍّ معيَّن دلالة على انتهاء الغاية المكانية.

---

[1] – إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. أبو السعود بن محمَّد العمادي الحنفي. تح : عبد القادر أحمد عطا. مكتبة الرياض الحديثة ، السعودية، (د.ط)، (د.تا)، ج3، ص: 222.

[2] – سورة الحج. الآية: 31.

[3] – في ظلال القرآن. سيد قطب. ج17، ص: 2421.

فضلاً عن أنّ جرس الفعل يصوّر المعنى الدَّال على الشدَّة والعنف والقضاء الحاسم، وتتبع حركةَ السقوط حركتا (الخطف والهوي) إبرازاً لحقيقة الضياع والتلاشي في صورة محسوسة " إذ عطف المضارع (تّخْطَفهُ) على الماضي (خَرّ)؛ وذلك لكون الخطف ناتجا عن الخرور أي السُّقوط ... ، ولا شك أن المضارع (تّخْطَفهُ) يبيِّن فظاعة تلك الصُّورة، على أن المفسِّرين و البيانيِّين عنوا في الآية بما فيها من التشبيه، وليس يمنع ذلك من أن يفيد المضارع في الآية استحضارا للصُّورة ، وإن كانت صورة تمثل حال المشرك بالله، فالماضي (**خرّ**) يتبيَّن منه مجرّد الإخبار عن وقوع السُّقوط من علو، ثم تلاه المضارع الذي يستحوذ بصورته على وجه الحدث في الآية، وكأنَّ المضارع في بنائه على الماضي يحدث صورة جديدة تعقب فعل السقوط، وفي إسناده إلى فاعل آخر غير فاعل الفعل الماضي قبله ، فائدة هي أنَّ الفعل الأول مضى وزال بفاعله معه، ليقع موقعه فعل آخر وفاعل آخر فكأنَّ الإشراك الذي شبّه بالسقوط قد أهلك صاحبه فلم يعد فيه حياة، وتولّى المضارع الصورة ليعمِّق فكرة الهلاك؛ وذلك بأن أصبح المشرك أشلاء ومزعا يتخطَّفها الطير، فلم يبق للفعل الأوَّل مكانا في تحريك الأحداث في الصُّورة."[1]

وقد يرد خرق معيارية الزمن النَّحوي في القرآن للدَّلالة على نتيجة الحدث وآثاره ، أو بقاء أثر الشيء زمانا، و من ذلك قوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ** ﴾[2]. لو جرى السياق على نمط واحد لكان: (أنزل، أصبحت)، ولكن جاء هذا الخرق في زمن الفعل؛ " لأن الرُّؤية الباعثة على التأمل والاعتبار لا تتعلَّق بتلك الأحداث بذاتها بل

[1]- بلاغة القرآن الكريم دراسة في أسرار العدول. ظافر بن غرمان العمري. ص: 231، 232.
[2]- سورة الحج. الآية: 63.

بنتائجها أو آثارها المترتبة عليها... فإن متعلق الرؤية ومثار الاعتبار ... ليس هو نزول المـــاء ؛ إذ إنّ هذا النزول لا يتيسّر حدوثه إلاّ في الحين بعد الحـــين؛ ولأنّه – حين يحدث – لا يدوم دوام آثـــاره المترتبة عليه، والتي هي متعلّق الرؤية وموطن العبرة." [1]

وفيه دلالة على :" بقاء أثر المطر زمانا بعد زمان، فإنزال الماء مضى وجوده، واخضرار الأرض باق لم يمض، وهذا كما تقول : (أنعمَ عليَّ فلان فأروحُ وأغدُو شاكرًا لهُ)، ولو قـــلت : (فرحت وغدوت شاكرا له)، لم يقع ذلك الموقع؛ لأنه يدلُّ على ماض قد كان و انقضى."[2]

ب- بين المضارع و الماضي:

من النَّماذج التي يتم فيها الانتقال عن الفعل المضارع إلى الماضي للدالة على سرعة تحقق وقوع الفعل . قوله تعالى: ﴿ **وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ** ﴾ [3]، كان بمقتضى الظاهر للسِّياق أن تكون المطابقة (ينفخ فيفزع) فالحدث لم يقع بعد؛ لأنه حديث عن يوم القيامة.

قال **الزمخشري** : " فإن قلت : لم قيل (ففزع) دون يفزع ؟ ، قلت : لنكتة وهي الإشـــعار بتحقق الفزع وثبوته وأنه كائن لا محالة، واقع على أهل السَّماوات و الأرض؛ لأنَّ الفعل الماضي يدلّ على وجود الفعل وكونه مقطوعا به. والمراد فزعهم عند النفخة الأولى حين يصعقون."[4]

ودلالة المضارع في الإخبار عن المستقبل تفيد استحضار صورة الحدث، ودلالة الماضي تفيـــد تحقق حدوثه وحصوله، كما بيَّنته الصفحات السابقة ، وصدور الفعل بحرف الفاء (ففزع) ليدلَّ على

[1] – أسلوب الالتفات في البلاغة العربية. حسن طبل. دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، (د ط)؛ 1418هـــ ، 1998م، ص: 79، 80.

[2] – المثل السائر في أدب الكاتب والشَّاعر. ابن الأثير، ضياء الدين. ج 2، ص: 185 .

[3] – سورة النمل. الآية : 87 .

[4] – الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل. الزمخشري، جار الله بن القاسم محمود بن عمر. ج 4 ، ص: 476 ، وينظر: بلاغة التراكيب دراسة في علم المعاني. توفيق الفيل. ص: 298.

سرعة الفزع كما تؤكده (الفاء) الدَّالة على التعقيب، ولما في ذلك من التَّهديد والتخويف،"وكأنَّه ليس في ذلك اليوم أعظم من هذا الحدث، أوكأنَّ ذلك الحدث غطَّى على كلِّ ما في ذلك اليوم..

وهو من التنويع في أوصاف يوم القيامة، أنَّ كلَّ ما في ذلك اليوم جدير بأن يذكر فيعرف به، لذلك فإنَّ إضافة (يوم) إلى المضارع أكسبت الظرف أمرين: أحدهما الاستقبال والآخر العنوان المفهوم من حدث الفعل."[1]

أي : " يتَّضح من هذا أنه تُنُوسِيَ من المستقبل صفة الاستقبال، فلم يكن الماضي فيه معبرا عن المستقبل؛ لأنَّ التحقُّق من جهة الحدث لا من جهة الزمن، فالحدث المتحقق على هذا لا فرق فيه بين صيغة الاستقبال وصيغة المضي من حيث التحقق؛ لأنَّ الزمن بالنسبة للأمر المحقق ليس مانعا فلا يفهم من الفعل الماضي أكثر من كونه محققا؛ أي أنَّ الصيغة جيء بها لتبيين التحقُّق بلا نظر لمدلولها الزَّمني هذا احتمال . واحتمال آخر هو أن يكون المراد أنَّ الحدث المعبَّر عنه بالماضي، وإن كان مستقبل الوقوع فإنه نزل منزلة الماضي،لا من جهة لفظ الصيغة ،بل من جهة الحدث."[2]

و من الآيات الكريمات الدالة على أهمية الحدث ووقوعه دفعا لإنكاره، قوله تعالى : ﴿ **وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفّاً لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِداً وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ...** ﴾[3]

فيه تصوير مشاهد اليوم الآخر بالأفعال الماضية (حشرناهم، وعرضوا، ووضع ...) في سياق متتابع يصور وقوع الأمر حقيقة، ثم العدول المفاجئ عن أصل السِّياق؛ أي : من المضارع (نسير ترى) وهما مستقبلان ، إلى الماضي (حشرناهم) .

---

[1]- بلاغة القرآن الكريم دراسة في أسرار العدول. ظافر بن غرمان العمري. ص: 308.

[2]- المرجع نفسه. ص: 83.

[3]- سورة الكهف. الآيات: 47، 48، 49.

قال **أبو السّعود** (ت: **982هـ**) : " إيثار صيغة الماضي بعد (نسيِّر) و (ترى) للدَّلالة على تحقُّق الحشر المتفرع على البعث الذي ينكره المنكرون، وعليه يدور أمر الجزاء، وكذا الكلام فيما عطف عليه منفيا وموجبا، وقيل للدَّلالة على أنَّ حشرهم قبل التسيير و البروز ليعاينوا تلك الأهوال الأهوال.كأنه قيل وحشرناهم قبل ذلك."[1]

ويخالف **الألوسي أبا السّعود** في حمل الآية على معنى : وحشرناهم قبل ذلك بقوله: " في بعض الآيات مع الأخبار ما يدل على أن التسيير، و البروز عند النفخة الأولى وفساد نظام العالم و الحشر، وما عطف عليه عند النفخة الثانية، فلا ينبغي حمل الآية على معنى : وحشرناهم قبل ذلك، لئلا تخالف غيرها."[2]

ومعنى كلّ هذا الكلام : أنَّ كلَّ هذه الأحداث التي ذكرتها الآية سنعيشها لا محالة، وأنَّ زمن الدُّنيا في حساب الحقِّ كأنه زمن قد انتهى دلالة على عظيم قدرة الله، وعلى أهمِّية الحشر ووقوعه قاطعا الطريق على كل من ينكره . فالماضي (حّشّرنّاهُم) يفيد تهوين أمر الحشر عند الله وأنه على عظمته لا يحتاج منه وقتا طويلا لما يفيده من السُّرعة و المباغتة.[3]

ومما دلَّ على تجدد الفعل وتكرُّره أو التَّأكيد على انقطاعه ، قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ**﴾[4]

و السِّياق التَّعبيري في هذه الآية خالف في استعمال الفعل؛ حيث انتقل من الفعل المضارع (يشكر) إلى الفعل الماضي (كفر)، و المعيار كان يقتضي (يشكر ، يكفر).

---

[1] – إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. أبو السعود بن محمَّد العمادي الحنفي. تح: عبد القادر أحمد عطا. ج 3، ص: 527.

[2] – روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. الألوسي، محمود شكري. ج15، ص: 288.

[3] – ينظر: بلاغة القرآن الكريم دراسة في أسرار العدول. ظافر بن غرمان العمري. ص: 315. و ينظر: بلاغة التراكيب دراسة في علم المعاني. توفيق الفيل. ص: 298. و ينظر: خصائص التراكيب دراسة في علم المعاني. محمَّد محمَّد أبو موسى. ص: 265، 266.

[4] – سورة لقمان. الآية : 12.

وسبب تلك المخالفة السِّياقية كما قال **الفخر الرَّازي** أنَّ :"... فيه إشارة إلى معنى، وإرشاد إلى أمر؛ وهو أنَّ الشكر ينبغي أن يتكرَّر في كلِّ وقت لتكرُّر النعمة، فمن شكر ينبغي أن يكرِّر والكفر ينبغي أن ينقطع، فمن كفر ينبغي أن يترك الكفران؛ ولأنَّ الشُّكر من الشَّاكر لا يقع بكماله، بل أبدا يكون منه شيء في العدم يريد الشاكر إدخاله في الوجود ... فأشار إليه بصيغة المستقبل، تنبيها على أن الشُّكر بكماله لم يوجد، وأمَّا الكفران فكل جزء يقع منه تام، فقال بصيغة الماضي."[1]

أو للدلالة على الاختصاص زمنا أو على الصفة ، ويظهر ذلك في قوله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ** ﴾[2]

بحيث تم العدول عن المضارع (يمسّكُونَ) إلى الماضي (أقَامُوا)، ومردُّ هذا " التغيير في المشهورة للدَّلالة على أنَّ التمسُّك بالكتاب أمر مستمر في جميع الأزمنة، بخلاف إقامة الصَّلاة فإنها مختصة بأوقاتها، وتخصيصها بالذكر من بين سائر العبادات."[3]

وقد لمح الدكتور أحمد سعد محمد سرًّا لطيفا في هذا الخرق السِّياقي في استعمال الفعل وهو " أن إيثار التَّعبير بالمضارع قد دلّ على استمرار استمساكهم بكتاب الله، وتجدّده كلّما عنّ لهم في حياتهم أمر يهرعون إليه طلبا لهدايته، وتطبيقا لمنهجه . أمَّا الصَّلاة فإنَّها لما ﴿**كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَّوْقُوتاً**﴾[4] ، عبّر عن إقامتها بالفعل الماضي؛ للدَّلالة على ثباتها حتى صارت إقامتها على وجهها، وفي وقتها صفة لهم ونحيزة فيهم." [5]

---

[1]- التفسير الكبير. الرازي، فخر الدين. ج 25، ص: 146.

[2]- سورة الأعراف. الآية: 170.

[3]- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. أبو السعود بن محمَّد العمادي الحنفي. تح: عبد القادر أحمد عطا. ج 2، ص: 427.

[4]- سورة النساء. الآية: 103.

[5]- التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية. أحمد سعد محمَّد. ص: 184.

ج- بين الماضي و الأمر:

إنَّ خرق معيارية الزَّمن بالانتقال عن الماضي إلى الأمر، قد تدلُّ على سرعة الحدث وحصوله إذْلالاً لمن يقع عليهم الفعل.

قال تعالى مخاطبا بني إسرائيل: ﴿**وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَواْ مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ**﴾[1].لقد جاء السياق على النَّحو التالي: (عَلمْتُم، اعْتدَوا، قلنا، كُونُوا، فَجَعَلناهَا) ، والملاحظ سيطرة الزَّمن الماضي، وفي التحوُّل إلى الأمر (كُونُوا) شدٌّ للانتباه إلى الحدث وحصوله.

قال **أبو حيان** (ت**745**هـ):" (فقلنا لهم كونوا) أمر من الكون، وليس بأمر حقيقة؛ لأنَّ صيرورتهم إلى ما ذكر ليس فيه تكسّب لهم؛ لأنهم ليسوا قادرين على قلب أعيانهم قردة، بل المراد منه سرعة الكون على هذا الوصف... ومجازه أنه لما أراد منهم ذلك صاروا كذلك."[2]

وشبيه به قوله تعالى : ﴿**قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ**﴾ [3] ، فقد حصل الخرق في السِّياق التَّعبيري للآية من الفعل الماضي (أمر) إلى فعل الأمر (أقيموا) ، ليدلَّ على طلب الفعل على وجه الوجوب " لأنَّ المعنى المعبَّر عنه الذي هو إقامة الصَّلاة معنى مهم ، ... ثم في توجيه الأمر إليهم بإقامة الصَّلاة على مزيد العناية بها ... تجد التَّعبير بإقامة الوجوه فيه معنى العزّة، ورفع الرَّأس إلى السَّماء عند مساجد الله؛ حيث تنحني الأصلاب لخالقها، وتسجد في ساحته مؤكِّدة بذلك أنها لا تنحني لمخلوق مادامت عرفت الإنحاء للخالق، ولا تطأطئ في ساحة طاغية مادامت سجدت لله ربِّ العالمين لا شريك له

---

[1]- سورة البقرة. الآيتان: 65، 66.

[2]- تفسير البحر المحيط. أبو حيان الأندلسي، محمَّد بن يوسف. تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود و آخرون. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.تا)،ج 1، ص: 409. وينظر: معاني النحو. السامرائي، فاضل صالح. ج 4، ص: 27.

[3]- سورة الأعراف. الآية: 29.

ومن هنا كانت الصَّلاة، وكان التديّن المستنير الواعي ثورة على الفساد في الأرض، ورفضا للطغيان."[1]

وقد يرد الانتقال إلى الأمر للدَّلالة على كيفية وقوع الحدث. من ذلك قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ**﴾[2]

المطابقة السِّياقية تقتضي (فأماتهم، فأحياهم)، وهذا التحوُّل للدَّلالة على سرعة وقوَّة وقوع الحدث وشموليته الجميع، يقول **الزَّمخشري** :" فإن قلت: ما معنى قوله: (فقال لهم الله موتوا) ؟ قلت: معناه فأماتهم، وإنما جيء به على هذه العبارة للدَّلالة على أنهم ماتوا ميتة رجل واحد بأمر الله أو تلك ميتة خارجة عن العادة كأنهم أمروا بشيء فامتثلوه امتثالا من غير إباء ولا توقف..."[3]

و الملاحظ في التَّعبير القرآني " أنَّ المضارع المنفي بـ (لم) المعبّر به عن الماضي يلاحظ فيه معنى الاستمرار التجدّدي؛ لأنَّ المضارع بإفادته للتجدُّد متى دخل عليه النفي الدال على المضي بـ (لم) أفاد استمرار النفي استمرارا متجدِّدا في الماضي، وهو ضرب من تأكيد النفي؛ لأنَّ النَّفي المتجدِّد أقوى من النفي غير المتجدد، في أنه يقطع كلَّ احتمال لوقوع الفعل، ففيه معنى ورود النَّفي متجدِّدا مستمرًّا على الفعل أو على احتمال وقوع الفعل، ليقطع من النفس أدنى شك في احتمال الوقوع."[4]

---

[1]- خصائص التراكيب (دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني). محمَّد محمَّد أبو موسى. ص: 263.

[2]- سورة البقرة. الآية: 243.

[3]- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل. الزمخشري، جار الله بن القاسم محمود بن عمر. ج 1، ص: 470 .

[4]- بلاغة القرآن الكريم (دراسة في أسرار العدول في استعمال صيغ الفعل). ظافر بن غرمان العمري. ص: 263،264.

د- بين المضارع و الأمر:

مما يبلغ فيه الغاية قوله تعالى: ﴿ **قَالُواْ يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوَءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللّهِ وَاشْهَدُواْ أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ** ﴾[1]. أوتي بالمضارع (أشهد)، ثم عدل عنه إلى فعل الأمر (اشهدوا)، و لم يقل إني أشهد الله وأشهدكم؛ وذلك لإبراز البون الشّاسع بين الشّهادتين .

قال **الزّمخشري** : " فإن قلت : هلاّ قيل : إني أشهد الله و أشهدكم ؟ قلت : لأنّ إشهاد الله على البراءة من الشرك إشهاد صحيح ثابت في معنى تثبيت التّوحيد وشدّ معاقده، وأمّا إشهادهم فما هو إلاّ تهاون بدينهم، ودلالة على قلة المبالاة بهم فحسب، فعدل به عن لفظ الأوّل لاختلاف ما بينهما، وجيء به على لفظ الأمر بالشهادة، كما يقول الرّجل لمن يبس الثرى بينه وبينه: اشْهَدْ على أني لا أحبك؛ تهكّما به واستهانة بحاله."[2]

ويرى **ابن المنير** (ت:**689 هـ**) أنّه: " يحتمل أن يكون إشهاده لهم حقيقة، و الغرض إقامة لحجة عليهم، وإنما عدل إلى صيغة الأمر عن صيغة الخبر؛ للتّمييز بين خطابه لله تعالى وخطابه لهم، بأن يعبر عن خطاب الله تعالى بصيغة الخبر التي هي أجلّ وأوقر للمخاطب من صيغة الأمر."[3]

هـ- بين الأمر والماضي:

من ضمن خرق معيارية الزمن التحوُّل عن الأمر إلى الماضي ، دلالة على طلب الاستمرار كما في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى**

---

[1]- سورة هود. الآية: 53، 54 .

[2]- المصدر السابق، ج 3، ص: 209.

[3]- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل. الزمخشري، جار الله بن القاسم محمود بن عمر. ج 3، ص: 209 .

إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾[1]، ففي الآية خرق سياقي: (جعلنا، اتخذوا، عهدنا) .

يرى **الزمخشري** بتقدير محذوف وهو: (قلنا) قبل فعل الأمر (اتخذُوا)، أي: وقلنا اتخذوا منه موضع صلاة ، على وجه الاستحباب دون الوجوب؛ فقد طلب الله من المسلمين أن يتخذوا من مقام إبراهيم مصلًّى، وليس موقوتا بزمن، بل الأمر مستمر لا ينقطع، على وجه الاختيار والاستحباب لا الوجوب.[2]

ومن هذا الباب فقد يعبَّر بالماضي عن الأمر ،كما في قوله تعالى : ﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ...**﴾[3]، و السياق القرآني يطلعنا على الدعاء عليهم باللّعن والإبعاد من رحمته تعالى .

قال **الشوكاني** :(ت: **1250هـ**) " فمراد اليهود هنا – عليهم لعائن الله – أن الله بخيل، فأجاب سبحانه عليهم بقوله : (غُلّتْ أيْدِيهِم) دعاء عليهم بالبخل، فيكون الجواب عليهم مطابقا لما أرادوه بقولهم : (يدُ الله مغلولة)، ويجوز أن يراد غلّ أيديهم حقيقة بالأسر في الدُّنيا أو العذاب في الآخرة، ويقوي المعنى الأول أن البخل قد لزم اليهود لزوم الظلِّ للشَّمس، فلا ترى يهوديا وإن كان ماله في غاية الكثرة، إلاَّ وهو من أبخل خلق الله، وأيضا المجاز أوفق بالمقام لمطابقته لما قبله."[4]

---

[1]- سورة البقرة. الآية : 125 .

[2]- ينظر: المصدر نفسه. ج1، ص: 318، 319. و ينظر: معاني النحو. السامرائي، فاضل صالح. ج 4، ص: 31.

[3]- سورة المائدة. الآية: 64.

[4]- فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية في علم التفسير. الشوكاني، محمَّد بن علي بن محمَّد. تح: عبد الرحمن عميرة. ج 2، ص: 81.

جاء في (**بلاغة القرآن الكريم**) : " وكأنَّ في الآية تعليما للمؤمنين أن يكون من دعائهم على اليهود أن يقولوا لهم ذلك، إضافة إلى ما في الدُّعاء بصيغة الماضي من إفادة لمعنى تحقُّق الوقوع ...ويجوز أن يكون ترجيح الدُّعاء في قوله (غُلّتْ) دون الخبر على حقيقة اللفظ؛ لأنَّ فيه نوعا من الإهانة والتحقير. فبالإضافة إلى كون الأمر المدعو به عليهم متحققا لا محالة، فإنَّ من إيراده بطريقة الدُّعاء عليهم مزيدا من التَّعس، وإدخال الثُّبور إلى نفوسهم." [1]

وصفوة القول أنَّ الانتقال من صيغة إلى أخرى في بنية التَّعبير القرآني لا يكون إلاَّ لدلالة معيَّنة، وهذا من عبقريّة هذه اللُّغة التي اتَّخذها القرآن الكريم وعاء له، وأنَّ قرينة السِّياق لها الفعالية الكبرى في فهم كثير من مواضع الخرق.

[1] – بلاغة القرآن الكريم (دراسة في أسرار العدول في استعمال صيغ الفعل). ظافر بن غرمان العمري. ص: 398.

المبحث الثّاني :

تلوينات خرق المعياريَّة :

ينهج القرآن الكريم في توظيف آلياته اللّغوية أفعالا، وأسماء، وضمائر، وحروفا توظيفا إعجازيًّا في سياقات متنوِّعة، مع مراعاة العلاقات الدَّلالية في هذا التوظيف بما يخدم سياق الآيات، ويحفظ رونق وجمالية التَّعبير، وتتعدَّد تلوينات خرق المعيارية اللُّغوية في سياقاته باستغلال الطاقة التَّعبيرية لأسلوب الالتفات الذي يسهم في تحقيق نقلة نوعية في سياق الدَّلالة كونه " استئناف نظام جديد في توالي الجمل يخالف السَّابق ، ويحدث في الضَّمائر و الأفعال وأنواع الجمل ، وهو الذي كان يصفه بعض اللغويين القدماء بأنَّه من شجاعة العربيَّة، و إن كان غير قاصر عليها، ويتَّصل بتوزيع وتنويع النَّسق النَّحوي بطريقة تنتج شكلا بلاغيًّا جديدا."[1]

وهو أحد المسالك التَّعبيرية الشائعة في بنى القرآن الكريم وأسلوبه بكسر قيود المعيار، فيبتعد فيها الأسلوب عن المألوف إلى لغة الخرق ليشدَّ المتلقِّي إلى الخطاب، مما يجعله أكثر حيويَّة في إطار التَّواصل بين الباثِّ والمتلقِّي؛ لذلك فهو " يأتي بغير المتوقَّع لدى القارئ أو السَّامع ، فيؤدِّي إلى حالة من التيقظ الذهني و النَّشاط العقلي، ويبتعد عن المتلقِّي ما قد يصيبه من ملل نتيجة السير على نمط واحد من أنماط التعبير."[2]، وهو ما يقود إلى الاعتقاد بأنَّه من خلال " مبحث المطابقة الذي أقامه النحاة و اللغويون يظهر الالتفات كخاصية تعبيرية تتميَّز بطاقتها الإيحائية من حيث كان بناؤه يعتمد على العدول." [3]

---

[1] - بلاغة الخطاب وعلم النص. صلاح فضل. ص: 198.

[2] - الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية. سليمان فتح الله محمَّد. ص : 299.

[3] - البلاغة و الأسلوبية. محمَّد عبد المطلب. ص: 205.

امتدَّت القراءات التَّأويلية إلى ممكناته لما يشتبك فيه من العلاقات الغيابية، والعلاقات الحضوريَّة ضمن تحوُّلات مختلفة في الخطاب القرآني من سياق كلامي إلى سياق كلامي آخر وبطرائق متعددة بمخالفة وجوه المطابقة في الصِّيغ، والعدد، والضمائر... وغيرها ، "بل إنَّ مفهومه يتّسع ليشمل كلَّ تحوُّل أو انكسار في نسق التَّعبير لا يتغير به جوهر المعنى أو البنية العميقة له."[1] ، ولا تفهم هذه التحوُّلات إلاَّ في ضوء السِّياق اللُّغوي الذي يرجع إليه وحده تحديد طبيعة المعنى المراد.

إنه كسر لأفق التوقُّعات لدى المتلقي؛ إذ تنعقد مقصديته عند البلاغيين القدامى كونه يؤتى به " تطرية واستدرارا للسَّامع وتجديدا لنشاطه، وصيانة لخاطره من الملاَل، والضَّجر بدوام الأسلوب الواحد على سمعه." [2] ؛ ذلك أنه يقوم على مغايرة السِّياق التركيبي المتداول في بناء النص أو الجملة، و العدول به إلى مستوى تركيبي آخر لفائدة اقتضتها دلالة ذلك السِّياق الجديد .

أمَّا المحدثون منهم فيرون أنَّ" الالتفات ليس حيلة من حيل جذب اهتمام المتلقِّي وتشويقه؛ لأنَّ ما يحدث فيه من انحراف للنَّسق، أو انتقال في الإيراد الكلامي من صيغة إلى صيغة ليس انتقالا استطراديًّا مثلا، وليس تعليقا على ما قيل، أو ما حدث... وإنما ينحصر الأمر في بيان معنى على قدر كبير من الرَّهافة والخفاء لا يلفت المتلقي إليه، أو إلى البحث عنه، إلاَّ إدراكه للتغيُّر الحادث في النسق اللُّغوي للخطاب."[3]

ويضيف قسم من الدَّارسين إضافة إلى التَّبادل بين التكلم و الخطاب و الغيبة أنواعا أخرى من الالتفات، فيعدُّ " من الالتفات الإخبار عن المؤنث بالمذكر، والإخبار عن المذكر بالمؤنث والتحوُّل على المؤنَّث إلى المذكر، والانصراف عن المفرد إلى المثنى أو إلى الجمع، وكذلك التعبير عن المثنى

[1] - أسلوب الإلتفات في البلاغة العربية. حسن طبل. ص: 55.

[2] - البرهان في علوم القرآن. الزركشي، بدر الدين محمَّد بن عبد الله. ج3، ص: 314.

[3] - جماليات الإلتفات، عز الدين اسماعيل، ضمن كتاب : قراءة جديدة لتراثنا النقدي، النادي الأدبي الثقافي بجدة، السعودية، (د.ط)؛ 1410هـ، 1990م، ص : 879 .

بالمفرد، و التعبير عن المفرد بالمثنى، ومن الالتفات أيضا الإخبار عن الماضي بصيغة المضارع، أو الإخبار عن المستقبل بصيغة الماضي." [1]

أ- العـــــدد:

إن المتمعِّن في البنية القرآنية يجد فيه كثيرا من صور عدم المطابقة السِّياقية في مسألة العدد في (الإفراد والتنبيه والجمع)، فقد يكسر النَّسق المثالي بانتقال الكلام من صيغة إلى صيغة أخرى، وغالبا ما نجد فرقا في الدَّلالة والمعنى بين اللَّفظ في حالات الإفراد والتثنيه والجمع، و في لغة التَّنزيل قد تأتي اللفظة في موضع بصيغة الإفراد، ويتحوَّل عنها في موضع آخر، أو في الموضع نفسه إلى صيغة أخرى، وعليه فإنَّ الصيغة تتحدَّد دلالتها العامة بحسب ما يكتنفها من المعنى الخاص الذي يفهم من السِّياق الخاص التي وردت فيه .

فقد يكون العدول عن الجمع إلى الإفراد للإشارة إلى معنى دقيق في الجانب النَّفسي. من ذلك قوله تعالى : ﴿ **هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخاً وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** ﴾ [2]، وقوله أيضا: ﴿ ... **أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاء** ...﴾ [3] ، وكذلك :﴿ **وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا** ...﴾ [4]

[1]- الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية. سليمان فتح الله محمَّد. ص: 229.

[1]- سورة غافر. الآية : 67 .

[2]- سورة النور. الآية : 31 .

[3]- سورة النور. الآية : 59 .

تقتضي المطابقة اللُّغوية أن يقول السِّياق في الآية الأولى : (ثم يخرجُكم أطفالا) ، وفي تعليل هذا الخرق يرى القدامى أنَّ انتقال الكلام من الجمع إلى الإفراد إنما جيء به " للدَّلالة على الجنس ويحتمل أن يخرج كل واحد منكم طفلا."[1]

ذلك أنّ آية (غافر) تتحدَّث عن مراحل "خلق الإنسان من تراب، ثم من نطفة، ثم من علقة، فبنى الكلام على خلق الجنس، وليس على خلق الأفراد، فلم يقل خلقناكم من نطف، ثمَّ من علقات، أو ثم من مضغات ، بل بناه على المفرد الذي يفيد الجنس، و النطفة، والعلقة والمضغة تخرج طفلا لا أطفالا فناسب ذلك التعبير بالجنس." [2]

أمَّا آيتي (النُّور) فقد استعمل الطفل والأطفال للجمع؛ دلالة على أنَّ سماتهم النَّفسية، وصفاتهم الشَّخصية تلتقي في فرد واحد حقيقة ومعنى؛ لأنهم لا يدركون بعد عورات النساء، فخاطبهم بلفظ الإفراد وهو المناسب للسِّياق الأول . أما سياق الآية الثانية فمبنيّ على الجمع لا على الإفراد ولا على الجنس، وهي في معرض الكلام عن علاقات الأفراد الاجتماعية؛ فجاء الخطاب بصيغة الجمع؛ ولأنَّ ملامح شخصياتهم بدأت تتنوع وخصائص نفوسهم أخذت في التميّز والدَّليل أنهم مكلّفون بإتباع الشَّرع لبلوغهم، لذلك جمعهم إشارة إلى تعدُّد أحاسيسهم وموافقتهم بالنسبة إلى الجنس والزّينة، فكل واحد له إحساس خاص به، والذين لم يظهروا على عورات النساء، يجمعهم موقف وإحساس واحد، وهو عدم التمييز فأفردهم وكأنهم شخص واحد. [3]

وعن الذين يعملون السيئات قال فيهم الحقُّ تبارك وتعالى : ﴿ **حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ** ﴾[4]، فالمطابقة اللُّغوية في سنن الخطاب تقتضي أن يقول السياق (رب ارجعني).

---

[4]- تفسير البحر المحيط. أبو حيان الأندلسي، محمَّد بن يوسف. ج7، ص: 453.

[5]- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني. السامرائي، فاضل صالح. ص: 100.

[1]- ينظر: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني. السامرائي، فاضل صالح. ص: 101 ،102.

[2]- سورة المؤمنون. الآية: 99.

ويذهب المفسّرون إلى تعليل ذلك بأن المحتضر إنما يخاطب ربه بصيغة الجمع للتعظيم، ويرى آخرون أنه خطاب للملائكة، وكون ارجعوني بمنزلة ارجعني ارجعني ارجعني .[1]

وقد يكون لبيان الحالة النفسية التي يكون عليها هذا الصنف من الناس لما يقعون فيه من الحيرة، ولا يدرون ماذا يقولون، وفي هذا يقول **السهيلي** (ت:**581هـ**):" هو خطاب من حضرته الشياطين وزبانية العذاب، فاختلط ولا يدري ما يقول من الشَّطط، وقد اعتاد أمرا يقوله في الحياة من ردِّ الأمر إلى المخلوقين." [2]

ومن السِّياقات القرآنية التي تحقَّق فيها التحوُّل من التثنية إلى الجمع في مسألة المغايرة بين الضمير ومرجعه، على عكس ما نصَّ عليه أصحاب النَّظر النَّحوي من وجوب المطابقة بين الضمير ومرجعه إفرادا، وتثنية، وجمعا.

قوله تعالى ﴿ **هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ** ﴾ [3] ، فقدم المرجع المثنى (خصمان) إلاَّ أنَّ الضمير العائد على المرجع جمع حملا على المعنى؛ لأنَّ المقصود بالخصم مجموعة أفراد، لذا حمل الضمير في جمعه على معناه، فقال بموجب المطابقة في اسم الإشارة (هذان)، ولكنه غاير عند إسناد الفعل إلى الضمير (اختصموا) .

---

[3]- ينظر : التفسير الكبير. الرازي، فخر الدين. ج 23، ص: 121. و ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. الألوسي، محمود شكري. ج 18، ص: 23.

[4]- البرهان في علوم القرآن. الزركشي، بدر الدين محمَّد بن عبد الله. ج 2، ص: 235.

[1]- سورة الحج. الآية: 19.

يطالعنا صاحب (**الكشّاف**) أنّ :" الخصم صفة وُصف بها الفوج أو الفريق، فكأنه قيل: هذان فوجان أو فريقان مختصمان، وقوله : (هذان) للفظ واختصموا للمعنى ...ولو قيل: هؤلاء خصمان، أو اختصما: جاز يراد : المؤمنون والكافرون." [1]

والسِّياق يطلعنا على أنها في بيان مصير كلٍّ من المؤمنين والكافرين المتخاصمين يوم القيامة، كما أن (اختصموا) فعل للماضي دلالة على أنّ الخصومة انقضت وانتهت، ولعلّ المراد من هذا كلّه هو إنّ الخصمين المشار إليهما في الآية الكريمة هما في الأصل تلك الفرق أو الملل المختلفة (الصابئون، النصارى، المجوس، والذين أشركوا) التي تتحول يوم الفصل إلى فرقين (مؤمنين وكفار) فقط. [2]

و نجد كذلك في القرآن إفراد ما حقه أن يُثنّ . ومن أمثلة هذا النوع، قوله تعالى: ﴿ **فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى** ﴾ [3] ، وفيها نهي ومجازاة لآدم وحواء ، وكان بمقتضى المطابقة أن يقول (فتشقيا) ، لكنه عدل عن هذه الصيغة إلى الإفراد (فتشقى)، فقد " أسند إلى آدم وحده فعل الشَّقاء دون حواء بعد إشراكهما في الخروج، لأنَّ في ضمن شقاء الرّجل، وهو قيّم أهله وأميرهم شقاءهم، كما أنَّ في ضمن سعادته سعادتهم فاختصر الكلام بإسناد إليه دونها، مع المحافظة على الفاصلة، أو أريد بالشقاء : التَّعب في طلب القوت؛ وذلك معصوب برأس الرجل وهو راجع إليه." [4]

---

[2]- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل. الزمخشري، جار الله بن القاسم محمود بن عمر. ج 4، ص: 183.

[3]- ينظر: أسلوب الالتفات في البلاغة العربية. حسن طبل. ص: 100.

[4]- سورة طه. الآية: 117.

[5]- المصدر السابق، ج4 ، ص: 113.

ومن بدائع التّعبير القرآني استعمال صيغة جمع في سياق معين، ثم العدول إلى استعمال صيغة جمع أخرى في سياق آخر، ومما جاء في هذا الباب قوله تعالى : ﴿ **وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ**﴾ [1]، وقوله : ﴿**مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾[2]

فقد استعمل التعبير العدد (سبعة) بطريقتين هنا (سبع سنابل) وهي جمع كثرة، و (سبع سنبلات) وهي جمع قلة، وسبب هذا الخرق السياقي هو مناسبة سياق الآية الثانية " الدَّال على التكثير والمباركة من الله تعالى لهذه الصدقة، وإلاَّ فقد استغرب التمثيل بسنبلة تنبت مائة حبة، واستشكلوا إمكان وقوة ذلك، والمقصود أنه مقام تكثير وبركة من الله تعالى وجزاء واضح غير محدود." [3] عكس سياق الآية الأولى.

ومن المواضع التي جاء فيها العدول السياقي في صيغ الجمع في كتاب الله تعالى قوله: ﴿**...نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [4]، وقوله :﴿... **نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ** ﴾[5] نجد أنَّ لغةَ الخطاب في البقرة عمدت إلى جمع الكثرة ، في حين عمدت إلى جمع القلة في الأعراف.

وقد بسَط **الخطيب الإسكافي** (ت:**420**هـ) القول في هذه المسألة، وذهب إلى أنَّ السرَّ في استعمال جمع الكثرة في البقرة؛ لأنَّ بداية الآية جاء بإخبار الله عن نفسه، وهذا تعظيم فناسبه ذلك

---

[1]- سورة يوسف. الآية: 43.

[2]- سورة البقرة. الآية: 261.

[3]- الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم (دراسة نظرية تطبيقية). عبد الحميد أحمد هنداوي. عالم الكتب الحديث، إربد، عمان، ط1؛ 1429هـ، 2008م، ص: 186.

[4]- سورة البقرة. الآية: 58.

[5]- سورة الأعراف. الآية: 161.

يقـــول : " أمَّا الكلام في (الخطايا) واختيارها في سورة البقرة ، فلأنَّها بناء موضوع للجمع الأكثر و(الخطيئات) جمع السلامة ، وهي للأقل ... فاستعمل لفظ الكثير في الموضع الذي جعل الإخبار فيه عن نفسه بقوله : (وإذْ قُلنَا ادْخُلُوا)، وشرط لمن قام بهذه الطَّاعة ما يشرطه الكريـــم إذا وعـــد من مغفرته الخطايا كلّها، وقرنَ إلى الإخبار عن نفسه –جلّ ذكره– ما يليق بجوده وكرمه ، فأتى باللَّفظ الموضوع للشمول فيصير كالتوكيد بالعموم ... ولما لم يسند الفعل في سورة (الأعـــراف) إلى نفسه –عزَّ اسمه–، وإنما قال: (وإذْ قِيلَ لهمُ اسْكُنوا)، فلم يسمِّ الفاعل، أتى بلفظ (الخطيئات) وإن كـــان المراد بها الكثرة كالمراد بالخطايا ، إلاَّ أنَّه أتى في الأوَّل لما ذكر الفاعل بما هو لائق بضمانه في اللفظ، ولما لم يسم الفاعل في الثاني في سورة (الأعراف) وضع اللفظ غير موضعه للفرقان بين ما يـــؤتى بـــه على الأصل، وبين ما يعدل عنه إلى الفرع."[1]

غير أنَّ **الغرناطي** يخالف **الإسكافي** فيما قيل في توجيه استعمال الجمع، فذكر أن الجمع ورد في البقرة مكسرا ليناسب ما بنيت عليه آيات البقرة من تعداد النعم و الآلاء على بني إســـــرائيل، لأنَّ جموع التكسير ترد في الغالب للكثرة، فطابق ما ورد في البقرة من قصد تكثير الآلاء و النعم. وأمَّـــا الجمع بالألف و التاء فبابه القلة في الغالب ما لم يقترن به ما يبين أنَّ المراد به الكثرة، فناسب ما ورد في الأعراف حيث لم تدل على قصد تعداد النعم .[2]

ويذهب غيرهما إلى أنَّ ما جاء في سورة (الأعراف) كان " لأجل التَّعنيف علـــيهم، نتيجـــة كفرهم ومعصيتهم، فقد جاءت لغة الخطاب لتتخيَّر الجمع (خطيئاتكم) الدَّال على القلـــة، وكـــأنَّ المغفرة لا تتحقَّق إلاَّ لبعض الخطيئات القلـــيلة، غير العظيمة، وفي ذلك إشارة إلى تحذير القـــوم مـــن

[1] – درة التنزيل وغرة التأويل. الخطيب الإسكافي، أبي عبد الله محمَّد بن عبد الله الأصبهاني. تح: محمَّد مصطفى آيدين. جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية ، ط1 ؛ 1422هـــ ، 2001 م، ج 1، ص: 235، 236، 237.

[2] – ينظر: ملاك التأويل.الغرناطي، ابن الزبير. تح: سعيد الفلاح. ج1، ص: 207.

الارتكاس في الذُّنوب و المعاصي، ودفعهم إلى الإيمان، والتَّصديق بنبوة الرسول – صلى الله عليه وسلم –."[1] ، ومطلب المعنى هو الذي استدعى خرق المطابقة السياقية في مسألة العدد.

ب– التَّذكير و التَّأنيث :

ظاهرة التذكير و التأنيث من الظواهر اللُّغوية الشائكة التي عني بها الباحثون قديما وحديثا فالتذكير خلاف التأنيث، و المذكر خلاف المؤنث، ولقد لجأ بعض أصحاب النَّظر اللُّغوي إلى ردِّ ظاهرة مخالفة التركيب القرآني للتذكير و التأنيث إلى الحمل على المعنى، " فقد تقصد باللَّفظ المؤنَّث معنى مذكر، فتذكّر الفعل له، وقد تقصد باللفظ المذكر معنى المؤنَّث فتستعمله استعمال المؤنث حملا على المعنى."[2]

وقد يكون لأغراض أخرى يقرِّرها المعنى والسياق، كأن يذكر لفظا واحدا بالتَّذكير مرَّة، وبالتَّأنيث مرَّة أخرى، مثل ما جاء في تذكير و تأنيث (الشفاعة)؛ إذ جاء الفعل معها مؤنثا في عدة مواطن، منها قوله تعالى: ﴿**فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ** ﴾[3]، وقوله أيضا: ﴿**وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ**﴾[4] وغيرهما، إلاَّ في موطن واحد ورد بتذكيرها، هو قوله تعالى: ﴿**وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ**﴾[5]، والسبب: " أنَّ الآيات التي وردت بتأنيث الشَّفاعة هي بمعناها المؤنث. أمَّا الآية التي وردت بتذكيرها، فمعنى الشَّفاعة فيها هو (الشَّفيع)، أو على معنى (ولا يقبل منها طلب شفاعة)، ويدلك قوله تعالى هاهنا

---

[3]– لغة الخطاب في بني إسرائيل (دراسة أسلوبية دلالية). لافي محمَّد محمود زقوت. رسالة ماجستير(مخطوط)، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين؛ 2010م، ص: 117.

[2]– معاني النحو. السامرائي، فاضل صالح. ج 2، ص: 54 .

[3]– سورة المدثر. الآية: 48.

[4]– سورة سبأ. الآية: 23.

[5]– سورة البقرة. الآية: 48.

(ولا يقبل) ، بخلاف الآيات الأخرى... ممَّا يدلُّ على أنَّ الشَّفاعة في الآيات السَّابقة بمعناها دون الأخرى؛ لأنَّ الكافرين لا يشفعون لأنفسهم، وإنما يطلبون الشفاعة من غيرهم لهم؛ أي يطلبون شفيعا لهم عند ربهم."[1]

ومن التَّراكيب التي خولف فيها بين التذكير والتأنيث للإخبار عن العزيمة النَّفسية قوله تعالى: **﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾** [2]

والسِّياق المتوقع يقتضي أن يقول الباري – عزَّ وجلَّ – (وكانت من القانتات)، لكنَّ النَّصَ يكسر هذا التوقع، وعلة ذلك أن يكون الغرض من التَّذكير تنبيه المتلقي إلى نفسية مريم المليئة بالعزم، والثبات، والجرأة حين تواجه قومها بطفل صغير، وهي المعروفة بالأصل الكريم المتصفة بالأخلاق الحميدة، إضافة إلى قوة إيمانها بالله وتصديقها بكلمات ربها، كما عند القانتين من يقين وإيمان وثبات، وللمتخيل أن يتخيَّل كيف هي مشاعر امرأة عذراء من خجل وانكسار، وهي تواجه هذا الموقف العصيب بكل طمأنينة ماثلة في قفص الاتهام، وقليل ما هنّ كذلك، ولذلك نسبت في الخير إلى جمع المذكر السَّالم، حتى يعكس الأسلوب هذه العزيمة النفسية التي لا توجد إلا عند قلائل الرجال. [3]

ومن هذا الباب قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ**... ﴾[4]، فالنَّحويون يقولون بجواز تأنيث أو تذكير الفعل لكلِّ ماكان مؤنثا تأنيثا مجازيا، لكنَّ السَّبب الدَّلالي من وراء هذا العدول يتمثل في مخالفة المؤمنات العرف الجهادي في خروجهن مهاجرات في سبيل الله، وهو من مهام الرِّجال لما فيه من مشقَّة كبيرة وأذى شديد، ورغبن عن القعود، وفضّلن المشقة واقتحام الأهوال و المشاق انتصارا لدينهنّ ابتغاء مرضاة

[1] – المصدر نفسه، ج2، ص: 55.
[2] – سورة التحريم. الآية: 12.
[3] – ينظر: لطائف قرآنية. صلاح عبد الفتاح الخالدي. ص: 146، 147.
[4] – سورة الممتحنة. الآية: 10.

ربهنّ ؛ لأنَّ السِّياق سياق تحمُّل وثبات، فتحوَّل تبعا لذلك الفعل من التَّأنيث إلى التذكير، وكأنَّ فيه انعكاسا للرُّجولة على الفعل فتحوَّل إلى التَّذكير بدلا من مطابقة التأنيث بين الفعل و الفاعل.[1]

ومن سياقات الخرق النوعي تذكير وتأنيث (الصيحة) . قال تعالى: ﴿**وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ**﴾[2] بالتذكير ، وذلك في قوم صالح – عليه السَّلام – وقال كذلك: ﴿...**وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ**﴾[3] بالتأنيث، والخطاب في قوم شعيب، مع أن الفاعل في الموضعين واحد وهو الصَّيحة .

يمكن تفسير هذا العدول من ناحية السِّر البياني بالنظر إلى ما جاء في (**بدائع الفوائد**) نقلا لجواب **السهيلي** على أن:" الصَّيحة في قصة صالح في معنى العذاب والخزي، إذ كانت منتظمة بقوله سبحانه وتعالى: ﴿... **وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ**﴾[4]، فصارت الصَّيحة عبارة عن ذلك الخزي، وعن العذاب المذكور في الآية فقوي التذكير بخلاف قصة شعيب، فإنه لم يذكر فيها ذلك."[5]

ويعقب **ابن القيم الجوزية** (ت:**751هـ**) على هذا التحوُّل بقوله :"عندي فيه جواب أحسن من هذا إن شاء الله، وهو أنَّ الصَّيحة يراد بها المصدر، بمعنى : الصياح، فيحسن فيها التذكير ويراد بها الواحدة من المصدر، فيكون التَّأنيث أحسن، وقد اخبر تعالى عن العذاب الذي أصاب به قوم شعيب بثلاثة أمور كلّها مؤنثة في اللفظ: أحدها: الرَّجفة في قوله في (الأعراف): ﴿ **فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ**

[1] – ينظر: المرجع نفسه، ص: 149.
[2] – سورة هود. الآية: 67.
[3] – سورة هود. الآية: 94.
[4] – سورة هود. الآية: 66 .
[5] – بدائع الفوائد. ابن قيم الجوزية، أبي عبد الله محمَّد بن أبي بكر بن أيوب. تح: علي بن محمد العمران. دار علم الفوائد للنشر و التوزيع، جدة، السعودية، (د.ط)، (د.تا)، ج1، ص: 221.

فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ [1]، الثاني: الظُلة: ﴿**فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ** ﴾ [2]، الثالث: الصَّيحة: ﴿ **وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ** ﴾[3]، وجمع لهم بين الثَّلاثة، فإنَّ الرَّجفة بدأت بهم فاصحروا إلى الفضاء خوفا من سقوط الأبنية عليهم ، فصهرهم الشَّمس بحرِّها، ورفعت لهم الظُلة، فهرعوا إليها يستظلون بها من الشَّمس، فنزل عليهم منها العذاب، وفيه الصَّيحة، فكان ذكر الصَّيحة مع الرَّجفة والظلة أحسن من ذكر الصِّياح، وكان ذكر التاء أحسن –والله أعلم–."[4]

غير أنَّ الدكتور **السَّامرائي** يرى أنَّ ما ذهب إليه **ابن قيم** من تعليل اجتماع ثلاثة أشياء مؤنثة الألفاظ تعبيرا عن العذاب بقوله : " وهذا كلام فيه نظر، والصَّواب أنَّ (مَدْيَنَ) ذكر عنهم سبحانه أنهم أخذتهم الصيحة، وأنهم أخذتهم الرَّجفة، وأمَّا عذاب يوم الظلَّة؛ فإنه لم يصب (مدين) وإنما أصاب أصحاب الأيكة ... هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أن (الرَّجفة) أخذت قوم صالح أيضا ... فهذا التعليل فيه نظر ..." [5]

إنَّ آلية الخرق في النَّوع يسهم في تحقيق نقلة نوعية في سياق الدَّلالة المعبّر بها في إطار كلامي معيّن، للفت انتباه المتلقي لتجاوز البنية السطحية إلى البنية العميقة، والعبور باللغة إلى آفاق سياقية أرحب، ولكسب الخطاب القرآني دينامية مؤثرة. قال تعالى: ﴿ ... **إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [6]، على التذكير و لم يقل (قريبة) .

---

[1]- سورة الأعراف. الآية: 78.

[2]- سورة الشعراء. الآية : 189.

[3]- سورة هود. الآية :94 .

[4]- المصدر نفسه، ج1، ص: 221، 222.

[5]- أسئلة بيانية في القرآن الكريم. السامرائي، فاضل صالح. ص: 93، 94.

[6]- سورة الأعراف. الآية: 56 .

"وذلك لكسب معنيين: وهما قرب ورحمة الله وقربه هو أيضا، وليست الرَّحمة وحدها قريبة وذلك كما قال الله تعالى: ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ** ﴾[1]، فجمع بين المعنيين معا: قربه، وقرب رحمته فقدَّم الرَّحمة وأخبر عن الله، وهذا توسُّع في المعنى لا يؤديه الأصل."[2]

ومثل هذا التحوُّل يكشف عن طاقة تعبيرية كبيرة بخرق المألوف وكسر آلية الاعتياد اللُّغوي، قال الله تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَاءتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَـذِهِ لَنَكُونَنِّ مِنَ الشَّاكِرِينَ** ﴾[3]

من الملاحظ أن لفظة (الرِّيح) ذكرت مرتين موصوفة بصفتين مختلفتين: (طيبة)، و (عاصف) وهو اختلاف فيه توافق مع الحالة النفسية، حيث اللفظ (طيّبة) حين يشعر ركاب السفينة بالأمان والرَّاحة، وذكر(عاصف) على التذكير حين تحاصرهم الأمواج العاتية نتيجة تغير أحوال المناخ، فيشعرون بالخطر والخوف، لما في التأنيث من لطف ولين، وما في التذكير من قوة وشدَّة، فالآية تصور مشهد الفلك وهي تتحرك براكبيها رخاء تدفعها حركة الريح الطيبة، وهذه مشاعر أهلها تدركها وهم في حالة فرح شديد، وفي غمرة السرور تقع المفاجأة ، فتهب ريح عاصف فتترنّح السفينة، في حركة عنيفة تتناسق مع حركة الوجدان، حيث الهول يقبض على الأنفاس، فيظنون أن لا مناص من الهلاك وفي وسط هذا الهول المتلاطم، والفزع الكبير يأتي الفرج المتأتي عقب الدعاء، فتهدأ الأنفاس وتسكن القلوب. [4]

---

[1]- سورة البقرة. الآية: 186.

[2]- الجملة العربية والمعنى. السامرائي، فاضل صالح. دار الفكر، عمان، الأردن، ط1؛ 1428 هـ، 2007م، ص: 168.

[3]- سورة يونس. الآية: 22.

[4]- ينظر: في ضلال القرآن. سيد قطب. ج11، ص: 1774.

ومن هنا تبرز طريقة الأداء التّعبيري في تفضيل لفظة معينة على أخرى، " ومن ثمّ فإنّ اختلاف وسائل الأداء، وطرائقه يؤدّي حتما إلى اختلاف المردود في تصوير المعنى نفسيًّا و ذهنيًّا. فالمعاني ترتبط برباط وثيق مع وسيلة الأداء التعبيري وطريقته، فاختلاف الأداء يؤدي إلى اختلاف المعنى." [1]

ومن بديع التّعبير القرآني في استغلاله لطاقات أسلوب الخرق التعبيرية ، قوله تعالى: ﴿ **قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ فَرِيقاً هَدَى وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلاَلَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ اللّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ**﴾ [2]، وقال: ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلاَلَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ** ﴾ [3]. وردت لفظة (الضلالة) على التذكير وعلى التأنيث فما سر ذلك ؟

"ذكر (الضَّلالة) في آية (الأعراف) لأنها بمعنى العذاب؛ لأنَّ الكلام في الآخرة فإنَّ المعنى: تعودون كما بدأكم؛ أي يعيدكم كما أنشأكم فريقين، فريقا هداه الله وفريقا حقَّ عليه العذاب...؛ لأنَّ الآخرة ليست مقام ضلال، فإنَّ الأمر انتهى وانكشف الغطاء، واتَّضح ما كان مستورا خفيًّا... وكأنَّ المعنى (وفريقا حقَّ عليه مؤدَّى الضَّلالة)، ومؤدَّى الضَّلالة العذاب. أما في آية (النحل) فالضلالة بمعناها فأنثها لذلك، وهي في الدنيا وليست في الآخرة..."[4].

---

[1] – من جماليات التصوير في القرآن الكريم. محمَّد قطب عبد العال. سلسلة دعوة الحق، رابطة العالم الإسلامي، مكّة ، السّعودية؛ 1410هـ 1990م، ص: 43.

[2] – سورة الأعراف. الآيتان: 29، 30.

[3] – سورة النحل. الآية: 36.

[4] – معاني النحو. السامرائي، فاضل صالح.ج2، ص: 56.

ومما يلحق بهذه المسألة من بدائع طرائق الأداء التعبيري في البنية القرآنية العدول عن المطابقة بين الضمير ومرجعه تذكيرا وتأنيثا، خلافا لما قرره أهل اللغة من وجوب المطابقة بين الضمير ومرجعه " وينبغي أن يكون هذا الضَّمير بعدد ما يرجع إليه، ويرجع إلى الواحد واحد، وللاثنين اثنين، وإلى الجمع جمع ... وينبغي أن يكون هذا الضمير مطابقا لما يرجع إليه في التذكير و التأنيث، فيرجع إلى المؤنثة ضمير مؤنث، وإلى الاثنين ضميران مؤنثان، وإلى الجمع ضمير مؤنث مجموع." [1]

قال تعالى: ﴿ **فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [2]، والملاحظ في الآية أنه ذكر الضمير العائد على النعمة (أوتيته)، ثم انتقل إلى تأنيثه (بل هي فتنة) .

لقد ذكر العلماء سبب ذلك وهو أن تذكير الضمير حمل على معنى النعمة؛ لأنَّ المراد (شيء) من النِّعم . قال **الزَّمخشري** : " فإن قلت : لم ذكّر الضمير في (**أوتيته**) وهو للنعمة ؟، قلت : ذهابا به إلى المعنى؛ لأنَّ قوله : (نعمة منا) شيئا من النعم أو قسما منها." [3]

إضافة إلى"أنَّ ضمير التَّذكير ورد محكيا على لسان الإنسان، أمَّا ضمير التأنيث فقد ورد في إخباره سبحانه عن حقيقة المراد بالنعمة (بلْ هِيّ فِتنة)، ولعلَّنا في ضوء ذلك نستطيع القول إنَّ في تذكير ضمير النِّعمة أولاً إشعارا بمدى جحود الإنسان لها، وغفلته عن تذكُّر المنعم بها، مما تبرز معه المفارقة بين حاله عند تلقيها، وحاله عندما يمسه الضَّرر بزوالها، حيث يبادر في الحال الثانية إلى استحضار عظمته سبحانه، ويبادر إلى الاعتصام به (فإذَا مسَّ الإنسانَ ضرٌّ دعانَا)، ففي قول ذلك الإنسان عندما ينعم المولى عليه بشيء مالا كان، أو ولدا أو ما إلى ذلك: (إنَّما أوتيتُه عَلى عِلْم)

---

[1] – الأشباه و النظائر. السيوطي، جلال الدين. تح: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1985م، ج3، ص: 77.

[2] – سورة الزمر. الآية: 49.

[3] – الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل. الزمخشري، جار الله بن القاسم محمود بن عمر. ج 5، ص: 310، 311.

بتذكير الضَّمير دلالة على أنه آنذاك إنما ينظر إلى هذا (الشَّيء) الذي يتمتع به غافلا عن كونه (نعمة) من الله ناسيا إياه."[1]، وهذا التحوُّل في التذكير و التأنيث ينبع من داخل البنية لتحقيق حركية بانتقال البنى و التراكيب من شكل إلى آخر يتبع ذلك تحوُّل في المعنى و الوظيفة الدَّلالية، وهو إحدى الوسائل الهامة في إبراز المقاصد.

ج- الأبنية:

إن الحديث عن تنوُّع الصيغ المشتقة التي ترجع إلى مادَّة واحدة حديث يطول نظرا لغزارة المادة في هذا الباب، فهو يحتوي على صيغ كثيرة، وكلُّ صيغة لها معناها ودلالتها، والقرآن حين يأتي بإحدى صيغ أبنية الاشتقاق الكثيرة في أثناء التعبير يؤكد على معنى بياني يريده وسرّ دلالي يقصده؛ لأنَّ بنية الجملة القرآنية تتأسس من نسق محكم للكلمات تتواشج و تتآخى فيما بينها، وبذلك " يتأنَّق أسلوب القرآن في اختيار ألفاظه؛ ولما بين الألفاظ من فروق دقيقة في دلالتها يستخدم كلا حيث يؤدي معناه في دقَّة فائقة، تكاد بها تؤمن بأنَّ هذا المكان كأنما خلقت له تلك الكلمة بعينها، وأنَّ كلمة أخرى لا تستطيع توفية المعنى الذي وفَّت بها أختها، فكلّ لفظة وضعت لتؤدي نصيبها من المعنى أقوى أداء."[2]

ومن أمثلة الصِّيغ الفعلية التي يتم فيها مثل هذا الانتقال والتنويع في الاستعمال . قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوَءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ** ﴾[3] ، حيث " تكون الكلمة الحاضرة في النصِّ أقوى إلى حدٍّ ما من مرادفاتها

[1]- أسلوب الإلتفات في البلاغة العربية. حسن طبل. ص: 128، 129.

[2]- من بلاغة القرآن. أحمد أحمد بدوي. ص: 51.

[3]- سورة البقرة. الآيتان: 49، 50.

أو معوِّضاتها الممكنة، فالكلمة لا تختلف من حيث المعنى، ولكن معناها ــ مهما كانت طبيعته على مستوى اللُّغة ــ من الضروري أن يتبدّل في النص بواسطة ما يأتي قبله وما يأتي بعده."[1]

استعمل التعبير القرآني الصيغتين (نجّى- أنجي) للدَّلالة على النَّجاة وتخليص المرء من الأخطار غير أن (فعّل) بتشديد العين تدّل على تكثير المعنى وتأكيده، والمبالغة في إتيانه بخلاف (أفعل) كما أن صيغة (فعّل) بتشديد العين تفيد تكثير المعنى وتأكيده والمبالغة في إثباته.[2]

وسرّ ذلك "أن التخليص المدلول عليه بفعل التَّنجية (نجّى) - في الآية الأولى- كان من شرور آل فرعون التي تعدّدت فشملت بني إسرائيل في ذواتهم تعذيبا، وفي أبنائهم تذبيحا وفي نسائهم استحياء . أما التخليص بفعل الانجاء - في الآية الثانية - فقد كان فقط من خطر الغرق الذي كانت به نهاية هؤلاء الظالمين."[3]

وجرى في المدار نفسِه قول **الغرناطي** :" فلمَّا كان موضع تعداد نعم وآلاء ذُكّروا بها ليزدجروا عن المخالفة، و العناد ناسبه التَّضعيف لإثباته بالكثرة، ولو قيل هنا (وإذ أنجيناكم) لما أنبأ بذلك، ولا ناسب المقصود مما ذكر، وأيضا فإنَّ التَّضعيف في:(نجّيناكُم) يناسب التَّضعيف الوارد بعده بقوله : (يُذَبّحُونَ)، و لم يكن لفظ (أنجيناكُم) غير مضاعف ليناسب."[4]

وقد يرد ذلك التحوُّل في الصِّيغتين دالا على المدَّة الزمنية؛ أي "لمَّا كانت النَّجاة من البحر لم تستغرق وقتا طويلا، ولا مكثا استعمل (أنجى)، بخلاف البقاء مع آل فرعون فإنه استغرق وقتا طويلا ومكثا، فاستعمل له (نجى)." [5]

---

[1]- معايير تحليل الأسلوب. ميكائيل ريفاتير. تر: حميد لحميداني. دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1993م، ص: 21.

[2]- ينظر: أسلوب الإلتفات في البلاغة العربية. حسن طبل. ص : 67 .

[3]- المرجع نفسه. ص: 67.

[4]- ملاك التأويل.الغرناطي، ابن الزبير. تح: سعيد الفلاح. ج1، ص: 199.

[5]- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني. السامرائي فاضل صالح. ص: 71.

ومن هذا الباب قوله تعالى : ﴿ **نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ** ﴾[1] . فلماذا خص القرآن الكريم بصيغة فعّل (نزّل)، وخص التوراة و الإنجيل بصيغة أفعل (أنزل) ؟

قال **الغرناطي** : " إن لفظ (نزّل) يقتضي التكرار لأجل التضعيف. تقول : (ضرب) مخفَّفا لمن وقع منه ذلك مرة واحدة، ويحتمل الزيادة، والتقليل أنسب وأقوى . أما إذا قلنا : (ضرّب) بتشديد الراء، فلا يقال إلاَّ لمن كثر ذلك منه . فقوله تعالى : (نزّل عليك الكتاب) يشير إلى تفصيل المنزّل، وتنجيمه بحسب الدَّواعي، وأنه لم ينزل دفعة واحدة . أمَّا لفظ (أنزل) فلا يعطي ذلك إعطاء (نزّل) وإن كان محتملا ، وكذلك جرى أحوال هذه الكتب . فإنَّ التَّوراة إنما أوتيها موسى – عليه السلام – جملة واحدة في وقت واحد ... أمَّا الكتاب العزيز، فنزل مقسطا من لدن ابتداء الوحي ... "[2].أمَّا " الذين فرّقوا بين الصيغتين حملوا التضعيف على معناه الغالب وهو التكثير، ومن هذا المعنى رأوا أن إسناد التنزيل إلى القرآن – دون الإنزال – دلالة على نزوله منجَّما."[3]

ويذهب **الألوسي** إلى التَّفريق بين (نزّل) و (أنزل) مع إنكاره دلالة (نزّل) على التنجيم؛ حيث أرجع التعبير بـ (أنزل) إلى الإشارة إلى أنَّ التَّوراة و الإنجيل لم يكن لهما إلاَّ نزول واحد، بخلاف القرآن فإنَّ له نزولين، نزول من اللَّوح المحفوظ إلى السَّماء الدُّنيا جملة ونزول من السَّماء الدُّنيا إلى النبي – صلَّى الله عليه و سلّم – منجَّما. [4]

ويوضح الدكتور **حسن طبل** السرَّ الدَّلالي للصِّيغتين بقوله : "إنَّ الفرق بين صيغتي (نزل و أنزل) هو ما أشار إليه المفسرون من أن الأولى – بما تنضوي عليه بنيتها من تضعيف – تفيد معنى

---

[6]- سورة آل عمران. الآية: 03 .

[1]- ملاك التأويل.الغرناطي، ابن الزبير. تح: سعيد الفلاح. ج 1، ص: 286، 287.

[2]- الخلاف التصريفي وأثره الدلالي في القرآن الكريم. فريد بن عبد العزيز الزامل السليم. دار ابن الجوزي، السعودية، ط1؛ 1422هـ، ص : 120، 121 .

[3]- ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. الألوسي، محمود شكري. ج 3، ص: 76.

المبالغة، غير أنَّ المبالغة فيها لا تدل – كما لاحظوا – على تنجيم النُّزول أو كثرة التنزيلات، بل على تأكيد معنى النزول؛ أي المبالغة في إثبات وقوعه . أمَّا الصِّيغة الثانية (أنزل) فإنها تدل على مجرَّد النزول دون مبالغة أو تأكيد في إثباته." [1]

"وبهذا فإن صيغة (نزّل) يصير لها أربع دلالات هي : (المبالغة ، والتكثير ، و التدرُّج والتكرار)، وذلك بخلاف صيغة (أنزل) التي تقف حدودها الدَّلالية عند عمومية الإنزال وشموليته، ولعلَّنا ندرك هنا أنَّ التبادل الموقعي لهاتين الصيغتين إنما تحدِّده المقامات السِّياقية التي تتطلَّب مثل هذا التوظيف أو ذاك."[2]

ويرى **ابن عاشور** سرًّا لطيفا في التَّضعيف الوارد في صيغة (نزّل)؛ إذ " يؤذن بقوَّة الفعل في كيفيته أو كمِّيته ... إلاَّ أنَّه يقال : إنَّ العدول عن التعدية بالهمز، إلى التعدية بالتضعيف، لقصد ما عهد في التضعيف من تقوية معنى الفعل، فيكون قوله : (نزّلَ عليكَ الكتابَ) أهم من قوله: (وأنزل التوراة)؛ للدَّلالة على عظم شأن نزول القرآن."[3]

والحديث عن دلالة الصيغ المشتقة التي ترجع إلى مادة واحدة موضوع يطول فيه الحديث لكثرة مادته، فكل صيغة لها معناها ودلالتها، والتعبير القرآني حين يستعمل إحدى صيغ أبنية الاشتقاق ثمَّ يتحوَّل عنها إلى صيغة أخرى فإنه يكون للفتة دلالية ونكتة بديعة.

ومن نماذج تغير صيغ المصادر ذات الأصل الاشتقاقي الواحد قوله تعالى : ﴿ **قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلاَلَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ**

---

[4]- أسلوب الالتفات في البلاغة العربية. حسن طبل. ص: 58.

[1]- جماليات التلوين الصوتي في القرآن الكريم. أسامة عبد العزيز جاب الله. دار ومكتبة الإسراء للطبع و النشر و التوزيع، القاهرة، مصر، ط2؛ 2009م، ص: 211.

[2]- التحرير و التنوير. ابن عاشور، محمَّد الطاهر، ج 3، ص: 147 ، 148.

الْعَـالَمِينَ ﴾ [1]، فإنه ينبني الانتقال من (ضلال إلى ضلاله)، ونوح عليه السلام في موقع المتهم الذي يجب عليه نفي التهـمة (الضلال) عن نفسه، بصيغة المصدر (ضلال) لكنه تحـول عن هذه الصيـغة إلى اسم المرة (ضلالة) مبالغة في النفي .

قال **الزَّمخشري** : "فإن قلت: لم قال: (ليس بي ضلالة): و لم يقل ضلال، كما قـالوا؟ قلـت: الضلالة أخصّ، فكانت أبلغ في نفي الضلال عن نفسه؛ كأنَّه قال: ليس بي شيء من الضَّلال، كما لو قيل لك، ألك تمر؟ قلت: ما لي تمرة."[2]

واتهام القوم لسيدنا نوح – عليه السَّلام – أتى قويا تؤكده(إنّ و اللاّم) فكـان عليه أن تكون تبرئته لنفسه أقوى من اتهامهم؛ لأنَّ الضلال فعل يفعله الضال، و بالنَّظر إلى السِّياق فقد جاء جواب نوح بصيغ الأفعال (أبلِّغُكُم و أنصَحُ لكُم) لتحدث الملاءمة الدَّقيقة بين قوله وقولهم، فهو ينفي عنه الضلال بأفعال مضادة.

فقد كان اتهام القوم له "مبالغا فيه بادعاء رؤيتهم له في ضلال مبين بما يفيده لفظ الرؤيـة من اليقين والتثبيت، ولفظ (في) من معنى الإحاطة والانغماس في الضَّلال، ولفظ (مبين) بـصيغة (اسـم الفاعل) على ضلال بيِّن واضح ثابت، فناسب ذلك أن يسلك نوح في نفي هذا الاتهام مسلكا آكـد وأبلغ من إثباته، فلذا عدل عن صيغة المصدر إلى صيغة اسم المرة، وأوقعـتها نكـرة في سياق النَّفي لإفادة العموم، واختار حرف الجر (الباء) لنفي أدنى ملابسه له بالضلالة."[3] و في توظيف النفـي في الآية أثره في توجيه الدَّلالة، وهو مايفصله **ابن الأثير** بقوله : " إن قيل لا فرق بين الضلالة و الضلال، وكلاهما مصدر قولنا : ضلّ يضلّ ضلالا، وضلّ يضلّ ضلالة.

---

[3]– سورة الأعراف. الآيتان: 60 ، 61 .

[4]– الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل. الزمخشري، جار الله بن القاسم محمود بن عمر. ج 2، ص: 454 .

[1]– الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم (دراسة نظرية تطبيقية). عبد الحميد أحمد هنداوي. ص: 174.

كما يقال : لذّ يلذّ (لذاذا ولذاذة) . فالجواب : عن ذلك أن الضَّلالة تكون مصدرا كما قلت وتكون عبارة عن المرة الواحدة، تقول : ضل يضل ضلالة : أي مرة واحدة، كما تقول : ضرب يضرب ضربة، وقام ويقوم قومة، وأكل يأكل أكلة، والمراد بالضَّلالة في هذه الآية هو عبارة عن المرة الواحدة من الضَّلال، فقد نفى ما فوقها من المرتين و المِرار الكثيرة."[1]

وقد يكون الموجِّه في استعمال القرآن لصيغ المشتقات ذات الأصل الاشتقاقي الواحد هو السياق، حين تأتي البنية في التعبير القرآني بغير المتوقع لدى المتلقِّي، وكسر للمألوف لديه، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ **إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ شَاكِراً لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾[2]، وقوله عز وجل : ﴿ **ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً** ﴾ [3]، فالأصل الاشتقاقي لـ (شاكر، وشكور) واحد وهو (شكر) .

يقول البيضاوي (ت: **685هـ**) في تعليله التعبير بصيغة (شاكرا) : " ذكر بلفظ القلة للتنبيه على أنه كان لا يخلّ بشكر النعم القليلة فكيف بالكثيرة."[4] . أما صيغة (شكور) الواردة في حق نوح – عليه السلام – فكانت لإثبات حال هذا الأخير مع الله .

ومعنى ذلك أنَّ الوصف باسم الفاعل (شاكرا) في (إبراهيم) دلّ على الشكر على القليل لمناسبته جمع القلة (أنعم) فترتب على ذلك المكافأة الإلهية لهذا الشكر القليل: (اجتَباه و هَدَاه إلى صِرَاط مُستقيم)، فناسب القليل القليل؛ ولأنَّ نعم الله لا تحصى، وليس في مقدور أحد أن يشكر نعمه، بل

[1] – المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر. ابن الأثير، ضياء الدين، ج 2، ص: 205.
[2] – سورة النحل. الآيتان: 120. 121.
[3] – سورة الإسراء. الآية : 03 .
[4] – أنوار التنزيل. البيضاوي، ناصر الدين عبد الله بن عمر. نقلا عن : جماليات التلوين الصوتي في القرآن الكريم . أسامة عبد العزيز جاب الله، ص : 216 .

إنَّ إحصاءها ليس في استطاعة أحد فلا يطيق إنسان شكرها جميعها. أمَّا الوصف بصيغة المبالغة (شكور) في (نوح) إنما هو وصف ذات لا وصف حال. [1]

ومن روائع التعبير القرآني قوله تعالى : ﴿ **إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً** ﴾ [2] ،ففي جانب التَّعبير عن النعمة استعمل (شاكرا) بصيغة اسم الفاعل، وفي التَّعبير عن الكفر التفت إلى صيغة المبالغة (كفورا)، وهو تلوين يحقق غايتين هما : التَّوازن الإيقاعي بين الفواصل لتناسب ماقبلها (بصيرا ، سعيرا) هذا من جهة، ومن جهة أخرى ناسب التَّعبير بالقليل القليل، وبالكثير المبالغة، فرق الشاسع بين إقبال الإنسان على الشكر وإقباله على الكفر، فالصيغة إذن تتحدَّد دلالتها العامة بحسب ما يكتنفها من المعنى الخاص الذي يفهم من السِّياق الخاص للفظة. [3]

وقد يطالعنا التعبير القرآني بتحول في استعمال صيغ الاشتقاق ، وبخاصة في موضوع المتشابه في القرآن الكريم لأسرار دلالية يشي بها السِّياق، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ **لاَ جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ** ﴾[4]، حيث جاء التَّعبير باسم التفضيل، وتحول عنه إلى استعمال اسم الفاعل في قوله عزّ وجلّ : ﴿ **لاَ جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرونَ**﴾ [5]

جاء في (**درَّة التنزيل**) أن سبب الاختلاف راجع إلى المعنى؛ وذلك أن آية (هود) تقدمها قوله تعالى:﴿... **وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاء يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ** ﴾[6]، فصدُّوا عن السَّبيل وصدُّوا غيرهم عنه صدا استحقُّوا تضعيف العذاب؛ لأنهم ضلوا وأضلوا فهذا موجب الأخسرين دون الخاسرين من طريق المعنى . أمَّا آية (النَّحل) فإنَّه لم

---

[1]- المرجع نفسه، ص: 216 ،217. و ينظر: التعبير القرآني. السامرائي، فاضل صالح. ص: 40، 41.
[2]- سورة الإنسان. الآية: 03 .
[3]- ينظر: أسلوب الالتفات في البلاغة العربية. حسن طبل. ص: 74.
[4]- سورة هود. الآية: 22.
[5]- سورة النحل. الآية: 109.
[6]- سورة هود. الآية: 20.

يخبر فيها عن الكفار بأنهم مع ضلالهم أضلُّوا من سواهم، فلم يذكر ما يوجب مضاعفة العذاب. أمَّا الوجه الآخر فهو عن طريق اللفظ وهو موافقة الفواصل، ففي (هود) قبل قوله :(الأخسرون) قوله :(يبصرون) و (يفترون)، فما قبل الواو و النون متحركان لا يعتمدان على ألف قبلهما، بخلاف (الخاسرين) في آية (النَّحل) فإنَّها موافقة لما تقدمها كـ (الكافرين و الغافلين).[1]

وقد يتمُّ الانتقال و العدول من الصفة المشبهة إلى المصدر، وذلك في قوله تعالى على لسان إبراهيم – عليه السَّلام- : ﴿ **فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَـذَا رَبِّي هَـذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ** ﴾[2]، وقوله في سياق آخر : ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ**﴾[3]

فقد انتقل الخطاب بين الآيتين من الصفة المشبهة (بريء) إلى المصدر (براء) ، وتعليل ذلك الخرق : " أنَّ إبراهيم – عليه السلام – في آية (الأنعام) في مقام الحيرة، والبحث عن الحقيقة لا يعرف ربَّه على وجه التحقيق، فقد ظنَّ أنَّ الكوكبَ ربُّه، ثم القمر ثم الشمس، ثم أعلن البراءة من كل ذلك. أمَّا في الآية الثانية فهو في مقام التبليغ؛ فقد أصبح نبيًّا مرسلا من ربّه أعلن حربه على الشرك، وأعلن البراءة مما يعبد قومه، فهناك فرق بين المقامين والبراءتين ... ثم انظر كيف ناسب هذه القوة في البراءة والشدة بتوكيد الكلمة، بمجيء النون – أعني نون الوقاية – في آية (الزخرف) زيادة في

[1] – ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل. الخطيب الإسكافي، أبي عبد الله محمَّد بن عبد الله الأصبهاني. تح: محمَّد مصطفى آيدين. ج2، ص: 753، 754، 755 .

[2] – سورة الأنعام. الآية : 78.

[3] – سورة الزخرف. الآية : 26.

التوكيد فقال : (إنني براء)، و لم يأت بها في آية (الأنعام)، بل قال: (إني بريء) وأنّ النون في مثل هذا المقام تفيد التوكيد."[1]

ومن جماليات التعبير القرآني استعماله أسلوب العدول في الفعل المبني للمجهول ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ **رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ** ﴾[2] وقوله: ﴿ **إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاء رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ** ﴾[3]

جاء في (**درّة التنزيل**) : "(وطبعَ) في آخر آية افتتحت بقوله تعالى : ﴿ **وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ...** ﴾[4]، والمعنى : وإذا أنزل الله سورة فلما صدّرت الآية بفعل علم أن فاعله (الله) فيما لا يقتضي ذكر الفاعل به مزية، بل يقوم المفعول به مقامه، كان مثل هذا الفعل في منتهى الآية محمولا عليه؛ لأنَّه معلوم أنَّ الله تعالى يطبع، كما علم أنَّ الله يتزل، فكانت التوفقة بين آخر الآية وأولها في ذلك هو الاختيار، وفي الآية الأخرى وقعت هذه اللفظة منها في موضع إشباع وتأكيد ... فنفى الحرج عمّن قعد عن الجهاد لإحدى المعاذير التي ذكرها، ثم ألزم الحرج القوم الذين حالهم مضادة لأحوال أولئك ... كان موضع تنبيه وتأكيد وتخويف وتحذير ، فسمَّى الفاعل وهو (الله) تعالى ليليق الفعل إذا جاء هذا المجيء بمكانه."[5]

---

[1] – التعبير القرآني. السامرائي، فاضل صالح. ص: 38.

[2] – سورة التوبة. الآية: 87 .

[5] – سورة التوبة. الآية: 93 .

[4] – سورة التوبة. الآية: 86 .

[5] – درة التنزيل وغرة التأويل. الخطيب الإسكافي، أبي عبد الله محمَّد بن عبد الله الأصبهاني. ج 2، ص: 719، 720، 721.

ويوضح ذلك **السامرائي** بقوله : " إن إسناد الطبع إلى الله أشد تمكُّنا في القلب من بنائه للمجهول. فما أسند إليه صراحة يكون أثبت وأقوى مما لم يسند إليه . وعلى هذا فهو يسند الطبع إلى الله في مواطن المبالغة و التأكيد، وبينيه للمجهول فيما هو أقلُّ من ذلك ... فأنت ترى أنَّ الآخرين أشدُّ ضلالا وكفرا من الأولين، يدلُّك على ذلك ما ذكره من صفاتهم و أحوالهم . فإنَّه لم يذكر في الأولين سوى أنهم يستأذنون الرَّسول إذا أنزلت سورة تأمر بالإيمان و الجهاد ...فناسب ذلك إسناد الطبع إلى الله للدَّلالة على شدَّة تمكّن الكفر في نفوسهم وقلوبهم بخلاف الآية الأخرى."[1]

ومن هذا القبيل قوله تعالى : ﴿ **يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِن مَّعِينٍ بَيْضَاء لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ** ﴾[2]، وقوله : ﴿ **يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ**﴾[3]، نقرأ في (الصافات) اطراد السياق بالبناء للمجهول، فقال (يطاف ، ينزفون)، بينما في (القيامة) جاء النسق السياقي بالبناء للمعلوم ، فقال: (يطوف ، يصدعون ، ينزفون).

فإذا فتَّشت عن سرِّ الخرق وجدته راجعا إلى أنَّ : " معنى الآية في (الواقعة) أنَّ هذا الشراب لا ينفذ ولا ينقطع وأنهم لا يسكرون عنه. ومعناها في (الصَّافات) أنَّ هذا الشَّراب لا يذهب عقولهم فلا يسكرون عنه...؛ ذلك أنَّ سياق الآيات في سورة (الواقعة) إنما هو في السابقين المقربين، وهم أعلى الخلق من المكلفين، وسياق الآيات في سورة (الصَّافات)، إنما هو في المؤمنين المخلصين...والسابقون أعلى من هؤلاء، فإنهم أعلى الخلق من المكلفين، فإنه ليس كل مخلص من السابقين المقربين، وإن كل سابق مخلص، ولذلك نرى الجزاء مختلفا... فانظر يا هداك الله كيف ذكر

[1] - بلاغة الكلمة في التعبير القرآني. السامرائي، فاضل صالح. ص: 84، 85، 86 .

[2] - سورة الصافات. الآيات: 45 ، 46،47.

[3] - سورة الواقعة. الآيات: 17، 18، 19.

في الواقعة التقريب وهو يشمل الإكرام وزيادة، وذكر السرور وزيادة وهي أنها موضونة وذكر التقابل وزيادة وهو الاتكاء،وذكر الطواف وزيادة وهي الولدان المخلدون، وذكر الكأس وزيادة وهي الأكواب والأباريق، وذكر العين وزيادة وهي الحور، ونفى السكر وزيادة وهي عدم النفاد، وزاد نفي اللغو والتأثيم وإثبات السَّلام. "[1]

ومن أبنية الوصف ما جاء في قوله تعالى: ﴿...**وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ**... ﴾[2] وقوله كذلك ﴿... **وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ**...﴾ [3]، فقد قال في الأولى (مُشْتبهًا وغَيرَ مُتشَابه) وقال في الثانية (مُتشَابِها وغَيرَ متشابه)، وقال في كليهما (غيرَ مُتشَابه) .

جاء في (**البحر المحيط**) " هما بمعنى واحد كـ (اختصم وتخاصم)، و(اشترك وتشارك) و(استوى وتساوى) ، ونحوها مما اشترك فيه باب الافتعال والتفاعل."[4]

أمَّا تعليل **ابن الزبير** فقد نظر لميزان الخفة و الثقل بين الألفاظ بقوله : " لا فرق بينهما إلاَّ ما يعدُّ فرقا؛ إذ الافتعال و التَّفاعل متقاربان، أصولهما الشين و الباء و الهاء من قوله : أشبه هذا هذا إذا قارنه وماثله، وقد ورد في أولى الآيتين على أخفِّ بناء، وفي الثانية على أثقلهما رعيا للترتيب المتقرِّر."[5]، وقاعدة الأخفّ والأثقل سار عليها كثيرا في تخريجاته.

غير أنَّ المتأملَ في السيّاقين يدرك أنهما ليسا بمعنى واحد، وأنَّ كل لفظة وردت حسب المعنى الذي يقتضيه السّياق؛ إذ أن آية (الأنعام) الأولى هي في سياق بيان قدرة الله وآياته المعجزة

[1] – المصدر نفسه، ص: 79، 84.
[1] – سورة الأنعام. الآية: 99.
[2] – سورة الأنعام. الآية: 141.
[3] – تفسير البحر المحيط. أبو حيان الأندلسي، محمَّد بن يوسف. تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود و آخرون. ج4، ص: 194.
[4] – ملاك التأويل.الغرناطي، ابن الزبير. ج1، ص: 466.

في خـــلقه، أمَّا الآية الأخرى فسياقها يتحدث عن بيان الأطعمة، وما يفتريه أهل الكفر على الله من خلال ما يحلُّونه ويحرِّمونه منها، وأيضا في بيان عقائدهم الضالة.

وسرّ ذلك أنَّ : "الفعل (اشتبه) أكثر ما يفيد الالتباس والإشكال، وأنَّ(تشابه) أكثر ما يفيـــد معنى التشابه بين الشـــيئين أو الأشياء ، والمشاركة بينهما في معنى من المعاني سواء أدَّى ذلـــك إلى الالتباس أم لم يؤدّ، ومعلوم أنَّ الذي يستطيع أن يشبه الأمور حتى تلتبس على الناظر أو المتأمل، فـــلا يميز بينهما أقدر من الذي يقدر على أن يجعل مجرّد تشابه بين شيئين، وأنَّ الأمور المشتبهة كلّما دقّت كانت أدلَّ على القدرة والبراعة هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى إنَّ الأمور المشتبهة تحتاج إلى زيادة نظر وتأمُّل لإدراك حقيقة أمرها، فوضع (مشتبها) في السِّياق الدّال على قدرته وآياته، وفي موضـــع الأمر بالنَّظر (النّظر إلى ثمره) دون الموضع الآخر مما ليس في هذا السياق، فكان كلّ تعبير أنســـب في سياقه الذي ورد فيه ...فذلك؛ لأنَّ نفي التشابه ينفـــي الاشـــتباه ونفـــي الاشتـــــباه لا ينـــــفي التشابه." [1] ، والذي قاد إلى هذه المعاني هو السِّياق الذي أظهر قيمة الصِّيغة في تركيبـــها، وأتـــاح للدَّارس اتِّساق التَّعبير القرآني.

د- المجاور الدَّلالي:

يلجأ التعبير القرآني في توظيفه لبعض المفردات بما يوافق السياق إلى مجاور دلالي بعيـــدا عـــن الترادف، فتظهر ألفاظ مناسبة أكثر من غيرها لهذا السياق أو ذلك ، مثل قوله تعالى: ﴿ **مَن يَهْدِ اللّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَـــئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾[2]

[1] - بلاغة الكلمة في التعبير القرآني. السامرائي، فاضل صالح. ص: 90، 91، 92.

[2] - سورة الأعراف. الآية: 178.

فالآية قد اشتملت على سمات أسلوبية وفرها لها هذا الخرق الذي أبدل لفظا بلفظ آخر؛ بحيث تقتضي المطابقة اللغوية أن يكون التعبير السياقي على النحو التالي : (ومن يضلل فأولئك هم الضالون)، ولكن تحول السياق إلى مجاور دلالي (الخاسرون) .

ردَّ **الزَّمخشري** ذلك إلى الحمل على اللفظ (فهو المهتدي)، وحمل على المعنى (فأولئك هم الخاسرون). [1]، فجاء هذا التحوُّل ليعطي النصَّ تماسكا واضحا في شدِّ ذهن المتلقي، وتأمل إعجاز الكتاب الكريم .

ويرى الدكتور أسامة عبد العزيز أنَّ " السِّياق المقامي يقتضي تبيان المآل والعاقبة، فلذا جاء توظيف (الخاسرون) مناسباً لسياق التعبير بالفعل (يضلل) مسنداً إلى لفظ الجلالة (الله) إذ كيف يستقيم أن يضلّ الله أحداً فيكون ضالا فقط، ثم يقبل المنطق العقلي – تخيّلاً – أنه قد يهتدي فيما بعد . لكنَّ الأمر عندما يكون من الله فلا هداية مطلقاً فقد أضله الله فخسر؛ ولذا عبر بالاسم الثابت (الخاسرون). فالأمر هنا على ثبوت الحكم قطعياً لا ظنياً، وهكذا فإنَّ العدول عن الملائم هنا إلى المجاور كان أكثر مناسبة للمعنى، وأكثر إثراء للسِّياق النصِّي، وأكثر تعضيدا للجماليَّة الدَّلالية المبنية على التوازي و التوازن معا."[2]

[1] – الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل. الزمخشري، جار الله بن القاسم محمود بن عمر. ج2 ، ص: 533.

[4] – جماليات التلوين الصوتي في القرآن الكريم. أسامة عبد العزيز جاب الله. ص: 244.

ومنه قوله تعالى : ﴿**وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَداً وَلاَ تَقُمْ عَلَىَ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَاسِقُونَ**﴾ [1]، وفي هذه الآية عدول عن الملائم للفعل (كفروا) وهو لفظ (كافرون) إلى مجاور دلالي آخر هو (فاسقون).

يطرح **الفخر الرَّازي** سؤالا مفاده:"الفسق أدنى حالا من الكفر، ولما ذكر في تعليل هذا النهي كونه كافرا، فما الفائدة في وصفه بعد ذلك بكونه فاسقا ؟، والجواب أنَّ الكافر قد يكون عدلا في دينه، وقد يكون فاسقا في دينه خبيثا ممقوتا عند قومه، والكذب و النفاق و الخداع والمكر و الكيد أمر مستقبح في جميع الأديان، فالمنافقون لمَّا كانوا موصوفين بهذه الصفات وصفهم الله تعالى بالفسق بعد أن وصفهم بالكفر، تنبيها على أنَّ طريقة النفاق طريقة مذمومة عند كل أهل العالم. "[2]

ومن فنيات استعمالات التعبير القرآني أنه يأتي بالفعل ثم لا يأتي بمصدره، بل يعدل إلى ما يلاقي الفعل في الاشتقاق أي يأتي بمصدر فعل آخر، كقوله تعالى : ﴿**وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً**﴾ [3]، والمطابقة في البنية تقتضي أن يكون التعبير (وبتّل إليه تبتّلا) ، وبتّل مصدره التبتيل، وتبتّل مصدره التبتّل، والسرُّ في ذلك الجمع بين معنيين؛ أي أنه " لو قال (تبتل تبتلا) لم يزد على معنى التدرُّج، ولو قال (بتل نفسك إليه تبتيلا) ما زاد على معنى الكثرة، ولكن أراد المعنيين، فجاء بالفعل من صيغة، والمصدر من صيغة أخرى فجمعهما، فهو بدل أن يقول : (وتبتّل إليه تبتّلا وبتّل نفسك إليه تبتيلا) أخذ فعلا لمعنى، ومصدرا لفعل آخر فجمعهما ثم قدَّم التدرُّج على الكثرة، وهناك أمر فني آخر جميل؛ وهو أنه جاء بما يدل على التدرُّج بصيغة الفعل الدالَّة على التجدُّد والحدوث، وجاء بما يدل على الكثرة بالمصدر؛ لأنَّ الاسم فيه مبالغة وثبوت ... لأنها الحالة الثابتة المرادة في

[1] – سورة التوبة. الآية : 84 .

[2] – التفسير الكبير. الرازي، فخر الدين. ج 16، ص: 157.

[3] – سورة المزمل. الآية : 08.

العبادة، أمَّا حالة التدرُّج فهي حالة موقوتة يراد منها الانتقال لا الاستمرار، والاستقرار فجاء لكل معنى بما يناسبه." [1]

ويذهب **ابن القيم** إلى فهم سر هذا التحوُّل إلى المصدر المغاير لفعله كونه من حسن الاختصار والإيجاز بقوله : " ومصدر تبتّل إليه تبتّل كالتعلّم والتفهّم، ولكن جاء على التفعيل مصدر تفعّل لسر لطيف؛ فإن في هذا الفعل إيذانا بالتدريج والتكلُّف، والتكثّر، والمبالغة، فأتى بالفعل الدال على أحدهما، وبالمصدر الدال على الآخر، فكأنه قيل : بتّل نفسك إلى الله تبتيلا وتبتّل إليه تبتّلا، ففهم المعنيان من الفعل ومصدره، وهذا كثير في القرآن وهو من حسن الاختصار والإيجاز." [2]

وفي آية (المزمّل) المقصود (التبتّل) وهو الانقطاع إلى الله، وأما (التَّبتيل) فهو تصرف والمشتغل بالتصرف لا يكون منقطعا، إلاَّ أنه لابدَّ أوَّلا من (التبتيل) حتى يحصل (التبتل).[3]

ويضيف الدكتور فاضل السَّامرائي سرًّا تربويا حكيما للآية فيقول : " ... والمعنى : احمل نفسك على التبتل والانقطاع إلى الله في العبادة شيئا فشيئا حتى تصل إلى الكثرة، والمعنى : ابدأ بالتدرج في العبادة وانته بالكثرة، وليس من الحكمة أن يضع الصيغة الدَّالة على الكثرة والمبالغة أوَّلا، ثم يأتي بالصيغة الدالة على التدرّج والتكلّف فيما بعد، بل الطريق الطبيعي أن يتدرّج الإنسان في حمل النفس على الشيء من القلة إلى الكثرة والمبالغة حتى يكون وصفا ثابتا له، فهو وضعها وضعا تربويا أيضا."[4]

---

[1]- معاني النحو. السامرائي، فاضل صالح. ج 02 ص: 142 ، 143.

[2]- التفسير القيم. ابن القيم. تح: محمَّد حامد الفقى. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.تا)، ص: 501، 502.

[3]- الخلاف التصريفي و أثره الدلالي في القرآن الكريم. فريد بن عبد العزيز الزامل السليم. ص: 215.

[4]- التعبير القرآني. السامرائي، فاضل صالح. ص: 35.

وشبيه به قوله تعالى : ﴿ ... **وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالاً بَعِيداً**﴾[1]، والنَّسق المثالي يقتضي: (أن يضلهم إضلالا بعيدا)، فمصدر أضلّ إضلالا، و الضَّلال مصدر ضلّ، والمعنى " أنْ يُضلَّهم فيَضلُّوا ضلالا بعيدا، وقد جمع المعنيين : الإضلال والضَّلال في آن واحد، والمعنى أنَّ الشيطان يريد أن يضلهم، ثم يريدهم بعد ذلك أن يضلوا هم بأنفسهم، فالشيطان يبدأ المرحلة وهم يتمّونها، فهو يريد منهم المشاركة في أن يبتدعوا الضلال ويذهبوا فيه كل مذهب، يريد أن يطمئن أنهم يقومون بمهمته هو."[2] ، والمتأمل في بنية الخطاب القرآني يدرك أنها ذات ثراء دلالي معجز ، وإيحاءات لا تنتهي، فقد يخرق المألوف في المباني والتَّراكيب، ليشحنه بمعان جانبية، وظلال خاصَّة، وإشارات نفسية، ومن ثم أجمعوا على أن القرآن الكريم يستعمل الأبنية المختلفة استعمالا فنيا عجيبا.

هـ– الجملة القرآنية بين البنية العميقة و البنية السَّطحية:

إنَّ المتأمل في بنية التَّعبير القرآني في استخدامها لمختلف الآليات النَّحوية، و الصَّرفية، وما تؤديه من معان عديدة يجد لها أهميتها حيث تنبني عليها فروق واضحة، ودقيقة في دلالة الكلام على المعنى المراد والغرض المقصود، بحيث تتنوَّع مظاهرها، ويتَّضح ذلك جليًّا في استعمالات النص الكريم للفعل والاسم؛ إذ لكلٍّ منهما دلالته الخاصة التي لا تتحقَّق إلاَّ به، ولا يمكن وضع أحدهما مكان الآخر، فلكلٍّ واحد منهما مقام يستدعيه و سياق يقتضيه، فهو يوظف بنية الكلمة، ويعدل عن التعبير بالاسمية إلى الفعلية، وبالعكس في استعمال فنيٍّ في غاية الدقة؛ إذ من المعلوم كما قرَّره اللُّغويُّون: أنَّ التعبير بالاسم يفيد الثبوت والاستقرار، في حين أن التعبير بالفعل يفيد التجدد والحدوث .

[1]– سورة النساء. الآية: 60 .

[2]– معاني النحو. السامرائي، فاضل صالح.ج 02، ص: 144.

يقول **عبد القاهر الجرجاني**: "إنَّ موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدُّده شيئا بعد شيء، وأمَّا الفعل فموضوعه على أن يقتضي تجدُّد المعنى المثبت به شيئا بعد شيء."[1]

من ذلك قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَاناً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ** ﴾[2]، فالتركيب أحدث أثرا أسلوبيا في استعمال الصيغة الاسمية و الفعلية، فقد وظَّف الفعل (يخرج) مع حالة الإيجاد والخلق، ووظَّف الاسم بصيغة اسم الفاعل (مخرج) مع حالة الإفناء، فما سرُّ هذا التحوُّل في التعبير؟.

قال **الزَّمخشري** في تعليل ذلك بقوله : " فإن قلت : كيف قال (ومخرج الحي من الميت)بلفظ اسم الفاعل بعد قوله : (يخرج الحي من الميت)؟ قلت: عطفه على (فالق الحب و النوى) لا على الفعل، ويخرج الحيَّ من الميِّت موقعه موقع الجملة المبيّنة لقوله: (فالق الحبِّ و النَّوى)؛ لأنَّه فاق الحبِّ والنَّوى بالنبات والشجر الناميين من جنس إخراج الحيِّ من الميت؛ لأنَّ النَّامي – يعني الحيَّ– في حكم الحيوان..."[3]

أمَّا **ابن المنير** في حاشيته على (**الكشَّاف**) يرى أنَّه :" عدل عن اسم الفاعل إلى الفعل المضارع في هذا الوصف وحده، وهو قوله : (يخرج الحيَّ من الميِّت) إرادة لتصوير إخراج الحيِّ من الميِّت،

---

[1]- دلائل الإعجاز في علم المعاني. الجرجاني، عبد القاهر. ص: 147.

[2]- سورة الأنعام. الآيتان: 95 ، 96.

[1]- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل. الزمخشري، جار الله بن القاسم محمود بن عمر. ج2 ، ص : 374 ، 375 .

واستحضاره في ذهن السَّامع، وهذا التَّصوير والاستحضار إنما يتمكَّن في أدائها الفعل المضارع دون اسم الفاعل و الماضي."[1]

وعليه تتبيَّن القدرة الإلهية المعجزة في إخراج الحيِّ من الميِّت، ردًّا على من اعتقدوا جازمين عدم الحياة بعد الموت، فتورث القلوب رهبة وخشية من الخالق؛ حيث " كسر هذا النَّسق التَّعبيري إرادة للدَّلالات المبتغاة من التَّعبير بالفعل في حالة الإيجاد الحياتي لاستلزام ذلك الحركة، وتجدُّد الفعل والحدث دلالة على قدرة الخالق، واستلزم التَّعبير بالاسم من الصيغة ذاتها حين وصف عملية الإفناء، للتَّأكيد على ثبوت هذا المعنى في حقِّه تعالى وحده."[2]

ومن هنا فإنَّ المعرفة بالقواعد النَّحوية والصَّرفية تسهم في تشكيل المعنى الصَّحيح؛ لأنها من جملة القرائن الموصلة للفهم السَّليم . وهكذا نلحظ أنّ للجملة الاسمية وظيفة معينة تختلف عن الجملة الفعلية، فالتعبير الكريم قد أعطى لكل كلمة وظيفة جمالية يختلف منحاها عن الأخرى.

وبعبارة أخرى أنه : " استعمل الفعل مع الحيِّ فقال : (يخرج) ، واستعمل الاسم مع الميِّت فقال : (مخرج)؛ وذلك لأنَّ أبرز صفات الحيِّ الحركة والتجدُّد فجاء معه بالصيغة الفعلية الدَّالة على الحركة والتجدُّد، ولأنَّ الميِّت في حالة همود وسكون وثبات جاء معه بالصيغة الاسمية الدَّالة على الثَّبات."[3]

---

[2]- المصدر نفسه ، ج2 ، ص : 375.

[2]- جماليات التلوين الصوتي في القرآن الكريم. أسامة عبد العزيز. ص: 245.

[3]- التعبير القرآني. السامرائي، فاضل صالح. ص: 23.

وممَّا جاء في هذا المدار قوله تعالى : ﴿ **لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ**﴾[1]، فاقتضاء التَّوازي السِّياقي في الآية يوجب أن تكون صورة الجملة : (بسطت، ما بسطت). فلم جاء بالتَّعبير على صيغة الفعل ثم تحوَّل إلى صيغة الاسم؟.

قال **الزَّمخشري** : " (مَا أَنَا بِبَاسِط يَدِيَ إِلَيْكَ لأقْتُلَكَ) .قيل : كان أقوى من القاتل وأبطش منه، ولكنَّه تحرَّج عن قتل أخيه واستسلم له خوفا من الله؛ لأنَّ الدَّفع لم يكن مباحا ذلك الوقت ... فإن قلت : لم جاء بالشرط بلفظ الفعل والجزاء بلفظ اسم الفاعل، وهو قوله (لئن بسطت ... ما أنا بباسط)؟ قلت : ليفيد أنه لا يفعل ما يكتسب به هذا الوصف الشَّنيع، ولذلك أكَّده بالباء المؤكدة للنَّفي. "[2]

ويخالف **أبو حيَّان** صاحب (**الكشَّاف**) في الأخذ بقاعدة الشَّرط موضحا ذلك بقوله : " وهو كلام فيه انتقاد، وذلك أنَّ قوله تعالى: " (ما أنا ببَاسِط) ليس جزاء، بل هو جواب للقسم المحذوف قبل اللام في (لئن) المؤذنة بالقسم، والموطئة للجواب لا للشَّرط، وجواب الشَّرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه، ولو كان جوابا للشرط لكان بالفاء، فإنه إذا كان جواب الشَّرط منفيّا بـ (ما) فلابدَّ من الفاء ... ولو كان أيضا جوابا للشَّرط للزم من ذلك خرم القاعدة النَّحوية من أنه إذا تقدَّم القسم على الشَّرط فالجواب للقسم لا للشَّرط. "[3]

و"الشرط يقتضي أنه ليس في نيتي قتلك يا أخي المخاطب مادمت تنوي قتلي، ولكنَّه لا ينفي معنى : أنه ربما نويت قتلك إذا كنت لا تنوي قتلي، أمَّا معنى الوجه الثاني فعلى القسم، وهو الصواب

---

[1]- سورة المائدة. الآية: 28 .

[2]- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل. الزمخشري، جار الله بن القاسم محمود بن عمر.ج2، ص: 225، 226 .

[3]- تفسير البحر المحيط. أبو حيان الأندلسي، محمَّد بن يوسف. ج 3 ، ص: 477.

ومعناه: أقسم بأني لا أنوي قتلك (ما أنا بباسط يدي لأقتلك)، إن بسطت يدك لتقتلني أو لم تبسطها فلا نية عندي البتَّة، ففي الوجه الأول نفي نية المتكلم بالقتل مشروط، أمَّا في الوجه الثاني فالنفي مطلق ومؤكَّد بالقسم."[1]

ومن روائع النَّظم المعجز، قوله تعالى : ﴿ **إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ**﴾ [2]، ففي هاتين الآيتين انتقال وتحوُّل من صيغة الفعل (يسبحن) إلى صيغة الاسم (محشورة).

يعلِّل **الزَّمخشري** سر هذا الخرق السِّياقي بقوله : " فإن قلت : هل من فرق بين يسبِّحن ومسبِّحات ؟ قلت : نعم، وما اختير يسبِّحن على مسبِّحات إلاَّ لذلك، وهو الدَّلالة على حدوث التَّسبيح من الجبال شيئا بعد شيء، وحالا بعد حال، وكأنَّ السَّامع محاضر تلك الحال يسمعها تسبح ... وقوله (محشورة) في مقابلة (يسبِّحن)، إلاَّ أنَّه لما لم يكن في الحشر ما كان في التَّسبيح من إرادة الدَّلالة على الحدوث شيئا بعد شيء جيء به اسما لا فعلا، وذلك أنه لو قيل : وسخَّرنا الطير يحشرن على أنَّ الحشر يوجد من حاشرها شيئا بعد شيء، والحاشر هو الله – عزَّ وجلَّ– لكان خلفا؛ لأنَّ حشرنا جملة واحدة أدلّ على القدرة." [3]

ويضيف الدكتور **حسن طبل** بعدا دلاليًّا آخر بقوله : " لإبراز نعمتين خصّ الله بهما نبيَّه داود – عليه السَّلام–، وفي إيثار صيغة الفعل في التعبير عن النعمة الأولى، وصيغة الاسم في التعبير عن

---

[1]– «المعنى و القاعدة النحوية ». محمود حسن الجاسم. مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة و اللغة العربية و آدابها؛ 1425هـ، (ع32)، ج17، ص: 530، 531.

[2]– سورة (ص). الآيتان: 18 ، 19.

[3]– الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل. الزمخشري، جار الله بن القاسم محمود بن عمر.ج 5، ص: 250.

الثانية ما يجلِّي عظمة هاتين النعمتين من جهة، وخصوصيتهما بداود عليه السَّلام من جهة أخرى، ذلك أنَّ من شأن الجبال التَّسبيح الدَّائم، ومن ثم كان لإيثار صيغة الفعل المفيدة لمعنى التجدُّد (يسبحن) دلالتها على أنَّ التَّسبيح المقصود من الجبال ليس هو ذلك التَّسبيح الدائم، بل هو تسبيح خاص بنبي الله داود يتجدَّد بتجدُّد تسبيحه، وتلك الدَّلالة تدعمها دلالة الظرف (معه) وتقديمه على الفعل يسبِّحن في الآية الأولى، كذلك فإنَّ من شأن الطير الحركة وسرعة التنقُّل من مكان إلى مكان، ولهذا فإنَّ لإيثار صيغة الاسم في التَّعبير عن حشرها (محشورة) دلالته على أنها حين تحشر أو تتجمَّع لتجاوب تسبيح داود –عليه السَّلام – تكاد تفارق طباعها فتثبت في مكان حشرها خاشعة لا تكاد تريم. "[1]

وهذا التوظيف التحوّلي العدولي من جماليات الخطاب القرآني في توظيف الكلمة في تشكيلات لغوية تطبع البنية في التعبير القرآني بطابع تكثيف الدَّلالة .

أمَّا التَّحول من الاسمية إلى الفعلية ما نلمسه في قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ**... ﴾[2]، فاقتضاء التوازي الإيقاعي في الآية يوجب أن يكون على الشكل التالي : (لا هنّ حلٌّ لهم ولا هم حلٌّ لهنّ)، فلم ثم هذا الخرق والانتقال من التعبير بالاسم إلى الفعل؟. يقول **الزَّمخشري** :" فلا تردوهنّ إلى أزواجهن المشركين؛ لأنَّه لا حلّ بين المؤمنة والمشرك."[3]

[1]- أسلوب الالتفات في البلاغة العربية. حسن طبل. ص: 87.
[2]- سورة الممتحنة. الآية: 10 .
[3]- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل. الزمخشري، جار الله بن القاسم محمود بن عمر. ج 6، ص: 96.

إن زاد المفسِّر هو المعرفة بالآليات اللُّغوية لترتقي الدَّلالة إلى مساحة أوسع، وعليه فالتَّعبير في الآية إلى قسمين : " الأول : (لا هنّ حل لهم)، أي أنَّ هؤلاء المؤمنات أصحن محرَّمات على أزواجهنّ المشركين؛ لأنَّه لا يجوز لمؤمنة أن تكون زوجة لمشرك بعد إسلامها، فعبَّر بالصِّيغة الاسمية (حلّ) تأكيدا على هذا المعنى، و تثبيتا لهذه الصفة التي لا يمكن أن تتغير لأنها من أحكام الإسلام . والثاني : (لا هم يحلون لهنّ)، أي إنَّ هؤلاء المشركين انتفت عنهم صفة الزَّوجية من هؤلاء المسلمات بإسلامهنّ، ولكن الرَّحمة الإلهية عدلت عن التَّعبير بالاسمية في كلمة (حلٌّ) إلى التعبير بالفعلية لإمكانية أن يدرك هؤلاء المشركون الإسلام، فيعودون إلى أزواجهم مرة أخرى فأفاد التعبير بالفعلية هنا على معنى الرَّحمة في التشريع، وفتح الباب أمام هؤلاء لتجديد الفعل بالإسلام، واسترجاع الحلة مرَّة أخرى، ولو عبَّر بالصيغة الاسمية لامتنعت عودة هؤلاء الأزواج إلى نسائهم المؤمنات، وذلك بإفادة التَّعبير بالاسم معنى الثبات، وهذا ما لم يتم."[1]

ومن جمايات الاستعمال الفني خرق نمطية البنية في التعبير القرآني؛ وذلك في تحوُّل سياقاته عن التَّعبير بالكلمة إلى التَّعبير بالتَّركيب، والتحوُّل عن التعبير بالتركيب إلى التَّعبير بالكلمة المفردة، ويتبيَّن ذلك جليا من خلال النماذج الإنزياحية الآتية:

قوله تعالى : ﴿ **اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ** ﴾[2]، ولو كان التَّعبير في غير القرآن لكان على النحو التالي (جعل لكم اللَّيل لتسكنوا فيه والنَّهار لتبصروا فيه)، ولكن ثم التحوُّل عن التعبير بالتركيب (لتبصروا فيه) إلى التعبير بكلمة مفردة (مبصرا). فلم ورد هذا التحول على هذه الطريقة ؟.

[1] – جماليات التلوين الصوتي في القرآن الكريم. أسامة عبد العزيز. ص: 250، 251.

[2] – سورة غافر. الآية: 61 .

وذلك أنه جمع الحقيقة والمجاز في حيِّز تعبيريٍّ واحد، ولو جعلهما بصورة تعبيرية واحدة؛ أي بصيغة التركيب لفاتت هذه المزية الفنية، فإنه ذكر نعمة الله علينا في الليل بالتركيب (لتسكنوا) ولو قال(ساكنا) لا نتفت الدَّلالة على نعمة الله على الخلق من ناحية، ولكانت (لكم) على الزيادة؛ أي قصد النعمة والتفضُّل علينا، كما أنَّ المجازية تنتفي لو قال (ساكنا)؛ لأنَّ الليل يصحُّ أن يوصف بالسُّكون، كما نقول (ليل سكان ، وليل ساج)، وبالتالي فتحويله إلى المفرد في جانب اللَّيل –لو تمَّ – ليس فيه فائدة دلالية، إضافية إلى أنَّه يبصر أعمالنا، ويكون شاهدا علينا بالخير والشر. [1]

جاء في **الكشَّاف** :" فإن قلت : لم قرن الليل بالمفعول له والنهار بالحال ؟ وهلاَّ كانا حالين أو مفعولا لهما فيراعي حق المقابلة ؟ قلت : هما متقابلان من حيث المعنى؛ لأنَّ كلَّ واحد منهما يؤدِّي مؤدَّى الآخر؛ لأنَّه لو قيل: (لتبصروا فيه) فاتت الفصاحة التي في الإسناد المجازي، ولو قيل : ساكنا، والليل يجوز أن يوصف بالسُّكون على الحقيقة، ألاَ ترى إلى قولهم : ليل ساج وساكن لا ريح فيه، لم تتميز الحقيقة من المجاز." [2]

وقد يتم العدول عن التعبير بالمفردة إلى التعبير بالتَّركيب، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَإِ اللّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ [3]

---

[1]- ينظر: التعبير القرآني. السامرائي، فاضل صالح. ص: 27.

[2]- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل. الزمخشري، جار الله بن القاسم محمود بن عمر. ج5 ، ص : 357.

[3]- سورة الأنعام. الآية: 39 .

فيه خرق نسقه المألوف بالتحوُّل عن التعبير بالمفردة (يهديه) إلى التعبير بالتَّركيب الجملي (يجْعَله عَلى صِرَاط مُستَقِيم)، والفاعل واحد هو الله عزَّ وجلَّ، وأتى بالجملة الفعلية المفردة الدَّالة على التجدُّد و الحدوث في (يضلله)، ثم تحوَّل إلى استعمال التَّركيب (يجْعَله عَلى صِرَاط مُستَقِيم) لمناظرة ما قبلها في الحكم؛ ذلك لأنَّ طريق الهداية طريق ينبغي سلوكه إليها، فأتى بالتركيب الطويل لما في طريق الهداية من طول، وأتى بالتعبير القصير لأن نتيجة الضَّلالة آنية فورية . [1]

ومن هنا فإنَّ للجملة الاسمية وظيفة معينة تختلف عن الجملة الفعلية؛ فالذِّكر الحكيم قد أعطى لكلِّ كلمة وظيفة جمالية يختلف منحاها عن الأخرى، وكلاهما قد حفل بهما النصُّ القرآني بشكل متناغم وسلس يؤكِّد عُلوَّ مترلته.

وجملة القول أنّ خرق البنية في التَّعبير القرآني يتَّسم بالثَّراء الدَّلالي، فمرَّة يؤسِّس تنويعاً تركيبياً في استعمال الفعل ، ومرَّة يميل إلى استعمال صيغة دون أخرى ، أو يوظف مجاورا دلاليًّا دون آخر، لغاية فنِّية يتطلَّبها السِّياق، ومرَّة يأتي التَّعبير زاخرا بتلوينات عدَّة تقوم على تأسيس بنى متداخلة فيما بينها، وكذلك تعمل على مدِّ التعبير بالدَّلالات الممكنة، و تفضي إلى وظائف جمالية عبَّر عنها النصُّ القرآني أروع تعبير.

[1] – ينظر: جماليات التلوين الصوتي في القرآن الكريم. أسامة عبد العزيز. ص: 253، 254.

الفصل الثَّالث:

دلالة الخرق في حروف المعاني

توطئة:

يقسِّم علماء العربيَّة الحروف إلى نوعين، حروف المباني، وحروف المعاني؛ فالأوَّل يكمن دورها في بنية الكلمة و تركيبها، أمَّا الثاني فيقوم بالرَّبط بين أجزاء الكلام الواحد، وإيصال معاني الأفعال إلى الأسماء ليكون مفهوما ومفيدا؛ أي هذه الحروف الأخيرة تدلُّ على معنى في غيرها، لصلتها بفهم مقصديَّة الخطاب، ولحروف المعاني دلالتها المستقلة، ووظيفتها الإعرابية، وقد يعزى فهم مقاصد الخطاب والقضايا الدِّراسية والمسائل الفقهية، إلى فهم هذه الحروف، أو علاقتها بما تدخل عليه؛ فهي إلى جانب كونها رابطة تحمل معاني ودلالات تصبغ بها الكلام .

وقد التفت **الحسن بن قاسم المرادي** (ت:**794** هـ) إلى أهميَّة حروف المعاني، ودورها في إبراز الأغراض و المقاصد قائلا:"فإنه لمـَّا كانت مقاصد كلام العرب على اختلاف صنوفه مبنيًّا أكثرها على معاني حروفه، صرفت الهمم إلى تحصيلها، ومعرفة جملتها وتفصيلها، وهي مع قلَّتها وتيسُّر الوقوف على جملتها، قد كثر دورها، وبعد غورها، فعزّت على الأذهان معانيها، وأبت الإذعان إلاّ لمن يعانيها."[1]

وقد خُفي عن كثير من العلماء أسرارها، من ذلك ما ذكره **الخطَّابي** (ت: **388**هـ) " عن مالك بن دينار قال : جمعنا الحسن لعرض المصاحف أنا، وأبا العالية الريَّاحي، ونصر بن عاصم اللَّيثي وعاصما الجحدري، فقال رجل : يا أبا العالية، قول الله تعالى في كتابه : ﴿**فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ**﴾[2]، ما هذا السهو؟ قال : الذي لا يدري عن كم ينصرف، عن شفع أو عن

[1] – الجنى الداني في حروف المعاني. المرادي، حسن بن قاسم. تح: فخر الدين قباوة و محمَّد نديم فاضل. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1؛ 1413هـ ، 1992م، ص: 19.

[2] – سورة الماعون. الآيتان: 04، 05.

وتر، فقال الحسن: مَهْ يا أبا العالية، ليس هذا، بل الذين سهوا عن ميقاتهم حتى تفوتهم. قال الحسن : ألا ترى قوله عزّ وجلّ (عن صلاتهم)." [1]

ويعلِّق **الخطَّابي** قائلا: " قلت و إنما أُتِيَ أبو العالية في هذا حيث لم يفرِّق بين حرفي (عن) و في، فتنبَّه له الحسن فقال : ألاَ ترى قوله (عَنْ صَلاتهم) يؤيِّد أنَّ السَّهوَ الذي هو الغلط في العدد إنَّما هو يعرض في الصَّلاة بعد ملابستها، فلو كان هو المراد لقيل: في صلاتهم ساهون، فلما قال (عن صلاتهم) دلّ على أنَّ المراد به الذَّهاب عن الوقت." [2]

وعدّها **جلال الدِّين السَّيوطي** (ت:**911 هـ**) من الأدوات التي يحتاج إليها المفسِّر بقوله:"وأعني بالأدوات الحروف، وما شاكلها من الأسماء والأفعال، والظروف . اعلم أنَّ معرفة ذلك من المهمَّات المطلوبة لاختلاف مواقعها، ولهذا يختلف الكلام والاستنباط بحسبها."[3]؛ لأنَّ " القواعد التي يحتاج إليها المفسِّر في فهم القرآن ترتكز على قواعد العربية، وفهم أسسها، وتذوُّق أسلوبها، وإدراك أسرارها."[4]

انتهى أئمَّة البيان إلى أنَّ القرآن معجز بنظمه الذي تمسك بنسيجه حروف المعاني،فهي موضوعة بشكل فنيٍّ رفيع يحقق تلاحم أجزائه، فقد تتغير دلالة اللفظ الواحد بسبب تغيير الحرف الداخل عليه، وقد يؤدي إلى النقيض من الدَّلالة؛ لأنَّ للحروف"معاني تخرج بها عن عملها النَّحوي، وأنَّ هذه المعاني لا تكتسب وجودها من الدّلالة المعجمية، وإنما من السِّياق الوظيفي فمعنى هذه

[1] – بيان إعجاز القرآن. إبراهيم الخطابي. ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن. تح: محمَّد خلف الله أحمد ومحمَّد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط3؛ 1976م، ص: 32.

[2] – بيان إعجاز القرآن. الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمَّد بن ابراهيم. ص: 33.

[3] – الإتقان في علوم القرآن. السيوطي، جلال الدين. تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، المدينة المنورة، السعودية، (د.ط)؛ 1426هـ، ج3، ص:1004.

[4] – مباحث في علوم القرآن. مناع القطان. مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط11؛ 1421هـ، 2000م، ص: 185.

الحروف هو وظيفتها في آن واحد، ومن هنا كانت عملية العدول بين الحروف ذات تأثير بالغ في الدَّلالة."[1]

تكمن أهمِّية الحرف عموما في تغير دورها الدَّلالي بتغيُّر السِّياق، فقد خُصّ الحرف بمرونة دلالية لا يشركه فيها الاسم أو الفعل، ومن هنا فإنَّ قيمة الحرف ومعناه يتحدَّد بالسِّياق وحده فهو الذي يضفي على الحرف قيمة دلالية. فالحرف الذي يكون له معنى في سياق ما قد يدلُّ على معنى مغاير في سياق آخر، والتَّركيب النَّحوي السِّياقي لا يقدِّم رؤية دلالية إلاّ من خلال تلك العلاقات، والبُنَ

المكوّنة له، والتي تكون الحروف أحد أدواته؛ لذلك " تقوم حروف المعاني بدور أساسي في الكلام، ويمكن القول إنَّ لها وظيفتين أساسيتين : الأولى: وظيفة نحوية؛ وهي تحقيق الترابط بين مكوِّنات الجملة أو الكلام، سواء كانت عاملة أو غير عاملة، الثانية: وظيفة دلالية معنوية؛ وهي المساهمة في تحديد دلالة السِّياق، وفي المحصِّلة النهائية فإنَّ وظائفها متكاملة، ومتداخلة تنصهر فيها العناصر النَّحوية بالمكوِّنات الدَّلالية."[2]؛ أي تقوم بدور مهم في بنية التعبير القرآني من جهة الدَّلالة على المعنى، لما لها من طاقات تعبيرية، وقدرة أسلوبية على الإشارة إلى المعاني والضلال في السياق.

وقد أشار الشيخ محمود محمد شاكر في تصديره للقسم الأوَّل من كتاب (**دراسات لأسلوب القرآن الكريم**) للشيخ محمد عبد الخالق عضيمة إلى أنَّ " حروف المعاني التي يتناولها هذا القسم الأول من جمهرة علم القرآن العظيم، أصعب أبواب هذه الجمهرة، لكثرتها وتداخل معانيها. فقلَّ أن تخلوَ آية من القرآن العظيم من حرف من حروف المعاني، أمَّا المشقة العظيمة فهي في وجوه اختلاف مواقع هذه الحروف من الجمل، ثم اختلاف معانيها باختلاف مواقعها ثم ملاحظة

[1] – البلاغة و الأسلوبية. محمَّد عبد المطلب. ص: 284.

[2] – معجم حروف المعاني في القرآن الكريم. محمَّد حسن الشريف. مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1؛ 1417هـ، 1996م، ص: ش.

الفروق الدَّقيقة التي يقتضيها هذا الاختلاف في دلالته المؤثرة في معاني الآيات، وهذا وحده أساس علم جليل من علوم القرآن العظيم."[1]

والمتفحِّص للخطاب القرآني يجد أنَّه كثيرا ما يعمد فيه إلى المغايرة بين حروف المعاني، مما يثير عدة إشكالات دلالية، وتبرز هذه المغايرة في أنه يستعمل حرفا لدلالة مقصودة في السِّياق ثمَّ يتحوَّل عنه إلى توظيف حرف آخر، وكذلك تعالقها بالأسماء والأفعال في السِّياق نفسه أو في سياقات متشابهة، "ولهذا نجد العبارة القرآنية تتصرَّف في حروف الجرّ تصرُّفا لا توافقه قواعد النَّحو، ولا أصول اللُّغة التي قصرت في الإحاطة به فانتقصت من الدقَّة في أداء المعاني على الوجه الذي أدته العبارة القرآنية." [2]

و انطلاقا من هذا البعد الدَّلالي يقوم هذا المبحث على محاولة تقصِّي طاقات بعض حروف الجرّ من خلال الاستعمال البديعي لها في التعبير القرآني، فقد يعدل من حرف إلى آخر، أو يستعمل حرفا مرة ثم يستعمل حرفا آخر في موضع يبدو شبيها بالأوَّل لغرض بلاغي، وسرٍّ دلالي.

المبحث الأوَّل : دلالة الخرق في حروف الجرّ:

1- التَّناوب و التَّضمين وأثرهما على دلالات الحروف:

يتميَّز التعبير القرآني بدقَّته المتناهية في وضع حروف الجر، الموضع الملائم لها داخل النَّظم القرآني وبنيته؛ فهي تؤدِّي وظائف معنوية دقيقة في التعبير فضلا عن كونها وسيلة من وسائل الربط؛ حيث أنَّ بعض النحَّاة نظروا إليها وعالجوها من النَّاحية الإعرابية فقط، و لم يلتفتوا إلى المعاني التي تؤدّيها من

[1] - دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، محمَّد عبد الخالق عضيمة ، دار الحديث ، القاهرة ، مصر ، د.ط.ت ، ج1 ، ص: د.

[2] - نحو القرآن. أحمد عبد الستار الجواري. ص: 56 .

خلال السِّياق الذي ترد فيه، و" الذي يُنْعمَ النَّظر في كلام النحَّاة على حروف الجر يتبين أنهم معنيون بجانب الإعراب قبل كل شيء، أمَّا جانب المعنى فأمره عندهم هيِّن." [1]

وقديما قال النحَّاة واللّغويون بتناوب حروف الجر بعضها عن بعض؛ وهو أن يقع حرف جر موقع حرف جر آخر وينوب عنه، ويؤدي معناه أداء حقيقيا؛ لأنَّ لكل حرف من حروف الجر عند جمهور الكوفيين عدَّة معان، فمثلا أنَّ (في) بمعنى (على) [2] كقوله تعالى : ﴿...**فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَاباً وَأَبْقَى**﴾[3]، وقد تأتي (على) بمعنى (في) [4] كما في قوله تعالى: ﴿**وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا**﴾[5]، أو بمعنى (اللام) [6] في قوله: ﴿**أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾[7].

وهكذا يفعلون مع كل الحروف التي تأتي على هذا الباب، ومدار الأمر عندهم " أنَّ قصر الحرف على معنى واحد حقيقي تعسف، وتحكُّم لا مسوغ له، فما الحرف إلاَّ كلمة، كسائر الكلمات الاسمية و الفعلية، وهذه الكلمات تؤدِّي الواحدة منها عدة معان حقيقية لا مجازية ... والأساس الذي يعتمد عليه الكوفيون في مذهبهم هو شهرة المعنى اللغوي الأصلي المراد وشيوعه بحيث يتبادر و يتَّضح سريعا عند السامع." [8]

---

[1]- نحو القرآن. أحمد عبد الستار الجواري. ص : 60 .

[2]- الجنى الداني في حروف المعاني. المرادي، حسن بن قاسم. تح: فخر الدين قباوة و محمَّد نديم فاضل. ص:251.

[3]- سورة طه ، الآية : 71 .

[4]- الإتقان في علوم القرآن. السيوطي، جلال الدين. ج3، ص: 1115.

[5]- سورة القصص ، الآية: 15.

[6]- المصدر السابق، ص: 480.

[7]- سورة المائدة ، الآية: 54 .

[8]- حروف المعاني في تراث ابن مالك. محمَّد الشحات المتولي عمارة. رسالة دكتوراه (مخطوط)، جامعة الأزهر، مصر؛ 1426هـ، 2005م، ص: 43 .

وقد أشار إلى المسألة **ابن قتيبة** (ت: **276 هـ**) في كتابه (**تأويل مشكل القرآن**)، وخصَّه بباب (دخول بعض حروف الصفات مكان بعض)[1]، وهو يعني بالصفات حروف الجر، ثم توالت التأليفات في معاني الحروف؛ ذكروا فيها للحرف الواحد معنى أصليا، ثم معانيه الأخرى التي يتناوبها مع حروف الجر الأخرى.[2]

" وهذا يدلُّ بوضوح على تجاهل الجانب اللُّغوي وانعزال قواعد النَّحو، ومسائله عنه كأنَّ التَّركيب مؤلَّف من مفردات تجرَّدت عن مدلولاتها اللُّغوية." [3]

ويرى **العسكري** (ت:**395هـ**) أنَّ القول بنيابة حروف الجر بعضها عن بعض في القرآن الكريم إخلال بفصاحته، ومن ثم الحكم عليها بالترادف في معانيها، فيقول : " قال المحقِّقون من أهل العربية: إنَّ حروف الجرِّ لا تتعاقب ...؛ وذلك أنها إذا تعاقبت خرجت عن حقائقها، ووقع كل واحد منهما بمعنى الآخر، فأوجب ذلك أن يكون لفظان مختلفان لهما معنى واحد، فأبى المحققون أن يقولوا بذلك، وقال به من لا يتحقق المعاني."[4]

وقد تطرَّق **ابن جنِّي** إلى هذه المسألة في (**خصائصه**) تحت عنوان (استعمال الحروف بعضها مكان بعض) بقوله : " ذلك أنهم يقولون : أنَّ (إلى) تكون بمعنى (مع)، ويحتجُّون لذلك بقوله سبحانه: ﴿... **مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ**...﴾ [5]،أي : مع الله ...لكنا نقول : إنه يكون بمعناه في

---

[1]- ينظر: تأويل مشكل القرآن. ابن قتيبة. تح: السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر، ط2؛ 1393هـ، 1973م، ص: 565.

[2]- ينظر: حروف المعاني للزجاجي، ومعاني الحروف للرماني، و الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي، ورصف المباني في شرح حروف المعاني للمالقي.

[3]- نحو القرآن. أحمد عبد الستار الجواري. ص: 60 .

[4]- الفروق في اللغة. العسكري، أبو هلال. تح: محمَّد إبراهيم سليم. دار العلم و الثقافة، القاهرة، مصر، (د.ط)، (د.تا)، ص: 24، 25.

[5]- سورة آل عمران. الآية: 52.

موضع دون موضع على حسب الأحوال الدَّاعية إليه والمسوِّغة له، فأمَّا في كلِّ موضع وعلى كلِّ حال فلا. ألا ترى أنك إن أخذت بظاهر هذا القول غفلا هكذا لا مقيَّدا، لزمك عليه أن تقول (سرت إلى زيد) وأنت تريد معه، وأن تقول (زيد في الفرس) وأنت تريد عليه ... ونحو ذلك مما يطول ويتفاحش." [1]

جاء في (**معاني النحو**) : " والحق أنَّ الأصل في حروف الجر؛ ألاَّ ينوب بعضها عن بعض، بل الأصل أنَّ لكل حرف معناه واستعماله، ولكن قد يقترب معنيان أو أكثر من معاني الحروف فتتعاور الحروف على هذا المعنى ... وقد تقترب المعاني من بعضها، أو يتوسَّع في استعمال المعنى فيستعمل بعضها في معنى بعض، أو قريب منه، فمثلا قد يتوسع في معنى الإلصاق بالباء، فيستعمل للظرفية فتقول : (أقمت بالبلد وفي البلد)، ولكن يبقى لكلِّ حرف معناه واستعماله المتفرِّد به، ولا يتماثلان تماما."[2]

والواضح ممَّا سبق أنهم ابتعدوا عن الصواب بوضع الحرف مكان حرف آخر؛ لأنَّ القرآن الكريم قد وضع كلَّ حرف في مكانه المناسب في السِّياق، فإذا ما أزيل هذا الحرف عن مكانه، ووضع بدلا منه حرف آخر، فإنَّ ذلك يؤدِّي حتما إلى إخلال في المعنى، " وإذا كان من غير المستساغ القول باستواء الحرفين في الدَّلالة؛ لأنَّ لكل حرف دلالته الخاصة به في كلام الناس، ونتره كلامهم عنه فما بالك بالبيان المعجز الذي وضعت فيه الألفاظ مواضعها اللائقة بها؛ لأنَّه كلام الذي أتقن كلّ شيء صنعا، فإنَّ القول بقبوله في القرآن يعد أمرا لا نكاد نرتضيه أو نقبله في حق بلاغة القرآن؛ لأنه يقتضي أنَّ القرآن حين يؤثر التعبير بحرف من حروف الجر دون ذلك الحرف الذي هو موضوع أصلا لذلك المعنى يكون إيثاره له عاريا عن البلاغة؛ لأنَّه حينئذ يصير الحرفان شيئا واحدا،

[1] - الخصائص. ابن جني. ج2، ص: 308، 309.

[2] - معاني النحو. السامرائي، فاضل صالح، ج3، ص:07.

وأنَّ أحد الحرفين يستطيع أن يؤدي ما يؤديه غيره وهذا ما نتره عنه البيان المعجز." [1]

وقد رفض البصريُّون فكرة التَّناوب وقالوا بمسألة تضمين[*] الفعل معنى فعل يتعدَّى بذلك الحرف، وذهبوا إمَّا بالتأول في الحرف ذاته، وإمَّا بالتأوُّل في الفعل أو الاسم الذي تعدَّى به.

وقد أشار **المرادي** إلى هذين المذهبين بقوله : " مذهب الكوفيِّين ومن وافقهم في أنَّ حروف الجرِّ قد ينوب بعضها عن بعض، ومذهب البصريين إبقاء الحرف على موضوعه الأول، إمَّا بتأويل يقبله اللفظ، أو تضمين الفعل معنى فعل آخر يتعدى بذلك الحرف، وما لا يمكن فيه ذلك فهو من وضع أحد الحرفين موضع الآخر على سبيل الشُّذوذ."[3]

ويبدو أنَّ " الذي حملهم على هذا الخلاف، دقة المدخل، وغموض الحال، ولو تساهم ألو النَّظر في التأمل في معاني الحروف، وإمعان النظر فيها، والبحث عن سرِّها ومستودعها، لمكّنهم من اكتلاء غررها، واجتلاء أبكارها وعونها." [4]

وقد عدّ بعض علماء العربية هذه الظاهرة من باب التوسُّع في الكلام؛ إذ أنَّ " الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر، وكان أحدهما يتعدَّى بحرف، والآخر بآخر، فإنَّ العرب قد تتَّسع فتوقع أحد الحرفين

---

[1] – « من أسرار تعدية الفعل في القرآن الكريم ». يوسف بن عبد الله الأنصاري. مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها؛ 1424هـ، (ع27)، ج15، ص: 733، 724.

[*] – التضمين هو: إشراب لفظ معنى لفظ آخر ليعامل معاملته، أو هو إيقاع لفظ موقع غيره لتضمنه معناه، وهو نوع من المجاز، وفائدته أن تؤدي كلمة مؤدى كلمتين. ينظر: النحو الوافي، عباس حسن، ج2، ص: 564، 565.

[3] – الجنى الداني في حروف المعاني. المرادي، حسن بن قاسم. ص : 46 ، و ينظر : النحو القرآني قواعد وشواهد ، د. جميل أحمد ظفر ، مطابع الصفا ، مكة المكرمة ، السعودية ، ط2 ، 1418هـ ، 1998م ، ص: 398.

[4] – التضمين النحوي في القرآن الكريم ، د. محمد نديم فاضل ، مكتبة دار الزمان للنشر و التوزيع ، المدينة المنورة ، السعودية ، ط1 ، 1426هـ 2005م ، ج1 ، ص : 114.

موقع صاحبه إيذانا بأن هذا الفعل في معنى ذلك الآخر، فلذلك جيء بالحرف المعتاد مع ما هو في معناه."[1]

ويوضِّح **ابن جني** المسألة بضرب شواهد من الذكر الحكيم، و التي جاء فيها الفعل متضمِّنا معنى فعل آخر، كقوله عزَّ اسمه : ﴿ **أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ** ...﴾[2] وأنت لا تقول: رفثت إلى المرأة، وإنما تقول: رفثت بها، لكنَّه لما كان الرَّفث هنا في معنى الإفضاء، وكنت تعدِّي أفضيت بـ (إلى) كقولك: أفضيت إلى المرأة، جئت بـ(إلى) مع الرَّفث، إيذانا وإشعارا أنَّه بمعناه." [3]، وهو الطريق نفسه الذي سار عليه أكثرهم، كقولهم في : ﴿**فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى** ﴾[4]، لما كان المعنى أدعوك جاء بـ (إلى)." [5]

والذي يبدو من كلامه أنَّه " يشير -صراحة- إلى أنَّ التَّبادل في استعمال الحرف، قد يقع بين فعلين ينتميان إلى حيِّز دلالي واحد، ولا يوجد بينهما فرق كبير، في الدَّلالة على المعنى العام المستفاد من صيغتهما بمساعدة بقية عناصر التركيب." [6]

جاء في (**الكشَّاف**) تفسيرا لقوله تعالى:﴿... **وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**...﴾[1]، " يقال عداه إذا جاوزه، ومنه قولهم: عدا طوره ... وإنما عدّي بـ (عن)؛ لتضمين (عدا) معنى (نبا) و (علا)، في قولك: نبت عنه عينه، وعلت عنه عينه، إذا اقتحمته و لم تعلق به.

---

[1] - الخصائص. ابن جني. ج.2 ص: 308.

[2] - سورة البقرة. الآية: 187.

[3] - الخصائص. ابن جني. ج2، ص: 310 .

[4] - سورة النازعات. الآية: 18.

[5] - ينظر: البرهان في علوم القرآن. الزركشي، بدر الدين محمَّد بن عبد الله. تح: محمَّد أبي الفضل إبراهيم، ج3 ، ص: 339.

[6] - دور الحرف في أداء معنى الجملة. الصادق خليفة راشد. منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ليبيا، (د.ط)؛ 1996م، ص: 250.

فإن قلت : أيّ غرض في هذا التّضمين؟ وهلاّ قيل : ولا تعدهم عيناك، أو لا تعل عيناك عنهم؟، قلت: الغرض فيه إعطاء مجموع معنيين؛ وذلك أقوى من إعطاء معنى فذّ؛ ألاَ ترى كيف رجع المعنى إلى قولك: ولا تقتحمهم عيناك مجاوزتين إلى غيرهم؟، ونحوه قوله تعالى: ﴿ **وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ**﴾[2]، أي: ولا تضمُّوها إليها آكلين لها." [3]

ومن هنا كان " للتَّضمين غرض بلاغي لطيف، وهو الجمع بين معنيين بأخصر أسلوب؛ وذلك بذكر فعل، وذكر حرف جر يستعمل مع فعل آخر، فتكسب بذلك معنيين : معنى الفعل الأول، ومعنى الفعل الثاني." [4]

ويذكر **ابن قيم الجوزية** قاعدة اتخذها للتفريق بين المواضع المتشابهة في استعمال القرآن الكريم لأحرف معينة ، وهي : " أنَّ الفعل المعدَّى بالحروف المتعددة لا بدّ أن يكون له مع كل حرف معنى زائد على معنى الحرف الآخر، وهذا بحسب اختلاف معاني الحروف، فإن ظهر اختلاف الحرفين ظهر الفرق، نحو : رغبت فيه ورغبت عنه، وعدلت إليه، وعدلت عنه، وملت إليه وعنه، وسعيت إليه وبه، وإن تقارب معنى الأدوات عسر الفرق، نحو: قصدت إليه وقصدت له وهديته إلى كذا وهديته لكذا، وظاهرية النحَّاة يجعلون أحد الحرفين بمعنى الآخر، وأمَّا فقهاء أهل العربية فلا يرتضون هذه الطريقة، بل يجعلون للفعل معنى مع الحرف ومعنى مع غيره، فينظرون إلى الحرف وما يستدعي من الأفعال، فيشربون الفعل المتعدِّي به معناه ... وهذه قاعدة شريفة جليلة المقدار تستدعي فطنة، ولطافة في الذِّهن."[5]

---

[1]- سورة الكهف. الآية: 28 .

[2]- سورة النساء. الآية : 2 .

[3]- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل. الزمخشري، جار الله بن القاسم محمود بن عمر. ج3 ، ص: 581.

[4]- معاني النحو. السامرائي، فاضل صالح. ج3، ص: 12 .

[5]- بدائع الفوائد. ابن قيم الجوزية. ج3، ص : 423، 424. .

ويواصل حديثه فيقول في قوله تعالى :﴿**عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً** ﴾[1] " فإنهم يضمِّنون يشرب معنى يروّي، فيعدونه بالباء التي تطلبها فيكون في ذلك دليل على الفعلين أحدهما بالتصريح به، والثاني بالتضمُّن، والإشارة إليه بالحرف الذي يقتضيه مع غاية الاختصار وهذا من بديع اللغة ومحاسنها وكمالها، ومنه قوله في السَّحاب: "شربن بماء البحر..." أي: روين به ثم ترفَّعن وصعدن. وهذا أحسن من أن يقال: يشرب منها فإنه لا دلالة فيه على الريّ وأن يقال يروّي بها؛ لأنَّه لا يدلُّ على الشُّرب بصريحه بل باللزوم، فإذا قال : يشرب بها دلّ على الشرب بصريحه، وعلى الريّ بحرف الباء فتأمله." [2]

ويردّ محمد نديم فاضل على القائلين بتناوب الحروف، والمعلّلين تخريج الآية بتضمين الفعل (شرب) معنى (روي)، بقوله: " فحين يقول (يشرب بها) ...أي يشرب منها، فقد سلبها حلاوتها، وسرُّ جمالها هو في طريقة عرضها وتعدِّيها بغير حرفها، فإذا كانت (الباء) بمعنى (من) فلماذا عدل ربنا العليم في أسلوبه المعجز، وبيانه المبين من حرف إلى حرف سكت عن الجواب القائلون بتناوب الحروف...،وذهب القائلون بالتضمين إلى أن (شرب) معنى (روي) وليس في هذا مَقْنع؛ لأنَّ الريّ يكون من ظمأ، وأهل الجنة لا يظمئون﴿**وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى**﴾[3]. الشرب في الجنة إذا من أجل الاستمتاع و التلذُّذ، ولذلك جيء بالباء إيذانا بهذا المعنى وتجلية له، وتشوفا إليه[ويواصل الباحث تعليليه] لماذا عدل ربنا عن لفظ الاستمتاع إلى لفظ الشرب ؟ لو قال سبحانه : عينا يستمتع بها عباد الله، لانصرف الذهن إلى إمتاع البصر في انفجار الماء من هذه العين وتدفقها و فورانها، أو إمتاع السمع بصوت تدفق الماء وخريره، أو إمتاع الجسد بالسباحة أو إمتاع النفس بهذا المشهد الكلي. ولكن الغرض هو الاستمتاع بالشرب على وجه الخصوص؛ لأنه مذوق، والذائقة أخصُّ الحواس وأشدها، ولذلك كانت العناية بها منه سبحانه. أمَّا بقية الصور و الألوان فمراده على وجه العموم عن طريق التَّضمين." [4]

---

[1]- سورة الإنسان. الآية: 06 .

[2] - المصدر نفسه، ج 2، ص: 424.

[3]- سورة طه. الآية: 119.

[4]- التضمين النحوي في القرآن الكريم. محمَّد نديم فاضل. ج1، ص: 117، 118.

والذي يفهم مما تم عرضه أنَّ التَّضمين كان أقل تعسُّفا من التَّناوب، إلاَّ أنه لم يكن بحثا عن جمالية الحروف بقدر ما كان تأويلا لتصحيح القواعد المقررة سلفا؛ ولذلك " فإنَّ القول بالتَّضمين صرف همم حذّاق العربية عن استجلاء أسرار الحروف، وجعلهم يستنيمون إليه في المواضع التي لا يظهر فيها سرٌّ وقوع حرف موقع غيره... وخلاصة القول أنَّ التَّضمين يصرف الاهتمام عن تدبّر أسرار الحروف، وهو عاجز عن الوفاء بأغراض النّظم ودواعيه، وليس فيه أكثر من محاولة تصحيح التعدّي بحرف ليس من شأن الفعل أو الاسم التعدّي به، وذلك ما يجب أن لا نقف عنده ونحن نتوخَّى أسرار الإعجاز في النَّظم القرآني." [1]

وقد أوصى مجمع اللغة العربية بالقاهرة في بحثه عن التَّضمين، أن لا يلجأ إليه إلا لغرض بلاغي ووضعوا لذلك شروطا ثلاثة: تحقق المناسبة بين اللفظين، وتوفر قرينة دالة على اللفظ المحذوف وألا يخرج ذلك عن الذوق العربي.[2]

وعلى إثر هذا انقسم علماء التأويل إلى قسمين : قسم يأخذ بقاعدة الاستبدال الدلالي للوصول إلى فهم دلالة النص ،وحل الإشكال الدَّلالي الذي يطرحه ظاهره، وقسم آخر ذهب إلى تفسير دلالة الحرف بما يتَّفق مع ظاهر النصِّ دون اللُّجوء إلى ظاهرة التبدُّل الدَّلالي، وكلا الرأيان محاولة منهم للوقوف على الدَّلالة وتصحيح التعدية.

كقوله تعالى : ﴿ **أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾ [3]؛ أي عن ذكر الله . قال **الزَّمخشري**: " فإن قلت: ما الفرق بين (من) و(عن) في هذا ؟ قلت : إذا قلت : قسا قلبه من ذكر الله، فالمعنى ما ذكرت، من أنَّ القسوة من أجل الذكر و بسببه، وإذا قلت : عن ذكر الله، فالمعنى : غلظ عن قبول الذكر وجفا

---

[1]- من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم. محمَّد الأمين الخضري، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط1؛ 1409هـ، 1989م ص: 29 ، 52 .

[2]- ينظر: النحو الوافي. عباس حسن. ج 2، ص: 594 .

[3]- سورة الزمر. الآية: 22 .

عنه، و نظيره : سقاه من العيمة؛ أيْ من أجل عطشه، وسقاه عن العيمة: إذا أرواه حتى أبعده عن العطش." [1]

أما الفخر الرَّازي فيعلِّل دلالة الحرف (عن) بقوله : " ... وهو أنَّ ذكر الله سبب لحصول النور و الهداية وزيادة الإطمئنان ...، فكيف جعله في هذه الآية سببا لحصول قسوة القلب و الجواب أن نقول: إنَّ النفس إذا كانت خبيثة الجوهر، كدرة العنصر بعيدة عن مناسبة الروحانيات شديدة الميل إلى الطبائع البهيمية، والأخلاق الذَّميمة، فإن سماعها لذكر الله يزيدها قسوة وكدورة، وتقرير هذا الكلام بالأمثلة فإنَّ الفاعل الواحد تختلف أفعاله بحسب اختلاف القوابل ...، وقد نرى إنسانا واحدا يذكر كلاما واحدا في مجلس واحد فيستطيبه واحد ويستكرهه غيره، وما ذاك إلاَّ ما ذكرناه من اختلاف جواهر النفوس، ومن اختلاف أحوال تلك النفوس ... إذا عرفت هذا لم يبعد أيضا أن يكون ذكر الله يوجب النور والهداية، والاطمئنان في النُّفوس الطَّاهرة الروحانية، ويوجب القسوة و البعد عن الحق في النفوس الخبيثة الشيطانية ..."[2]

والذي يفهم من هذا أنَّ دلالة التَّركيب قد تتغير بسبب حروف الجر التي يحل بعضها محل بعض، وقد يفهم دلالة الحرف حسب ظاهر النص ومعنى الحرف الأصلي وفق دلالة السياق الذي تردُّ فيه، فقد تحمل حروف الجر طاقات تعبيرية وقدرة أسلوبية، لما تخلعه من معانيها على الأفعال المتعدية بها إشارة إلى مقصدية الخطاب القرآني.

إنَّ تفسيرها في ضوء الخرق السِّياقي و العدول الأسلوبي يعين على بيان أسرارها الدَّلالية "وغير خاف أنَّ لتعدية الفعل بحروف الجر في القرآن الكريم أهمية عظمى، وأثرا كبيرا في إبراز مقاصد التعبير القرآني، بل إنَّ الوقوف على أسرار الإعجاز في القرآن يتوقَّف على أمور منها: إدراك دلالات حروف الجر، وما تشيعه على سياقاتها من الدَّلالات و الإيحاءات التي تحتاج من

[1] – الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل. الزمخشري، جار الله بن القاسم محمود بن عمر. ج 5، ص: 299 .

[2] – التفسير الكبير. الرازي، فخر الدين، ج11، ص: 266 .

الدارس للوقوف عليها إلى مكابدة ومعاناة وإطالة تأمُّل، حتى يستطيع النفاذ إلى ما تشي به حروف الجر من أسرارها المتنوعة التي تخلعها على الأفعال الداخلة عليها."[1]

ويذهب كثير من المحدثين إلى عدم الارتياح من مسألة التناوب، وفكرة التَّضمين مهما راق ذلك للنحَّاة و اللُّغويين؛ إذ أنَّ " الدِّراسات البيانية ترفض أن يكون هناك تغيير في نظم الكلام تستبدل معه كلمة بأخرى، لا يتبعه تغيّر في المقاصد والأغراض، ومن ثمّ فإنّها لا تستريح لرأي يصمّ أذنيه عن التسمّع لخصائص الحروف، وما تشيعه في نسق التراكيب من إيحاءات، وما تشي به من أغراض."[2]

2- دلالة مورفيم الجر في التَّعبير القرآني:

إنَّ التَّعبير القرآني له خصوصيته اللُّغوية التي تجعله يخرق النَّمط المألوف عند المتلقِّي، ويعدل عن المطابقة المألوفة لديه، فيستعمل حرفا معينا دون حرف آخر، أو يوظف المعنيين للحرف الواحد؛ إمَّا معنى الحرف الموظف في السِّياق، أو معنى الحرف المعدول عنه، وإن تفسيرها في ضوء الخرق السِّياقي أقرب إلى روح النظم في القرآن.

من ذلك قوله تعالى على لسان فرعون في انتقامه من السَّحرة المؤمنين بموسى-عليه السلام-

﴿قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَاباً وَأَبْقَى﴾[3]

قال **أبو القاسم الزجاجي** (ت:**340**هـ) :" (في) معناها الوعاء و الظرفية، وقد تأتي مكان على قال تعالى : (وَلأصَلبنّكُم في جُذُوعِ النَّخْل)، أي: على." [1]

---

[1]- من أسرار تعدية الفعل في القرآن الكريم. يوسف بن عبد الله الأنصاري. ص : 728 .

[2]- من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم. محمَّد أمين الخضري. ص: 13.

[3]- سورة طه. الآية: 71 .

وقال **أبو السعود** "وإيثار كلمة (في) للدَّلالة على إبقائهم عليها زمانا مديدا، تشبيها لاستمرارهم عليها باستقرار المظروف المشتمل عليه."[2]

ويوضح **الرازي** ذلك بقوله: " شبَّه تمكُّن المصلوب في الجذع بتمكُّن الشيء الموعي في وعائه، فلذلك قال (في جذوع النَّخل)، والذي يقال في المشهور أنَّ (في) بمعنى (على) فضعيف."[3]

إن السِّياق يشير إلى أنَّ فرعون قد امتلأت نفسه من السَّحرة غضباً، وجاش صدره بما يتوعد به حقداً، فلا ترضى بتعذيبهم على جذوع النخل، وإنما بجعلهم في داخلها، وكأنَّها صارت أوعية للمصلوبين فيها يُشدُّ خناقها عليهم، وفي ذلك حكم عليهم بالموت البطيء، بدلالة حرف الوعاء؛ لأنَّ المقام مقام هزيمة، وتخويف غير السحرة ممن يأتي على باله إتباع موسى – عليه السَّلام –؛ ولأنَّ التَّصليب في داخل الجذوع محط أنظار الملأ لزمن طويل.

وقد يجمع المعنيين الاستعلاء والظرفية؛ أي: " أراد فرعون تصليب السّحرة المؤمنين على جذوع النخل، ولكن هذا التصليب عليها لم يحقق مراده، و لم يشف غيظه، فأمر بنقر الجذوع ونقل السحّرة من التَّصليب عليها إلى حشرهم فيها، وإطباقها عليهم، وتعذيبهم داخلها."[4]

وهذا يتناسب مع نبرة التهديد التي يطلعنا عليها السياق. إضافة إلى نوعية العقاب الذي بلغ أشدّه، والمتمثل في التهديد بالتَّصفية الجسدية التي هي قطع الأيدي والأرجل، لكنه ليس قطعاً مستوياً، وإنّما في صورة التشويه والتمثيل؛ وذلك بأن تقطع أيديهم اليُمنى وأرجلهم اليسرى أو العكس (من خلاف)." جاء حرف الوعاء دالا على أنهم سيشدّون إلى الجذع شدّا بالغ القوة و القسوة،

---

[1]- حروف المعاني. الزجاجي، أبو القاسم. تح: علي توفيق الحمد ، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2؛ 1406هـ، 1986م، ص: 12 ، و الإتقان في علوم القرآن. السيوطي، جلال الدين. ج3 ، ص: 1131 .

[2]- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. أبو السعود بن محمَّد العمادي الحنفي. تح : عبد القادر أحمد عطا. ج 3 ، ص: 648 .

[3]- التفسير الكبير. الرازي، فخر الدين. ج 22، ص: 87.

[4]- إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني. صلاح عبد الفتاح الخالدي. ص : 168.

حتى ليكاد المصلوب يواريه الجذع ويشتمله، وذلك يتناغم مع صيغة التضعيف في الفعل (أصــلّب) ، ويجسد لك حالة الغيظ التي تموج بها نفس فرعون، كما يشفّ لك تفلّت أعصابه، وما أثاره الموقــف في نفسه من هلع، وكأنه يخشى تفلت هذا الجسد الميِّت، وروغانه من الجذع المصلوب فيه."[1]

ومن المواطن التي تتجلى فيها أسرار إيثار حرف على آخر، ممَّا يكشف عن الدَّلالة المقصودة من السياق في النظم القرآني، ماقــاله **أبو حيان الأندلسي** في قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ**﴾[2]،" أي ضاقت بكم الأرض مع كونها رحبا واسعة، لشدّة الحال عليهم وصعوبتها، كأنهم لا يجدون مكــانا يستصلحونه للهــرب و النجاة لفرط ما لحقهم من الرّعب، فكأنما ضاقت عليهم."[3]

والمعنى الذي أفاده الحرف (على) ماكان ليؤديه حرف (الباء) لما فيه من " تمثيل لحال المــسلمين لما اشتدّ عليهم البأس، واضطربوا، و لم يهتدوا لدفع العدو عنهم بحال من يرى الأرض الواسعة ضــيّقة ... استعارة تمثيلية تمثيلا لحال من لا يستطيع الخلاص من شدّة بسبب اختلال قوة تفكيره، بحال مــن هو في مكان ضيق من الأرض يريد أن يخرج منه فلا يستطيع تجاوزه، ولا الانتقال منه.."[4]

وعلَّق **سيِّد قطب** على هذا التَّصوير الفني في الآية بقوله : " الأرض تضيق عليهم، ونفوســهم تضيق بهم كما تضيق بهم الأرض، ويستحيل الضيق المعنوي في هذا التَّصوير ضيقاً حــسياً أوضــح وأوقع، وتتجسّم حالة هؤلاء الذين تخلّفوا عن الغزو مع رسول الله، فأحسّوا بهذا الضّيق الخانق وندموا

[1]- من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم. محمَّد أمين الخضري. ص : 167، 168.

[2]- سورة التوبة. الآية: 25 .

[3]- تفسير البحر المحيط. أبو حيان الأندلسي، محمَّد بن يوسف. تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود و آخرون. ج5 ، ص: 25 .

[4]- التحرير و التنوير ، ابن عاشور، محمَّد الطاهر.ج10، ص: 156 ، 157.

على تخلّفهم ذلك النّدم المحرج، حتى لا يجدون لهم ملـــجأً ولا مفرّا، ولا يطـــيقون راحة إلى أن قبل الله توبتهم."[1] ، وفي زيادة (بما رحبت) دلالة على شدّة الحزن الذي أصابهم .

وفي استعمال الحرف (في) بدلا من (إلى) دلالة أكبر على مراد الآية في قوله : ﴿**كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ** ﴾[2]

يتكفَّل **الألوسي** بكشف النِّقاب عن المعنى، وعن بلاغة النَّظم في إيثار التَّعبير بالحرف (في) بدلا من (إلى) في الآية الكريمة بقوله : " أي في قعرها بأن ردّوا من أعاليها إلى أسافلها، من غير أن يخرجوا منها؛ إذ لا خروج لهم كما هو المشهور من حالهم ... وفي اختيـــار (فيهـــا) دون (إليهـــا) إشـــعار بذلك."[3] .

فالألوسي يوضِّح أنَّ حرف الانتهاء لا يستطيع أن يؤدِّي من المعاني ما يؤدِّيه حرف الظرفية بما نشره على سياقه من المعاني و الظلال؛ " لأنَّهم لم يخرجوا من النَّار و لم يفارقوها حتَّى يعادوا إليهـــا، وإنَّما هم فيها يحاولون الخروج ويسعون له، ويتركون استدراجا لهـــم، حتَّى إذا شـــارفوه أعيـــدوا في نفس المكـــان من وسط جهنم أو مقرّها، وفي ذلك ما فيه من الدَّلالة على شدّة العذاب، وتمكّنـــه منهم وإحاطته بهم."[4]

ويطالعنا صاحب (**التَّحرير و التَّنوير**) بوقفات مميَّزة كشف من خلالها ما يشي به حرف الجـــرّ من أسرار دلالية، ومن ذلك ما ذكره في حرف الظَّرفية في قوله تعالى : ﴿**سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ**... ﴾[5]؛ إذ أفاد التَّشهير بهـــؤلاء المتكبِّـــرين في الأرض ورســـوخ

---

[1]- التصوير الفني في القرآن. سيد قطب. دار الشروق، القاهرة ، مصر ، ط17، 1425هـ ، 2004م ، ص : 80 .

[2]- سورة الحج ، الآية : 22 .

[3]- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. الألوسي، محمود شكري، ج17، ص: 135 .

[4]- من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم. محمَّد الأمين الخضري. ص : 137 .

[5]- سورة الأعراف. الآية: 146 .

أقدامهم في الإعراض عن الدِّين و التكبُّر، وأنَّ هذا التكبُّر شائع بين العامة من الناس، حيث يقول : " وزيادة (في الأرض) لتفضيح تكبُّرهم، و التَّشهير بهم بأنَّ كيدهم مظروف في الأرض؛ أي ليس هو خفيّا مقتصرا على أنفسهم، بل هو مبثوث في الأرض؛ أي مبثوث أثره، فهو تكبُّر شائع في بقاع الأرض. "[1]، فالحرف هو الذي قاد القارئ إلى فهم النص بما تخلعه من معانيها على السِّياقات القرآنية، ولما لها من أهمية بالغة في إبراز المقاصد و الأغراض.

3- حروف الجر و الخرق السِّياقي:

وقد يغاير التَّعبير القرآني بين بعض حروف الجر في سياق واحد؛ كأن يستعمل حرفا معينا، ثمَّ ينتقل فجأة إلى توظيف حرف آخر، ولإدراك دلالات بعض هذا النَّوع من الخرق، وما يشيعه على السياقات المختلفة من الدَّلالات و الإيحاءات.

ما قاله صاحب (**الكشَّاف**) عند تفسير قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً** ﴾[2]، حيث استعمل الفعل (يشرب) معدّى مرَّة بالحرف (من)، ثم عدل السِّياق إلى استعمال حرف (الباء)؛ وذلك أنَّ حرف الابتداء دلّ على أنَّ الكأس مبدأ شربهم وأوَّل غايتهم، وحين انتقل إلى حرف الإلصاق كان المعنى أنهم ملتصقون بالعين لا يبرحونها دلالة على ما هم فيه من النعيم الكامل .

[1]- التحير و التنوير. ج9، ص: 104، 105.
[2]- سورة الإنسان. الآيتان : 05، 06 .

قال : " فإن قلت : لم وصل فعل الشرب بحرف الابتداء أوّلا وبحرف الإلصاق آخرا ؟ قلت: لأنَّ الكأس مبدأ شربهم وأول غايته، وأمَّا العين فيها يمزجون شرابهم فكان المعنى: يشرب عباد الله بها الخمر، كما تقول: شربت الماء بالعسل."[1]

وأمَّا قوله تعالى ﴿**قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ** ﴾[2]، فقد استعمل (على) في (لعلى هدى)، ثم تحوّل عنه إلى (في) مع الضَّلال (في ضلال)، وبموجب المطابقة للنَّسق السِّياقي تكون البنية السَّطحية على النَّحو التَّالي: (لعلى هدّى أو على ضلال مبين) .

يقول **ابن الأثير** محاورا قوة تركيب النَّص القرآني : "وأمّا حروف الجر فإنَّ الصّواب يشذُّ عن وضعها في مواضعها، وقد علم أنَّ (في) للوعاء، و(على) للاستعلاء...لكن إذا أريد استعمال ذلك في غير هذين الموضعين مما يَشكلُ استعماله عدل فيه عن الأولى، ألاَ ترى إلى بداعة هذا المعنى المقصود لمخالفة حرفي الجر هاهنا، فإنَّه إنما خولف بينهما في الدُّخول على الحقِّ والباطل؛ لأنَّ صاحب الحقِّ كأنَّه مستعل على فرس جواد، يركض به حيث شاء، وصاحب الباطل كأنّه منغمس في ظلام منخفض فيه لا يدري أين يتوجَّه، وهذا معنى دقيق، قلّما يراعى مثله في الكلام."[3]

وقال **الرَّازي**:" ذكر في الهدى كلمة (على) وفي الضَّلال كلمة (في)؛ لأنَّ المهتدي كأنَّه مرتفع متطلِّع فذكره بكلمة التعلّي، والضالُّ منغمس في الظلمة غريق فيها فذكره بكلمة (في)."[4]

---

[1]- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل. الزمخشري، جار الله بن القاسم محمود بن عمر. ج 6، ص: 276 ، 277 .

[2]- سورة سبأ. الآية: 24.

[3]- المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر. ابن الأثير، ضياء الدين. تقديم وتعليق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة. ج 2، ص: 232 .

[4]- التفسير الكبير. الرازي، فخر الدين. ج25، ص: 258.

وجاء في (**التفسير القيم**) : " في أداة (على) سرٌّ لطيف، وهو الإشعار بكون السَّالك على هذا الصِّراط على الهدى، وهو الحقُّ،كما قال في حقِّ المؤمنين﴿ **أُوْلَـئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ** ﴾[1]، وقال لرسوله ﴿**فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ**﴾ [2]، والله عزّ وجلّ حقٌّ، وصراطه حق، ودينه حق، فمن استقام على صراطه فهو على الحق والهدى. فكان في أداة (على) على هذا المعنى ما ليس في أداة (إلى) فتأمله، فإنه سر بديع."[3]

ويستطرد قائلا :"فإن قلت : فما الفائدة في ذكر (على) في ذلك أيضا ؟ وكيف يكون المؤمن مستعليا على الحقِّ وعلى الهدى؟ قلت: لما فيه من استعلائه، وعلوِّه بالحقِّ والهدى، مع ثباته عليه واستقامته إليه، فكان في الإتيان بأداة (على) ما يدلُّ على علوِّه وثبوته واستقامته، وهذا بخلاف الضَّلال والرّيب. فإنَّه يؤتى فيه بأداة (في) الدَّالة على انغماس صاحبه، وانقماعه، وتدسّسه فيه...فإن طريق الحق تأخذ علوا صاعدة بصاحبها إلى العليِّ الكبير، وطريق الضلال تأخذ سفلا هاوية بسالكها في أسفل سافلين."[4]

إن تفسير معاني حروف الجر في ضوء الخرق الأسلوبي أقرب إلى فهم مقاصد النَّظم الحكيم وأقدر على الوصول إلى مقاصده، والإحاطة بأغراضه، من ذلك قوله تعالى: ﴿**أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُواْ السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللّهُ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾[5]، فقد أتى بحرف الوعاء (في) في قوله :(في تقلُّبهم)، ثم عدل إلى حرف الاستعلاء (على) في قوله (على تخوُّف)؛

---

[1] – سورة البقرة. الآية: 05.

[2] – سورة النمل. الآية: 79 .

[3] – التفسير القيم. ابن القيم. تح: محمَّد حامد الفقى. ص: 15، 16.

[4] – المصدر نفسه. ص: 16 .

[5] – سورة النحل. الآيات: 45، 46، 47 .

أي استعمل حرف الظرفية مع التقلُّب، وحرف الاستعلاء مع التخوُّف. ولماذا لم تأت البنية السَّطحية على النَّحو التالي : يأخذهم في تقلبهم ... يأخذهم في تخوفهم ؟ أو على تقلبهم وعلى تخوفهم ؟

جاء في **الكشَّاف**:" (في تقلُّبهم): متقلّبين في مسايرهم ومتاجرهم وأسباب دنياهم، (على تخوّف): متخوّفين، وهو أن يهلك قوما قبلهم فيتخوّفوا فيأخذهم بالعذاب، وهم متخوّفون متوقّعون، وهو خلاف قوله (منْ حَيثُ لا يَشعُرُون)، وقيل هو من قولك: تخوَّفنه وتخوَّنته، إذا تنقَّصته...؛

أي يأخذهم على أن يتنقَّصهم شيئا بعد شيء في أنفسهم وأموالهم حتى يهلكوا ..."[1]

مما يدلّ على مقدرته تعالى وقوَّته، والانتقام منهم، وهم في قوتهم وسلطانهم، فناسب هذا المعنى قوله (فما هم بمعجزين)، وهذا يفهم من خلال قرينة السِّياق الدَّالة على إبراز القدرة والقوَّة، وفي الكلام إشارة إلى أنَّ الخوف يتضاعف، ويصبح العذاب أشدّ بافتقادهم الأمن والطُّمأنينة نتيجة الخوف، والقلق اللذين يشعران بهما من جرَّاء العذاب النَّازل من السَّماء، أو من نقص الأموال والأنفس حتَّى يأتي على الكل، ومعنى ذلك؛ أنه يخيفهم أولا ثم يعذبهم.

قال صاحب (**التفسير الكبير**) :" التخوُّف تفعُّل من الخوف، يقال خفت الشيء تخوّفته، والمعنى أنَّه تعالى لا يأخذهم بالعذاب أوَّلا، بل يخيفهم أوَّلا ثم يعذبهم بعده، وتلك الإخافة هو أنَّه تعالى يهلك فرقة فتخاف التي تليها فيكون هذا أخذا، وردّا عليهم بعد أن يمرّ بهم قبل ذلك زمانا طويلا في الخوف والوحشة."[2]

وبسط **الألوسي** القول في تخريج هذا الخرق السياقي بقوله : " وجيء (بفي) مع التقلُّب و(بعلى) مع التخوّف، قيل : لأنَّ في التقلُّب حركتين، فكان الشَّخص المتقلّب بينهما، ولا كذلك

[1] – الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل. الزمخشري، جار الله بن القاسم محمود بن عمر. ج 3، ص: 439 .

[2] – التفسير الكبير. الرازي، فخر الدين. ج 20 ، ص : 39 .

التخوُّف، وقيل : لما كان التقلّب شاغلا الإنسان بسائر جوارحه، حتَّى كأنَّه محيط به وهو مظروف فيه، جيء بـ (في) معه، والتخوُّف أي المخافة، إنما يقوم بعضو من أعضائه فقط، وهو القلب المحيط به بدن الانسان، لذا جيء بـ (على) معه ... ولما كان التخوّف نفسه نوعا من العذاب، لما فيه من تألم القلب ومشغولية الذهن، وكان الأخذ مشيرا إلى نوع آخر من العذاب أيضا جيء بـ (على) التي بمعنى (مع)، ليكون المعنى : يعذبهم مع عذابهم، ولم يعتبر ذلك مع التقلّب مرادا به الإقبال والإدبار في الأسفار و المتاجر، مع أنه جاء (السفر قطعة من العذاب)؛ لأنهم لا يعدون ذلك عذابا، وفي القلب من هذا شيء فتدبر وتأمل، فأسرار كتاب الله لا تحصى." [1]

وصَفوة القول " أنَّ إيثار حرف الظرفية مع التقلّب قصد به الإدلال على كمال القدرة الالهية في الوصول بالانتقام إلى من يريد مهما بدا للمأخوذ أنه في كامل القدرة و القوَّة؛ ذلك أنَّ التقلّب

يعني حركة الحياة التي أقبل عليها مقترفو السيِّئات، مما يدلُّ على أنهم في كامل صحَّتهم و قوَّتهم وكمال سلطانهم و جبروتهم، وهم في هذه الحال لا يستطيعون أن يفوتوا الله ويعجزوه هربا ... وحرف الظرفية أنسب لهذا الموضع بما يشير إليه من مظاهر القوَّة و المتعة التي تحيط بهم وبحركتهم وكأنها تصنع حولهم سياجا يحميهم من وصول المتعقب لهم، ويمنع نزول العقاب بهم ... أمَّا على في قوله (أوْ يَأخُذَهُم عَلَى تخوُّف) فإنَّ الاستعلاء فيها يدلُّ على أنَّ الله زادهم عذابا فوق عذاب الخوف و آلامه، وهو بلاء كان قد وقع بهم من قبل و أصابهم بأمراض الذُّعر، و القلق، وافتقاد الأمن، والطمأنينة، ثم جاء عقابه وأخذهم بما اقترفوه بلاء فوق البلاء وعذابا فوق عذاب." [2]

وانظر إلى قوله تعالى كيف خالف بين استعمال حرفي الجر (اللام) و (في): ﴿**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللّهِ وَابْنِ**

[1] – روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. الألوسي، محمود شكري. ج 14، ص: 152، 153 .

[2] – من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم. محمَّد الأمين الخضري. ص: 69 .

السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [1]، بحيث يبدأ الخطاب بحرف (اللاَّم)، وفجأة يعدل عنه إلى الحرف (في).

السّيوطي الفارسي تعليله لهذا التحوُّل إلى حرف الوعاء بقوله : " إنّما قال (وّ فِي الرِّقَابِ)، و لم يقل (وللرِّقاب)؛ ليدلَّ على أنَّ العبد لا يملك." [2]

ويعلِّل آخرون هذا الخرق بقولهم : " فهذه أصناف ثمانية جعل الله الصَّدقات مصروفة فيهم لكونهم أهلا لها، ومستحقِّين لصرفها، لكنَّ الله تعالى خصَّ المصارف الأربعة الأولى بـ(اللاَّم) دون (على)، دلالة على الملك والأهلية للاستحقاق، وعدل عن (اللاَّم) إلى حرف الوعاء في الأصناف الأربعة الأخر؛ وما ذلك إلاَّ للإيذان بأنَّ أقدامهم أرسخ في الاستحقاق للصَّدقة، وأعظم حاجة في الإفقار، من حيث كانت (في) دالة على الوعاء، فنبّه على أنهم أحقَّاء بأن توضع فيهم الصَّدقات كما يوضع الشيء في الوعاء، وأن يجعلوا مظنة لها؛ وذلك لما في فكِّ الرقاب وفي الغرم من الخلاص

من الرقّ و الدَّين اللذين يشتملان على النفس، وشغل القلب بالعبودية و الغرم، ثم تكرَّر الحرف في قوله (وفي سبيل الله) قرينة مرجِّحة له على الرِّقاب و الغارمين ..."[3]

وقد يتم خرق معيارية السياق، وذلك بالتحوُّل عن (في) إلى (من)، في مثل قوله تعالى: ﴿**وَلاَ تُؤْتُواْ السُّفَهَاء أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ قِيَاماً وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفاً... وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُواْ الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ**

[1]- سورة التوبة. الآية: 60 .

[2]- الإتقان في علوم القرآن. السيوطي. جلال الدِّين، ج3، ص: 1005.

[3]- خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني. محمَّد محمَّد أبو موسى ، ص: 321 ، 322. و البرهان في علوم القرآن. الزركشي، بدر الدين محمَّد بن عبد الله. ج4، ص: 176 .

لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفاً ﴾ [1]، قال في البداية (وارزقوهم فيها) باستعمال الحرف (في)، ثم تحول إلى (فارزقوهم منه) باستعمال الحرف (من) . فما سر هذا التحول والعدول؟

والجواب الشَّافي ما جاء به **الرَّازي بقوله** :"واعلم أنَّه تعالى لمّا نهى عن إيتاء المال السفيهَ أمر بعد ذلك بثلاثة أشياء: أولها قوله (وارزقوهم) ومعناه: وأنفقوا، ومعنى الرِّزق من العباد هو الإجراء الموظَّف لوقت معلوم يقال: فلان رزق عياله؛ أي: أجري عليهم، وإنما قال (فيها)، و لم يقل (منها) لئلا يكون ذلك أمرا بأن يجعلوا بعض أموالهم رزقا لهم، بل أمرهم أن يجعلوا أموالهم مكانا لزرقهم بأنَّ يتّجروا فيها ويثمِّروها، فيجعلوا أرزاقهم من الأرباح لا من أصول الأموال، وثانيها: قوله (واكسوهم) والمراد ظاهر، وثالثها: قوله (وقُولُوا لهَمْ قَولاً مَعرُوفًا)؛ أي أنَّ الخطاب موجَّه للأولياء والقائمين على أموالهم بأن يستثمروها، وأن ينفق عليهم من أرباح المال لا من أصله."[2]

وقد تدلُّ (من) التَّبعيضية على وجوب الدَّفع لهم من بعض هذه التركة على سبيل الإحسان إليهم بدليل قوله (وقولوا لهم قولا معروفا)، وفي الآية دعوة إلى سدِّ حاجات (أُوْلُواْ الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ) ببعض المال من الميراث دلالة على صلة الرَّحم و البرِّ بهم، في حين تدعو الآية الأخرى إلى المحافظة على أموال اليتامى وتنميتها بالتِّجارة والإنفاق عليهم من أرباحها لا من رأس المال .

[1] – سورة النساء. الآيات: 5– 8 .

[2] – التفسير الكبير. الرازي، فخر الدين. ج 9، ص: 193 .

وإلى هذا المعنى نفسه أشار **الزمخشري** بقوله :" (وارزقوهم فيها). واجعلوها مكانا لرزقهم بأن تتَّجروا فيها وتتربّحوا حتى تكون نفقتهم من الأرباح لا من صلب المال فلا يأكلها الإنفاق."[1]

أو يعدل الخطاب القرآني عن الحرف (من) إلى الحرف (في) لمقصدية معينة، كقوله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً ثُمَّ لاَ يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ وَلاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلاء وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ**﴾[2]، حيث كسرت المطابقة السياقية، ففي الأولى (من كلِّ أمَّة)، وفي الثانية (في كلِّ أمَّة) .

ذهب **السّيوطي** في (**الإتقان**) إلى أنَّ في بمعنى من بدليل الآية الأولى[3]، وهذا يفهم منه أنَّ الآية احتوت على تكرار.

أمّا صاحب (**ملاك التَّأويل**) فيذهب إلى تفسير هذا الخرق بقوله : " واعلم أنَّ الآية الأولى متَّفق فيها على أنَّ المراد بها الأنبياء عليهم السَّلام، مع أممهم، وكل نبيّ شاهد على أمته ...إنَّ هذه الآية الثانية المراد بها تخصيص نبيِّنا محمَّد -صلَّى الله عليه وسلَّم- بالإفصاح فيها - ما شاركت فيه الأولى - بما منح من الكتاب العزيز وعظيم النِّعمة عليه وعلى أمَّته....فالآيتان فيما أعقبتا به، وأنيط بكل واحدة منهما معرفتان بالحال في الطَّرفين، الأولى معقّب فيها التَّخويف والتَّهديد بأشدِّ الوعيد، والثَّانية

[1]- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل. الزمخشري، جار الله بن القاسم محمود بن عمر.ج 2، ص : 20 .

[2]- سورة النحل ، الآيات : 84- 89.

[3]- الإتقان في علوم القرآن. السيوطي، جلال الدين. ج3، ص: 1132 .

أعقب مخوف تهديدها بترجّي السّلامة من مهول وعيدها بما اتبعت به، مما يفهم البشارة والتلطّف والإنعام."[1]

وهذه القراءات تؤكّد على ضرورة توخّي أسرار الحروف، وتفهُّم الدّواعي التي قادت الآية إلى مثل هذا الخرق السّياقي.

4- حروف الجرّ في مشتبه النّظم و أسرارها الدّلالية:

يطرح استعمال أحرف مختلفة في سياقات متشابهة إشكالات دلالية، من ذلك قوله تعالى﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾[2]، وقوله أيضا: ﴿.... **وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاء رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ** ﴾[3] وقوله : ﴿ **يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ** ...﴾[4]، وقال كذلك: ﴿ **خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ** ﴾ [5]

والملاحظ أنَّ ثلاثة مواضع استعمل فيها الفعل (يجري) معدّى باللاّم، ثم تحوَّل الخطاب إلى استعمال الحرف (إلى) مع الفعل نفسه. فهل هذا من باب التكرار ؟ وما سرّ ذلك؟ وهل هو من باب تناوب الحروف وتعاورها ؟

---

[1]- ملاك التأويل، الغرناطي، ابن الزبير. ج2، ص : 756 ، 757 ، 758 .

[2]- سورة لقمان.الآية: 29.

[3]- سورة الرعد. الآية: 02.

[4]- سورة فاطر. الآية : 13 .

[5]- سورة الزمر. الآية: 05.

جاء في (**ملاك التأويل**): " أنَّ آية لقمان تقدَّمها التَّنبيه على الاعتبار بها بقوله : (ألم تّـــر...)، ثمَّ قال: (وسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ)، فعطف بواو النَّسق المقتضية الجمع، فدخل هذا مع ما قبله تحـــت حكم التَّنبيه بقوله: (ألم تر)، وحكم التَّنبيه بالاعتبار منسحب على المجمـــوع للاشـــتراك في اللّفـــظ والمعنى، فطال الكلام بحسب ما اقتضاه مقصوده، فناسب طوله الجر بما يناسبه ممَّا لا يخرج عن معـــنى اللاّم الجارَّة وهو (إلى)، فانجرّ الأجل بها ولما بُـــنِيت الآيتان بعد على إيجاز ليس في آيـــة (لقمـــان). ناسبه الجر باللاَّم اكتفاء بما يحرز المعنى المقصود ويناسب التَّركيب."[1]

ويقول صاحب (**درة التنزيل وغرّة التأويل**) :" إنّ معنى قوله عزَّ وجلَّ (يجري لأجل مـــسمّى) يجري لبلوغ أجل، ومعنى قوله (يجري إلى أجل) معناه لا يزال كلٌّ من الشَّمس والقمر جاريـــا حتَّى ينتهي إلى آخر وقت جريه المسمى له، وإنما خصّ ما في سورة لقمان بـــ (إلى) التي للانتهاء والـــلاّم تؤدِّي معناها؛ لأنها تدلُّ على أنَّ جريها لبلوغ الأجل المسمَّى؛ لأنَّ الآيات التي تكتنفها آيات منبِّهـــة على النِّهاية والحشر والإعادة ....وسائر المواضع التي ذكرت فيها اللاّم وإنما هي في الإخبار عن ابتداء الخلق... فاختصَّ ما عند ذكر النهاية بحرفها واختصَّ ما عند الابتداء بالحرف الدّال على العلَّة التي يقع الفعل من أجلها."[2]

ومن خلال ما ذهب إليه الاسكافي يتبيَّن؛ أنَّ (اللاَّم) قد أعطت فعل الجري حركة مستمرَّة نحو الغاية المنشودة، في حين أفادت التَّعدية بـــ (إلى) معنى السُّكون إلى النِّهاية، وهـــي في آيـــات اليـــوم الآخر. أمَّا ما ذهب إليه الغرناطي مفاده أنَّ آية (لقمان) جاءت للتَّنـــبيه والاعتبار.

وقد ردّ **الزمخشري** على من يقول يتعاور الحروف، ورماه بضيق العطن بقوله : "فـــإن قلـــت: يجري لأجل مسمَّى ويجري إلى أجل مسمَّى. أهو من تعاقب الحرفين؟ قلت: كلاّ ولا يـــسلك هـــذه

[1]- ملاك التأويل. الغرناطي، ابن الزبير. ج2، ص: 943، 944 .

[2]- درة التنزيل وغرة التأويل. الخطيب الإسكافي، أبي عبد الله محمَّد بن عبد الله الأصبهاني. ج 3، ص: 1056 وما بعدها .

الطريقة إلاّ بليد الطّبع ضيّق العطن، ولكن المعنيين أعني الانتهاء والاختصاص كلٌّ واحد منهما ملائم لصحّة الغرض؛ لأنَّ قولك يجري إلى أجل مسمًّى معناه يبلغه وينتهي إليه، وقولك يجري لأجل مسمًّى تريد يجري لإدراك أجل مسمًّى، تجعل الجري مختصًّا بإدراك أجل مسمًّى."[1]

وقوله تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً**﴾ [2]، وقال أيضا : ﴿ **لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً** ﴾ [3]، وقوله ﴿**...فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً** ﴾ [4]

قال **الزمخشري**: " أي: أنزل الله في قلوبكم السُّكون و الطُّمأنينة بسبب الصُّلح و الأمن، ليعرفوا فضل الله عليهم بتيسير الأمن بعد الخوف، ليزدادوا يقينا إلى يقينهم، وأنزل فيها السُّكون لما جاء به محمَّد عليه السَّلام من الشَّرائع مقرونا إلى إيمانهم وهو التَّوحيد." [5]

ففي الآية الأولى جاء فعل الإنزال معدّى بـ (في)، وفي الثانية والثالثة عدّى الإنزال (ب على)، مع أنَّ الآيات أنزلت في سياق أحداث الحديبية، وعقد الصُّلح بين المسلمين والكفَّار، ودلالة الخرق السِّياقي أنَّ المسلمين كانوا بحاجة ماسَّة إلى السَّكينة وهي :" تتغلغل في قلوبهم في هذا الموطن عند إبرام الصُّلح لذا عدّى الإنزال بـ (في) دون الموضعين الآخرين؛ لأنَّ المؤمنين كانوا

[1] – الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل.الزمخشري، جار الله بن القاسم محمود بن عمر. ج 5، ص: 22، 23 .
[2] – سورة الفتح. الآية: 04 .
[3] – سورة الفتح. الآية: 18 .
[4] – سورة الفتح. الآية: 26 .
[5] – الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل.الزمخشري، جار الله بن القاسم محمود بن عمر. ج 5، ص: 536.

أكثر حاجة إلى هذه السَّكينة في هذا الموطن، وبديهي أنَّ هناك فرقا كبيرا بين (في) و (على)؛ إذ تستعمل (في) للظَّرفية وهنا يدلُّ على تغلغل السَّكينة في أعماق المؤمنين وقلوبهم."[1]

ويمكن أن نفهم من هذا أنَّه :" حين يتعدَّى الفعل بحرف ليس من شأنه أن يتعدّى به، إمّا لأنَّه يتعدَّى بنفسه، وإمَّا لأنَّه يتعدَّى بحرف آخر شاعت تعديته به على ألسنة الفصحاء، فإذا ما خولف المعروف و المشهور من هذه التعدية، فإنَّ الآراء تتباين والمذاهب تتعدَّد في تفسير هذه المخالفة وأكثرها لا يعنى بالوقوف على أسرار المخالفة، واستجلاء أغراض النّظم، بقدر ما يُعنى بإيجاد تبرير لهذا الخروج، والاستشهاد على صحته، مما نطق به العرب، أو نزل به الرُّوح الأمين."[2]

وتأمَّل قوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ**﴾[3] وقوله:﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ**... ﴾[4]، تجد أنَّ التَّعبير الأوَّل جاءت في بنيته السَّطحية (أنزلنا إليك)، في حين أنَّ البنية السَّطحية للتَّعبير الثاني (أنزلنا عليك).

يقدِّم **الخطيب الاسكافي** تعيلا شافيا مفاده؛ أنَّ أكثر السِّياقات التي ذكر فيها إنزال الكتاب على النبيِّ –صلَّى الله عليه وسلَّم– استعمل فيها الحرف (على)، بينما يستعمل الحرف (إلى) في ذكر ما يترل على الناس هذا من جهة، ومن جهة أخرى أنَّ كلَّ سياق في القرآن عدِّي فيه الكلام (بإلى) إلاّ و يفيد تشديد التَّكليف عليه–صلَّى الله عليه وسلَّم–. أمَّا ما جاء معدّا (بعلى) ففائدة ذلك التَّشريف له و التَّخفيف عنه.[5]

[1] – إعجاز القرآن الكريم. فضل عباس. دار الفكر، عمان، الأردن، (د.ط)، (د.تا)، ص: 196.
[2] – من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم. محمَّد أمين الخضري. ص: 12.
[3] – سورة الزمر. الآية : 02.
[4] – سورة الزمر. الآية : 41.
[5] – ينظر : درة التنزيل وغرة التأويل. الخطيب الإسكافي، أبي عبد الله محمَّد بن عبد الله الأصبهاني. ج3، ص: 1007، 1008.

ووافقه **الكرماني** في هذا التعليل بقوله : " أنَّ كل موضع خاطب النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم- بقوله : (إنا أنزلنا إليك) ففيه تكليف، وإذا خاطبه بقوله (إنا أنزلنا عليك) ففيه تخفيف . واعتبر بما في هذه السورة – سورة الزُّمر – فالذي في أوَّل السُّورة (إليك)، فكلَّفه الإخلاص في العبادة، والذي في آخرها (عليك) فختم الآية بقوله : ﴿ **وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ** ﴾ [1]، أي: لست مسئولا عنهم، فخفّ عنه ذلك."[2]

ومن إعجاز استعمال الذِّكر الحكيم لحروف الجر ما يرد في خطاب الأنبياء لأقوامهم، من ذلك قول قوم هود -عليه السَّلام- لنبيِّهم، في قوله تعالى : ﴿ **قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَاْ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ** ﴾ [3]

فالتَّوازن السِّياقي كان يستلزم أن يكون التَّعبير في غير القرآن (...إنا لنراك في سفاهة ...ليس في سفاهة)، لكن ثمَّ كسر النمط المألوف إلى (بي سفاهة)، والحرف (في) يفيد الظرفية؛ فكأنَّ السفاهة أصبحت ظرفا له، وهو مظروف فيه، يحيط به من كل مكان، وكان الردّ على القوم بما لا يوافق قولهم (بي سفاهة)، و(في سفاهة) يقتضي أنه فيها قد استوت عليه كالظرف المحتوى على الشيء. [4] هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أن بناء هذه الآية شبيه ببناء الآية التي قبلها في السورة نفسها:

﴿ **قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلاَلَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ** ﴾[5]

---

[1]- سورة الزمر.الآية: 41.

[2]- البرهان في توجيه متشابه القرآن. الكرماني، محمود بن حمزة. تح: عبد القادر أحمد عطا. ص: 166 .

[3]- سورة الأعراف. الآيات: 66 ، 67 ، 68 .

[4]- ينظر: تفسير البحر المحيط. أبو حيان الأندلسي، محمَّد بن يوسف.ج 4، ص: 327 .

[5]- سورة الأعراف. الآيات: 60، 61، 62.

هود – عليه السَّلام–	نوح – عليه السَّلام–
– قال الملأ الذين كفروا من قومه	– قال الملأ من قومه
–إنَّا لنراك في سفاهة	– إنَّا لنراك في ضلال مبين
– وإنَّا لنظنُّك من الكاذبين	–
–قال يا قوم ليس بي سفاهة	– قال يا قوم ليس بي ضلالة
–ولكنِّي رسول من رب العالمين.	–ولكنِّي رسول من رب العالمين
–أبلِّغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين	–أبلِّغكم رسالات ربي وأنصح لكم
	–وأعلم من الله ما لا تعلمون

وإليك بيان السِّياق في الآيتين حتَّى يتَّضح الفرق الدَّلالي بين التَّعبيرين :

ومعنى ذلك كلّه؛ أنَّه لم يرد النفي منه على لفظ ما قالوه، فناسب مجيء جوابه لهم بـ(الباء) تحوُّلا عن حرف الوعاء (في)؛ للتأكيد والمبالغة على نفي اقترابه من السَّفاهة وتلبُّسها به، أو أن تختلط سفاهة ما واحدة فأنّى يكون في السَّفاهة، وهذا أبلغ من الانتقاء من السَّفاهة إذ لم يتعلق به ولا سفاهة واحدة. [1]

[1]– ينظر: تفسير البحر المحيط. أبو حيان الأندلسي، محمَّد بن يوسف.ج 4، ص: 324 .

ويعلّق **الزمخشري** على إجابات الأنبياء لأقوامهم، ويفصح عن سرٍّ تربويٍّ رفيع، وخلق عظيم بقوله : " وفي إجابة الأنبياء – عليهم السلام – من نسبهم إلى الضَّلال و السَّفاهة بما أجابوهم به من الكلام الصَّادر عن الحلم، والإغضاء، وترك المقابلة بما قالوا لهم، مع علمهم بأنَّ خصومهم أضلّ الناس وأسفههم أدب حسن، وخلق عظيم، وحكاية الله – عزّ وجلّ – ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السُّفهاء، وكيف يغضّون عنهم، ويَسْبِلون أذيالهم على ما يكون منهم."[1]

ولنتأمل هذا التَّصوير الرَّائع في هذا الخرق السِّياقي في قوله تعالى : ﴿ **وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً** ﴾[2]، وقوله : ﴿**وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً**﴾[3]، فقد عدل التَّعبير القرآني من حرف الاستعلاء (على) إلى حرف الظرفية (في) ، فما سر هذه المغايرة ؟

قال **الزَّركشي** : " وقال : (وَعِبَادُ الرَّحمنِ الذينَ يمشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً)، وقال : (وَلاَ تمشِ في الأَرْضِ مَرَحًا) وما قال (على الأرض)؛ وذلك لمـّا وصف العباد بيّن أنهم لم يوطّنُوا أنفسهم في الدُّنيا؛ وإنما هم عليها مستوقرون، ولمـّا أرشده ونهاه عن فعل التبختر، قال : (وَلاَ تمشِ في الأَرْضِ مَرَحًا)، بل امْشِ عَلَيهَا هَوْنا."[4]

[1] – الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل. الزمخشري، جار الله بن القاسم محمود بن عمر. ج 2، ص: 458 .

[2] – سورة الفرقان. الآية: 63 .

[3] – سورة الإسراء. الآية: 37 .

[4] – البرهان في علوم القرآن. الزركشي، بدر الدين محمَّد بن عبد الله. ج4 ، ص: 176.

فقد " دلّ حرف الاستعلاء على تواضع المؤمنين، وإقلاعهم عن الدُّنيا، وزهدهم فيها، وكيف يمشون برفق على هذه الأرض، حتَّى لا تكاد تلمسها أقدامهم، وكأنهم يمشون بين قوم نيام يخشون إيقاظهم."[1]

والمتأمِّل في أعطاف النَّظم الكريم يقرأ قوله تعالى : ﴿... **حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ** ﴾[2]، وقوله أيضا في محكم التَّنزيل: ﴿ **وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ**﴾[3]، فجاء لفظ (السَّلام) في الآية الأولى مع الحرف (على)، ثم تحوَّل السِّياق في الآية الثانية إلى (اللام) .

جاء في (**بدائع الفوائد**) :" .. قولك : سلّمت عليه، أي ألقيت عليه هذا اللفظ، وأوضعته عليه، إيذانا باشتمال معناه عليه، كاشتمال لباسه عليه، وكان حرف (على) أليق الحروف به فتأمله، وأمَّا قوله تعالى: (فسلام لك ....) فليس هذا سلام تحية، ولو كان تحيَّة لقال : فسلام عليه ... ولكن الآية تضمّنت ذكر مراتب الناس وأقسامهم عند القيامة الصُّغرى حال القدوم على الله فذكر أنهم ثلاثة أقسام، مقرّب له الروح و الرَّيحان وجنَّة النعيم، ومقتصد من أصحاب اليمين له السَّلامة فوعده بالسَّلامة، ووعد المقرّب بالغنيمة و الفوز، وإن كان كلٌّ منهما سالما غانما، وظالم بتكذيبه و ظلاله، فأوعده بنزل من حميم وتصلية جحيم، فلمّا لم يكن المقام مقام تحيَّة، وإنما هو مقام أخبار عن حاله ذكر ما يحصل له من السلامة." [4]

---

[1]- من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم. محمَّد الأمين الخضري. ص: 128.

[2]- سورة الزمر. الآية: 73 .

[3]- سورة الواقعة. الآية: 90 ، 91.

[4]- بدائع الفوائد. ابن قيم الجوزية .ج2، ص: 146 .

إنَّ الفروق بين استعمالات حروف الجر في متشابه القرآن لا يكشف عنها إلاَّ السِّياق، وإليه يرجع الفضل في بيان المعاني؛ لأنه العمدة في كثير من مواطن الترجيح بين الآيات المتشابهة، فكل حرف يشيع في سياقه من الدلالات الخاصة ما لا يشيعه في سياق آخر.

المبحث الثاني : دلالة الخرق في حروف النسق(*):

من اللاّفت للنَّظر في التَّعبير القرآني دقته في استعمال حروف النَّسق والمغايرة بينها، إذ نجده يستعمل الحرف لدلالة مقصودة في السِّياق، ثم يعدل عنه إلى حرف آخر في السِّياق نفسه، أو في سياقات متشابهة، مما يدعو إلى التدَّبر لإدراك الغاية من وراء هذا الخرق من مقاصد ودلالات، ويصعب في هذا المبحث تناول كلّ مواطن هذا الخرق لكثرة مادته، وتكتفي هذه الصفحات فقط بالإشارة إلى بعض صوره ونماذجه، وحسبك من القلادة ما أحاط بالعنق .

إنَّ لحروف العطف أهمِّية كبيرة في أداء وظيفة الرَّبط في الجملة العربية، وبما تضفيه من دلالات انطلاقا من فكرة العلاقات السِّياقية التي طرحها **الجرجاني** في نظريَّة النَّظم، والتي تصلح منطلقا لتحليل التَّراكيب، وفهم أبعادها الدَّلالية، وقد قرَّر علماء اللُّغة أن لكلِّ حرف دلالة عامة تختصُّ به، فقالوا: الواو لمطلق الجمع، والفاء للترتيب والتعقيب ... وهكذا.

جاء في (**شرح المفصل**) : " الواو للجمع المطلق من غير أن يكون المبدوء به داخلا في الحكم في الآخر، ولا يجتمعا في وقت واحد، بل الأمران جائزان وجائز عكسهما... ، الفاء وثمَّ وحتَّى تقتضي الترتيب، إلاَّ أنَّ الفاء توجب وجود الثاني بعد الأول بغير مهلة، وثمَّ توجبه بمهلة."[1]

وبناء على هذا البعد الدَّلالي لحروف المعاني يقوم هذا المبحث في جزء منه على تقصِّي طاقات حروف النَّسق وقدرتها الأسلوبية على الإشارة إلى الأسرار الدَّلالية للتَّعبير القرآني، وما تؤدِّيه من وظيفة إيصاليه إلى المتلقي .

---

*- يقال : حروف العطف وحروف النسق ؛ فالعطف مصطلح بصري ، والنسق مصطلح كوفي ، وهو من قولهم : ثغر نسق إذا استوت أسنانه وكلام نسق إذا كان على نظام واحد ، فلما شارك الثاني الأول وساواه في إعرابه سمي نسقا . ينظر: شرح المفصل. ابن يعيش. تقديم : د.إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1؛ 1422هـ ، 2001م ، ج8 ، ص: 88 .

[1]- المصدر نفسه، ج5 ، ص: 06، 12.

1- أسرار الخرق السياقي لحروف النَّسق:

يمثل العطف وجها مهمًّا من أوجه السِّياق النَّحوي باعتباره متعدِّد الأدوات، والعلاقات بين المتعاطفين، ومن ثمَّ كان مجال العطف مجالا رحبا للمفسِّرين المهتمين بالجانب الدَّلالي و البلاغي في القرآن الكريم.

قال تعالى:﴿**وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفاً فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفاً وَالنَّاشِرَاتِ نَشْراً فَالْفَارِقَاتِ فَرْقاً فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْراً** ﴾[1]، وبمقتضى المطابقة السِّياقية في التعبير يكون الأولى في غير القرآن: (والمرسلات ... فالعاصفات ... فالناشرات ....) .

جاء في (**بدائع التفسير**): " أنه سبحانه جعل الأقسام في هذه السُّورة نوعين، وفصل أحدهما عن الآخر، وجعل العاصفات معطوفا على المرسلات بفاء التعقيب، فصارا كأنهما نوع واحد، ثمَّ جعل الناشرات كأنه قسم مبتدأ فأتى فيه بالواو، ثم عطف عليه الفارقات والملقيات بالفاء، فأوهم هذا أنَّ الفارقات والملقيات مرتبط بالنَّاشرات، وأنَّ العاصفات مرتبط بالمرسلات ...، ولهذا –والله أعلم– فصل أحد النَّوعين من الآخر بالواو، وجعل ما هو تابع لكل نوع بعده بالفاء."[2]

والملاحظ أن التَّعبير القرآني عدل عن (الفاء) في قوله (فالعاصفات)، إلى (الواو) في قوله: (والناشرات)، ويفهم من هذا أنَّ الملائكة طائفتان : المرسلات والعاصفات أوَّلا، ثم طائفة أخرى النَّاشرات والفارقات والملقيات، فأتى (بالواو) في (الناشرات) حتَّى ليفرق بينهما؛ وذلك للتفريق بين الذَّوات والصِّفات؛ أي :" عطف الناشرات على ما قبل بالواو ظاهر للتَّغاير بالذات بينهما، وعطف

[1]- سورة المرسلات. الآيات: 01 - 05.

[2]- بدائع التفسير الجامع لما فسَّره الإمام بن قيم الجوزية. ابن قيم الجوزية. ج 3، ص : 245 .

العاصفات على المرسلات، والفارقات على الناشرات، وكذا ما بعد بالفاء لتتزيل تغاير الصِّفات مترلة تغاير الذَّات."[1]

وهذا شبيه بقوله تعالى : ﴿ **وَالنَّازِعَاتِ غَرْقاً وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطاً وَالسَّابِحَاتِ سَبْحاً فَالسَّابِقَاتِ سَبْقاً فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْراً**﴾[2]، إذ تحول الكلام عن (الواو) في قوله (والسَّابحات) إلى (الفاء) في قوله (فالسَّابقات ... فالمدبِّرات ...) .

قال **الزَّمخشري** : " أقسم سبحانه بطوائف الملائكة التي تترع الأرواح من الأجساد وبالطوائف التي تنشطها أي تخرجها، من نشط الدَّلو من البئر إذا أخرجها، وبالطَّوائف التي تسبح في مُضيِّها؛ أي: تسرع فتسبق إلى ما أمروا به، فتدبِّر أمرا من أمور العباد ممَّا يصلحهم في دينهم أو دنياهم كما رسم لهم."[3]

والذي يفهم من كلام **الزَّمخشري** أنَّ الله تعالى أقسم بثلاث طوائف من الملائكة وهي : طائفة تترع الأرواح من الأجساد، وطائفة تخرجها، وثالثة تسبح في مضيها، فتسبق فتدبر، وهذه الأخيرة خصها الخطاب القرآني بثلاث صفات هي : السَّبح، السَّبق، والتَّدبير، ومن أجل هذا استعمل حرف (الفاء)، أمَّا ذوات الطوائف من الملائكة فعطف بينها بالواو، فجاء كل حرف في المكان المناسب له.

وانظر إلى قوله تعالى : ﴿ **فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ**﴾[4] ؛ حيث ذكر السِّياق الأفعال على النَّحو التالي : (وأزلفنا، وأنجينا، ثم أغرقنا) بالحرف (ثم) الذي يفيد الترتيب والتراخي (المهملة)، وبين (الفاء) و (ثم) أنَّ الأخيرة أشد تراخيا . فهل المقصود باستعمال حرف

---

[1]- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. الألوسي، محمود شكري. ج 29، ص: 169.

[2]- سورة النازعات. الآيات: 01 - 05.

[3]- الكشاف عن حقائق غوامض التتزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل. الزمخشري، جار الله بن القاسم محمود بن عمر.ج06 ، 304 .

[4]- سورة الشعراء. الآيات: 63 - 66 .

العطف (ثم) التراخي الزَّمني ؟ ، ولماذا لم يستعمل (الواو) بدلا من (ثم) كمثيلاتها ؟ كما جاء في قوله تعالى في غير هذا الموضع : ﴿**وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ**﴾[1]

السِّياق في سورة (البقرة) سياق تعداد النِّعم التي لا يصلح تعدادها إلا بحرف الواو، ذلك أنهم عاينوا هلاك فرعون وأتباعه مما أورثهم أرضهم وديارهم .[2]، بعكس السياق في (الشعراء) الدَّال على الإغراق وهو من أكبر النعم،و أعظمها على بني إسرائيل.

يقول **الألوسي**: " ... والظاهر أنَّ (ثم) للتَّراخي الزَّماني، ولعلَّ الأولى حملها على التَّراخي المعنوي لما بين المعطوفين من المباعدة المعنوية."[3]

ومن ذلك أيضا قوله تعالى ﴿**لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ** ﴾[4]، ولو كان التعبير في غير القرآن لكان : (وضاقت ... ووليتم ...) فما سرُّ هذا الخرق ؟

يرى محمد الأمين الخضري أنَّ العدول إلى استعمال الحرف ثم دون غيرها من حروف النَّسق الأخرى أقدر على الإشارة إلى المعنى المراد؛ " فقد كشفت ثمَّ في قوله (ثُمَّ وَلَّيتُمْ مُدْبِرِين) عن شدَّة وقع المفاجأة على المسلمين حين باغتهم العدوُّ، فشتَّت فكرهم و جمعهم وجسّدت حيرتهم و ارتباكهم . إنها لحظات قلائل بعمر الزَّمن، بين مباغتة العدوِّ للمسلمين وتولِّيهم مدبرين، لكنها لحظات عصيبة، أبرز فيها حرف المهلة ما أصاب فكرهم من الشَّلل، وما غشيهم من الحيرة،

---

[1]- سورة البقرة. الآية: 50.

[2]- ينظر: التفسير الكبير. الرازي، فخر الدين، ج3، ص: 73، 74، 75.

[3]- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. الألوسي، محمود شكري. ج 19، ص: 89.

[4]- سورة التوبة. الآية: 25.

فأعجزهم عن الحركة السَّريعة القادرة على استيعاب الحد ، وحسن التصرُّف في معالجته، وهو ما صوَّرته الكناية في قوله (وَضَاقَت عَليكُم الأَرْضُ بما رَحُبَت)، فهو ضيق النَّفس وضعف الحيلة ، و العجز عن الحركة، وذهاب الفكر، ذلك الذي عكسه حرف التَّراخي في صفحة الزَّمن. "[1]

لقد عدل السِّياق عن (الواو) إلى (ثم) ليصوِّر الحالة النَّفسية للمسلمين المليئة بالانكسار بعد هزيمتهم في غزوة (حنين) وشدَّة وطأة الزَّمن، وامتداده واستطالته على نفوسهم في ذلك الموقف العصيب، حتى يخيّل إليك أنَّ الأرض صارت عدوا يحاصرهم، ويكتم على أنفاسهم، ويجثم على صدورهم، وهو تمثيل بحال من يرى الأرض الواسعة ضيِّقة، فوقعت (ثمَّ) موقع التَّراخي الرُّتبي[*] بمعنى أنكم وليتم مدبرين نتيجة ما أصابكم من الشر.[2]

فالآية جمعت بين التَّراخي الزَّمني و التَّراخي الرُّتبي، وهما وجهان ذكرهما **ابن عاشور** كذلك تفسيرا للآية الموالية لها، و التي جاءت فيها (ثمَّ) مرة أخرى للدَّلالة على شدَّة الابتلاء، وعظم المصيبة، واستطالة الزَّمن الذي يشعرهم بشدَّة وقع الهزيمة على نفوسهم ﴿ **ثُمَّ أَنزلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُواْ...** ﴾[3] بقوله: "و (ثم) دالة على التَّراخي الرُّتبي ؛ فإنَّ نزول السَّكينة ، ونزول الملائكة أعظم من النَّصر الأوَّل يوم حنين، على أنَّ التَّراخي الزَّمني مراد ؛ تنزيلا لعظم الشدَّة و هول المصيبة منزلة طول مدَّتها ، فإنَّ أزمان الشدَّة تخيّل طويلة و إن قصرت." [4]

---

[1]- من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم. محمَّد الأمين الخضري، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط2؛ 1427هـ، 2007م ص: 167 .

*- هو التفاوت بين المتعاطفين في المنزلة ، بجعل المعطوف أرفع منزلة من المعطوف عليه . المرجع نفسه ، ص : 187 .

[2]- ينظر : التحرير والتنوير. ابن عاشور، محمَّد الطاهر. ج 10، ص: 157.

[3]- سورة التوبة. الآية: 26.

[4]- التحرير والتنوير. ابن عاشور، محمَّد الطاهر. ج 10، ص: 157 ، 158.

ويذهب الدكتور **محمد محمد أبو موسى** إلى الوقوف عند سرٍّ دلاليٍّ آخر حملته الآية الكريمة؛ إذ يقول : " فذكرهم بضمير المخاطب، ثم قال : (ثُمَّ أَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى المؤمِنينَ)، وكان سياق الأسلوب أن يقول : ثم أنزل الله سكينته عليكم، ولكن لمـّا كان في إنزال السكينة لطفا بهم وتكريما لهم قال : رسوله و المؤمنين، فذكرهم بأوصاف التَّكريم و التَّعظيم، وذكر أهليتهم لنزول السَّكينة، وفيه تعظيم لشأن الإيمان، وأنَّ من حصَّله على وجه كان مع الرَّسول في الكرامة." [1]

ومن السِّياقات القرآنية التي عدل فيها النَّسق القرآني من (الواو) إلى (ثم) للدَّلالة على استبعاد الوقوع قوله تعالى : ﴿ **ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُوداً وَبَنِينَ شُهُوداً وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيداً ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيداً** ﴾[2]؛ إذ " ليس الطَّمع في ذاته هو المستبعد؛ لأنَّ الشَّأنَ في الإنسان أنه نهِم لا يشبع، وأنَّ حبَّه للدُّنيا وزينتها لا يقف عند حد، حتَّى قيل : إنَّ المال كالماء المالح، كلّما شربت منه ازددت عطشا، وإنما المستبعد أن يطمع في زيادة الله له وهو على هذه الحال من الكفر بمن يستزيده، وهو ما اقتضى ردعه وزجره عمَّا طمع فيه (كَلاَّ إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيدا)، فكان هذا العناد و الكفران هو على الاستبعاد، وإنكار طمعه فيما لا يكون فدلّت (ثم) على استبعاد وقوع ما طمع فيه بعد أن أتى من الاستكبار، و العناد ما أغلق دونه أبواب رحمة الله ." [3]

وكذلك قوله تعالى : ﴿ **إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ نَظَرَ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ** ﴾[4]، فقد تكرَّر العطف

---

[1]- خصائص التراكيب (دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني). محمَّد محمَّد أبو موسى، ص: 246.

[2]- سورة المدثر. الآيات: 11 - 16.

[3]- من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم. محمَّد الأمين الخضري. ص: 195، 196.

[4]- سورة المدثر ، الآيات : 18- 25 .

ب (ثم) كثيرا في قوله : (ثمَّ قُتِلَ، ثمَّ نَظَر، ثمَّ عَبَسَ، ثمَّ أدْبَر)، ثمَّ عدل عن (ثمَّ) إلى (الفاء) فجأة فقال: (فقال إن هذا إلا سحر يؤثر)، و لم يقل السِّياق (ثمَّ قال ...) .

لقد نزلت هذه الآيات في **الوليد بن المغيرة** الذي بهره القرآن الكريم بروعته وجمال نسقه ونظمه، و" كان العطف في (فقال) بالفاء، دلالة على التَّعقيب؛ لأنَّه لمـَّا خطر بباله هذا القول بعد تطلُّبه لم يتمالك أن نطق به من غير تمهل."[1]؛ أي أنَّ القول صدر منه دون إعمال نظر وتريُّث وتفكير في المقول (القرآن الكريم)، فجاءت مقولته على عجل لمـَّا لم يستطع مواجهة إعجاز القرآن دون قناعة أو يقين فهزم شرَّ هزيمة، " فأدَّت (ثمَّ) دورها في تعميق الصِّراع، و إبراز المعاناة، وتكاثف الحيرة، وصعوبة التخلّص من آثار الهزيمة النَّفسية، التي خلّفها سماع القرآن في نفسه، كما أدّت (الفاء) في الآية الأخيرة دورها كذلك، في الدَّلالة على التسرُّع و النَّـزق فيما وصف به القرآن من السِّحر، وأنَّه لم يخضع قولته لفكر ونظر، و لم يقل ما قاله عن قناعة و يقين، وكأنَّه يسرع الهرب بعد أن ألقاها." [2]

وعلَّق **الزمخشري** على ذلك بقوله : " فإن قلت: ما معنى المتوسطة، بين الأفعال التي بعدها؟ قلت: الدلالة على أنه قد تأتي في التأمّل والتمهّل، وكأنّ بين الأفعال المتناسقة تراخ وتباعد، فإن قلت: فلم قيل: (فَقَالَ إِنْ هَذَا) بالفاء بعد عطف ما قبله بثمَّ ؟، قلت: لأنَّ الكلمة لمـَّا خطرت بباله بعد التطلّب لم يتمالك أن نطق بها من غير تلبث، فإن قلت : فلم لم يتوسط حرف العطف بين الجملتين ؟ قلت: لأنَّ الأخرى جرت من الأولى مجرى التَّوكيد من المؤكَّد."[3]

---

[1]- تفسير البحر المحيط. أبو حيان الأندلسي، محمَّد بن يوسف. ج8 ، ص: 367 .

[2]- من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم. محمَّد الأمين الخضري. ص: 165 .

[3]- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل. الزمخشري، جار الله بن القاسم محمود بن عمر.ج 06، ص: 257 .

ولو جاء السِّياق بـــ (ثم قال ...) لما فهم هذا المعنى، ولكان قول المغيرة عن ترتيـــب وإعمـــال فكر ويقين، وهذا ما لا يتناسب هنا،" فنجد أنَّ (ثمَّ) لعبت دورا مهمًّا في تجسيد الصِّراع العنيـــف في نفس المغيرة، من خلال وصف حركاته وسكناته، وملامح الغضب التي رسمت على وجهه عند سماعه القرآن الكريم، والذي تأثر فيه بروائع هذا البيان."[1]

وانظر إلى براعة النَّظم القرآني في خرق المطابقة السِّياقية ، وما يشي به هذا الخرق من دقـــائق المعاني في قوله تعالى : ﴿ **فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى**﴾[2]، وكان بمقتضى المطابقة السِّياقية أن يكون التَّعبير: (فتولى ، فجمع ، فأتى)، وبالنَّظر للواقع والحقيقة في غير القرآن كان الأولى أن يقال: (ثم جمع كيده فأتى)؛ لأنَّ جمع الناس وحشدهم يستدعي مهلة غير يسيرة من الزَّمن بعكس الإتيان ومفاد ذلك " تأمَّل قوله (فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثمَّ أتَى)، وكيف أسرع إلى جمـــع كيده كما تعـــبر عنه الفاء، وكيف تثاقل عن الإتيان للقاء موسى، فأشعرت (ثُمَّ) بطول زمن الاستعداد وحشد الجموع وعـــدم المبادرة باللقاء بعد أن جمع كيده، أفترى فرعون وقومه على يقين من أنَّ موسى ساحر؟ وأيُّ ســـاحر هذا الذي تحشد له كل هذه الجموع من قوم هم أرباب صناعة السِّحر ؟، أو ليست (ثم) تشي بحالة الذُّعر التي انتابت فرعون وملأه، ودفعتهم إلى المبالغة في الحشود، و المماطلة في المواجهة ؟، وهو مـــا يؤكده تنازع القوم و اختلافهم (فتنازعوا أمرهم بينهم)، فأيُّ تنازع هذا وهم مجمعون على حربه و القضاء عليه، ومواجهته بنفس السِّلاح الذي زعموا أنَّه يحاربهم به؟ أليس ذلك دليلا على هزيمتـــهم النَّفسية بعد أن رأوا الآيات الناطقة بتأييد الله لنبيه؟."[3]

---

[1]- الواو و الفاء وثم في القرآن الكريم (دراسة نحوية دلالية إحصائية)، صفاء عبد الله نايف حردان، رسالة ماجستير(مخطوط)، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين؛ 2008م، ص: 151.

[2]- سورة طه. الآية: 60.

[3]- من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم. محمَّد الأمين الخضري. ص: 167.

فانظر كيف فرَّق التَّعبير القرآني بين الحرفين لدلالة مقصودة فكل حـــرف ورد في الآيـــة أدّى نصيبه من المعنى أقوى أداء، ومن ثَمَّ فإنَّ " من مفاتن هذه اللُّغة الشَّاعرة، ودقَّة مواءمتها بين اللَّفـــظ والمعنى، أنها اختارت (الفاء)، وهي حرف واحد لمعنى المسارعة، و (ثمَّ) وهي ثلاثة أحرف للمهـــلة، ليواكب قصر الزَّمن في النطق بالفاء التَّوالي السَّريع للأحداث، ويتناغم طول النُّطق بحرف المهلة مـــع التَّراخي في وقوع الأحداث."[1]

وإلى مثل هذا المعنى أشار **أبو السعود** بقوله : " وفي كلمة التَّراخي إيماء إلى أنه لم يسارع إليه، بل أتاه بعد لَأْيٍ، وتلعثُم."[2]

وعلى إثر هذا يدرك الدَّارس الاستعمال المعجز لحروف النَّسق التي باستطاعتها إلى جانب كونها رابطة، فهي أداة فعَّالة في تصوير الانفعالات التي عبَّر عنها حرف التَّراخي، ودوره في إبـــراز الهزيمـــة النَّفسية.

2- مشتبه النَّظم و إيحاءات السِّياق:

يستعمل الذِّكر الحكيم أحرفا مختلفة في أماكن متشابهة مما يثير إشكالات دلالية، من ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـــذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ**﴾[3]، وقوله أيضا: ﴿**وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلاَ مِـــنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـــذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾ [4]، والملاحظ أنه عطف (كلا) علـــى (اسكن) في البقرة بـــ (الواو)، وعطف (كلا) على (اسكن) في الأعراف بـــ (الفاء) .

---

[1]- من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم. محمَّد الأمين الخضري. ص: 157.

[2]- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. أبو السعود بن محمَّد العمادي الحنفي. ج3، ص: 642.

[3]- سورة البقرة. الآية: 35.

[4]- سورة الأعراف. الآية: 19 .

جاء في (**درَّة التَّنزيل**) : " والأصل في ذلك أنَّ كلَّ فعل عطف عليه ما يتعلق به تعلُّق الجواب بالابتداء، وكان الأوَّل مع الثاني بمعنى الشَّرط والجزاء، فالأصل فيه عطف الثَّاني على الأوَّل بالفاء دون الواو ... "[1]

ولبيان هذا أكثر ما جاء في معنى قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُواْ هَـذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ**﴾[2].

فعطف (كلوا) على (ادخلوا) بالفاء لما كان وجود الأكل منها متعلِّقا بدخولها فكأنه قال: إن دخلتموها أكلتم منها، فالدُّخول موصل إلى الأكل، والأكل متعلِّق وجوده بوجوده يبين ذلك قوله تعالى في مثل هذه الآية من سورة الأعراف: ﴿ **وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُواْ هَـذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ** ﴾[3]، " فعطف (كلوا) على قوله (اسكنوا) بالواو دون الفاء؛ لأنَّ (اسكنوا) من السُّكنى، وهي المقام مع طول لبث، والأكل لا يختصُّ وجوده بوجوده ..."[4]

جاء في (**البرهان**) : " في البقرة بالواو (وكلا)، وفي الأعراف (فكلا) بالفاء. (اسكن) في الآيتين ليس بأمر بالسُّكون الذي هو ضد الحركة، وإنما الذي في (البقرة) من السُّكون الذي معناه الإقامة، وذلك يستدعي زمانا ممتدًّا، فلم يصلح إلاَّ بالواو؛ لأنَّ المعنى: اجمع بين الإقامة فيها والأكل من ثمارها. ولو كان الفاء مكان الواو لوجب تأخير الأكل إلى الفراغ من الإقامة؛ لأنَّ الفاء للتَّعقيب والترتيب، والذي في (الأعراف) من السُّكنى التي معناها: اتخاذ الموضع مسكنا...فكانت الفاء أولى؛

---

[1]- درة التنزيل وغرة التأويل. الخطيب الإسكافي، أبي عبد الله محمَّد بن عبد الله الأصبهاني. ج1، ص: 222 .

[2]- سورة البقرة.الآية: 58.

[3]- سورة الأعراف. الآية: 161.

[4]- درة التنزيل وغرة التأويل. الخطيب الإسكافي، أبي عبد الله محمَّد بن عبد الله الأصبهاني. ج1، ص: 223.

لأنَّ اتخاذ المسكن لا يستدعي زمانا ممتدا، ولا يمكن الجمع بين الاتخاذ والأكل فيه، بل يقع الأكل عقبه." [1]

ومعنى القاعدة – السابقة الذكر – التي ذكرها **الإسكافي**، أنَّ الأكل غير متعلِّق بالسُّكنى لذلك وجب العطف بالواو دون الفاء، بخلاف آية سورة (الأعراف) التي كان العطف بالفاء فيها.

يعني أنَّ الآيات السَّابقة لا إشكال فيها، إنما الإشكال في آية سورة (الأعراف) (اسْكُنْ أنتَ وَزَوْجُكَ الجَنة فَكُلاَ ...).

قالوا في تأويلها حتى تتناسب مع قاعدتهم : أنَّ (اسكن) بمعنى (ادخل)، لما ورد قبل هذه الآية، وكان الخطاب موجها فيها إلى إبليس﴿ **قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُوماً مَّدْحُوراً لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ [2]، وكأنَّ ما وجه لآدم كان، (اسكن ...) معنى (ادخل) ليوافق الدُّخول الخروج ومن المعاني التي تفهم من (اسكن) : إلزم لمن دخل مكانا، وكذلك لمن لم يدخل، اسكن هذا المكان، يعني: ادخله واسكن فيه.[3]

وبناء على ما ذُكر يمكن القول أنَّ الأمر في سورة (البقرة) " ورد بعد أن كان آدم في الجنة فكان المراد منه اللّبث والاستقرار، وقد بيّنا أنَّ الأكل لا يتعلق به فلا جرم ورد بلفظ الواو، وفي سورة (الأعراف) هذا الأمر إنما ورد قبل أن دخل الجنة فكان المراد منه دخول الجنة، وقد بيّنا أنَّ الأكل يتعلَّق به فلا جرم ورد بلفظ الفاء."[4]

---

[1] – البرهان في توجيه متشابه القرآن. الكرماني، محمود بن حمزة. ص: 26، 27.

[2] – سورة الأعراف. الآية: 18.

[3] – ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل. الخطيب الإسكافي، أبي عبد الله محمَّد بن عبد الله الأصبهاني. ج1، ص: 224. و التفسير الكبير. الرازي، فخر الدين. ج 3، ص: 04.

[4] – التفسير الكبير. الرازي، فخر الدين. ج3، ص: 05.

وعند **الغرناطي** : أنَّ مقصود آية (البقرة) مجرَّد الإخبار والإعلام لرسول الله –صلَّى الله عليه وسلَّم– بقصة آدم –عليه السَّلام– وما جرى فيها، و لم يكن المقصود إلا التعريف بذلك من غير ترتيب زماني، فناسبه الواو. أمَّا آية (الأعراف) فالقصد منها تعداد نعم الله على آدم وذريته، مما يصلح له الترتيب و التعقيب بالفاء دون الواو.[1]

وقد يستعمل النصُّ القرآني (الفاء) في سياق ثم يعدل عنها إلى (ثم) كما في قوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً...**﴾ [2]، وقال : ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ**﴾ [3]، ففي (الكهف) عطف (أعرض) على (ذكّر) بالفاء، وفي (السَّجدة) عطف (أعرض) على (ذكّر) بـ (ثم)، فما السرُّ الدَّلاليُّ لهذا التَّلوين العدولي؟

جاء في كتب المتشابه اللفظي ككتاب (**البرهان**) ما مفاده أنَّ : " (الفاء) للتعقيب، و(ثمَّ) للتراخي، وما في هذه السورة في الأحياء من الكفار؛ إذ ذكّروا فأعرضوا عقب ما ذكّروا، ونسوا ذنوبهم وهم بعد متوقع منهم أن يؤمنوا، وما في السَّجدة في الأموات من الكفار بدليل

قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ** ﴾ [4]؛ أي: ذُكِّروا مرَّة بعد أخرى، وزمانا بعد زمان، ثمَّ أعرضوا عنها بالموت، فلم يؤمنوا، وانقطع رجاء إيمانهم."[5]

---

[1] – ينظر ملاك التأويل، الغرناطي، ابن الزبير. ص: 187 ، 188.

[2] – سورة الكهف. الآية: 57 .

[3] – سورة السجدة. الآية: 22 .

[4] – سورة السجدة. الآية: 12 .

[5] – البرهان في توجيه متشابه القرآن. الكرماني، محمود بن حمزة. ص: 121 .

أمَّا في (**ملاك التَّأويل**) : أنَّ آية (الكهف) لم يخرج الخطاب فيها إلا للعرب، وقد أقيمت الحجَّة عليهم بعد سماعهم وتدبُّرهم، فكانت الفاء المقتضية التعقيب أنسب في هذا الموضع، وأمَّا آية (السَّجدة) فهي في حقِّ العرب وغيرهم: فجاءت (ثم) لتبيِّن عظم ارتكاب المعرض للذنوب هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أنَّ القوم أعرضوا عقب دعاء الرُّسل إياهم، وفي (السَّجدة) لم يذكر السياق مثل هذا الإرسال و الإعراض فعطف بـ(ثم)؛ لأنَّه لم تقع مباشرة الرّسل بالتكذيب فصار إعراضهم كأنه إنَّما علم بذكر الجزاء.[1]

ويرى **الزمخشري** أنَّ (ثمَّ) للاستبعاد، والمعنى : " أنَّ الإعراض عن مثل آيات الله في وضوحها وإنارتها وإرشادها إلى سواء السبيل، والفوز بالسَّعادة العظمى بعد التذكير بها مستبعد في العقل والعدل، كما تقول لصاحبك: وجدت مثل تلك الفرصة ثم لم تنتهزها استبعادا لتركه الانتهاز."[2]

ويوضِّح الدكتور **محمد أبو موسى** معنى (ثم) الدّالة على الاستبعاد في تتبعه لمواقعها في تحليلات **الزمخشري** ؛ حيث " يتضَّح لنا أصلان يرجع بمعاني (ثم) غالبا إليهما : الأوَّل : الاستبعاد؛ وذلك يكون إذا كان ما بعد (ثم) أمرا مستبعد الوقوع بالنسبة لما قبلها، أو بعبارة أخرى إذا كان ما قبل (ثمَّ) من الأحداث و الأفعال مهيئا لعدم حصول ما بعدها .... الثَّاني : بيان البعد بين الأمرين، وهذا غير الاستبعاد؛ إذ المراد أنَّ الأمرين من جنس واحد، ولكن ما بعد (ثم) أعلى مرتبة في هذا الجنس، وأبلغ مما قبلها، فليس بين الأمرين منافاة، كما في الاستبعاد، وإنما بينهما تفاوت، وهما من جنس واحد."[3]

---

[1] – ينظر: ملاك التأويل. الغرناطي، ابن الزوربير. ج2، ص : 783 وما بعدها .

[2] – الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل. الزمخشري، جار الله بن القاسم محمود بن عمر. ج 5،ص: 37.

[3] – البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري و أثرها في الدراسات البلاغية. محمَّد محمَّد أبو موسى، دار الفكر العربي، مصر، (د.ط)، (د.تا)، ص : 238 239 .

ويربط **الخطيب الاسكافي** بين دلالة الحرف ومقتضيات السِّياق ويلمح السرَّ الدَّلالي في هذه المغايرة ،" فقد كان استعمال الفاء في سورة (الكهف) أولى، واستعمال (ثم) هناك أحق و أحرى؛ وذلك أنَّ ما في سورة (الكهف) في ذكر قوم يستدعون إلى الإيمان، و لم تختم أعمالهم بالكفر ... وليس كذلك (ثم أعرض عنها)؛ لأنَّ الآية في وصف الكفار بعد موافاتهم القيامة ...؛ أي ذُكّر مدَّة عمره بآيات ربِّه، وتطاول الأمر بزجره ووعظه، ثم ختم ذلك بترك القبول و الإعراض ، فكان هذا قولا يقال فيهم عن الانتقام منهم." [1]

ومجمل القول أنَّ دلالة (الفاء) أفادت الصدّ المباشر وسرعة الإعراض عقب سماعهم التذكير بآياته عزّ وجلّ، وفي ذلك إشارة إلى ضرورة التحمّل لمن يدعو قومه إلى الهدى كما يتضح من خلال سياقات السورة .أمَّا العطف بـ (ثم) أفاد إقامة الحجة على المعرضين عن آيات الله تبارك وتعالى، ومن ثم استحقاقهم العذاب نتيجة إعراضهم عنها بعد تأمّلهم فيها، فأضافوا بذلك ظلما إلى ظلم في حق نفوسهم .

وانظر إلى اختلاف السِّياق في قوله تعالى: ﴿**لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلاَفٍ ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ**﴾[2]، وقوله: ﴿..**لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ [3]، فما الفرق بين الاستعمالين ؟ والمتوعَّد به واحد في الموضعين .

قال **الغرناطي**: " ثم للتَّباين والتَّراخي في الزّمان، ويعبّر النَّحويون عن ذلك بالمهلة وتكون للتباين في الصفات والأحكام، وغير ذلك مما يحمل به ما بعدها على ما قبلها من غير قصد مهلة زمانية، بل ليعلم موقع ما يعطف بها وحاله ... ولما تقدَّم في (الأعراف) تهويل الواقع من فعل السَّحرة وموقعه من

[1]- درة التنزيل وغرة التأويل. الخطيب الإسكافي، أبي عبد الله محمَّد بن عبد الله الأصبهاني.ج2، ص : 876، 877.
[2]- سورة الأعراف. الآية: 124.
[3]- سورة الشعراء. الآية: 49.

نفوس الحاضرين، ولذلك أنس سبحانه نبيّه موسى-عليه السَّلام-، بقوله: ﴿ **لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَى**﴾ [1]... فعطف بـ (ثمَّ) لتحرز ما قصد فرعون من تعظيم ما توعَّدهم به، ولمّا ضمّ الواقع في سورة (الشعراء) لم يحتج إلى هذا الرَّعي فعطف بالواو."[2]

و الملاحظ في سورة (الشُّعراء) عطف التَّصليب بالواو لما يوحي به السِّياق القرآني من تبعية السَّحرة لموسى – عليه السَّلام – دون أن يكونوا شركاء في التآمر مع نبيِّ الله، وفيها نبرة التَّهديد المتمثلة في صيغة التَّشديد و التَّضعيف في الأفعال (أقطّعنّ ، أصلّبنّ). أمَّا سورة (الأعراف) فقد جعلهم شركاء في التآمر عليه لإسقاط مملكته، وتلك تهم تعتبر خيانة عظمى تستوجب أقصى الأحكام، فدَّل حرف المهلة على التكثير و المبالغة بطول زمن التصليب. [3]

وقد يطلعنا الإعجاز القرآني على عدول آخر في سياق آخر، من ذلك قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُواْ شُرَكَاءكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلاَ تُنظِرُونِ** ﴾[4]، فأدخل الحرف المطوّل نطقا و المضعّف حركة (ثم) على الكيد،والحرف الأقصر صوتا و الأسرع نطقا (الفاء) على الإنظار، وقال في سورة (هود): ﴿...**فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِ**﴾[5]، فأدخل (الفاء) على الكيد و(ثم) على الانظار.

السِّياق في (هود) سياق تحدٍّ كبير ومواجهة، فأظهر نفسه بخلاف سياق (الأعراف)، و" (الفاء) تفيد التعقيب، أمَّا (ثم) فتفيد التَّراخي، فقد طلب منهم في (الأعراف) عدم المهلة في الإنظار

---

[1]- سورة طه. الآية: 68 .

[2]- ملاك التأويل. الغرناطي، ابن الزوبير. ج1، ص: 574 وما بعدها .

[3]- ينظر: من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم. محمَّد الأمين الخضري. ص: 172، 173.

[4]- سورة الأعراف. الآيتان: 194، 195.

[5]- سورة هود. الآية: 55 .

وعدم الإنظار هو المناسب لسياق (الأعراف)، فقد ذكر في هذه السُّورة تعجيل العقوبات لمستحقِّيها في الدنيا، بخلاف سورة (هود) فإنَّ سياقها في الإمهال في إيقاع العقوبات..."[1]

والتقاء إعجاز القرآن وجمالية اللُّغة يظهر " في التَّناغم بين المهلة الزَّمنيَّة التي أشاعتها (ثمَّ) على فعل الكيد، وبين إثبات ياء المتكلم في قوله (فَكِيدُونِي) لتطيل زمن النُّطق بالكلمة مع طول النطق (بـ ثمَّ) ، فيتَّسق طول النُّطق في التَّعبير مع طول الزَّمن في الإمهال، وبالمقابل حين قصّر زمن الكيد بالعطف عليه بالفاء تجاوب قصر الزَّمن في نطق الفاء مع حذف الياء في قوله (ثمَّ كِيدُونِ فَلاَ تُنْظِرُون) ليتناغم قصر العبارة مع قصر زمن الكيد. وهذا آية من آيات الإعجاز في الذِّكر الحكيم."[2]

و ممَّا تقدّم يمكن القول أنَّ لحروف المعاني سمات أسلوبية تضفي عذوبة على النصِّ القرآني وتشدُّ من أواصره ناطقة بإعجاز القرآن الكريم الذي لا يقف عند حسن تموقع الألفاظ، أو روعة التَّراكيب ، بل يتعدَّى ذلك إلى الحروف الرَّابطة التي تمسك بنسيج هذا الكلام المعجز، وكيف يستطيع الحرف القصير نطقا أو المتوسط أن يحمل من الدَّلالات والأسرار الكثير، و التي لا تزال تنطق بروعة هذه الظاهرة القرآنية.

[1]- التعبير القرآني. فاضل صالح السامرائي. ص: 81، 83.

[2]- من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم. محمَّد الأمين الخضري. ص : 286.

خاتمة البحث

بعد هذه الرحلة المباركة في رياض النَّظم الحكيم دراسة لبعض دُرَرِه يمكن إيجاز أهم النتائج التي أسفر عنها البحث :

- إنَّ خلخلة التَّركيب اللُّغوي قادرة أن تمنح النصّ ثراء دلاليًّا، وفي ذلك تفاعل بين العناصر النَّحوية و العناصر الدَّلالية؛ إذ أنَّ اختلاف الأداء التَّعبيري يؤدِّي إلى اختلاف المعنى، ومن هنا فإنَّ حركيَّة التَّقديم و التَّأخير تلعب دورا رئيسا في الكشف عن الأسرار واللَّطائف الدَّلالية للنص القرآني، وعدم حصر فاعلية هذه الآلية اللُّغوية في دلالتي الاهتمام و التَّخصيص، بل يتعدَّى ذلك إشارة إلى خلجات نفسية ممَّا يجعل هذه الآلية تشعُّ جمالا ودلالة.

- كان لآلية الحذف التي شكَّلت منطقة برَّاقة في التَّعبير القرآني دورها في مدِّ التَّراكيب بإمكانات دلالية وإيحائية واسعة، لما تحمله من طاقات تعبيرية في الكشف عن الأسرار البلاغية والدَّلالات النَّفسيَّة، والتي لا تبوح بها اللُّغة في مثاليتها، ويعجز عن توصيلها المعيار؛ حيث يكون في عدم ذكر لفظة ما أثره في نشر ظلال من المعاني، وذلك لشدِّ انتباه المتلقِّي بحثا عن النص الغائب، وهذا الغائب يلعب دورا كبيرا في إنتاج الدَّلالة، وبذلك حدوث تفاعل بين النص و المتلقِّي من خلال إعطائه مساحة للتَّقدير.

- اتَّضح من خلال البحث أنَّ استعمال صيغ الأفعال في الخطاب القرآني يحمل سعة دلالية تتجاوز الاعتقاد السَّائد بقصور لغته في تعاملها مع الزَّمن، وحصره في الماضي و المضارع والأمر، وأنَّ المخالفة بين صيغه انتقالا من صيغة إلى أخرى داخل السِّياق هو أحد أوجه إعجازه البياني، ممَّا يدلُّ على أنّ لصيغ الفعل المختلفة على مستوى البنية دلالتها و إيحاؤها، وكيف استطاع الاستعمال القرآني الفذّ من خلال صيغة الزمن الاقتدار على إحضار المشاهد وتصويرها، وبخاصة مشاهد القيامة للتَّأكيد على حقيقة واقعيتها، لما لعامل الزَّمن من قدرة على تنويع الدَّلالات وتكثيفها. ومن ثمَّ التقاء البعد التَّشريعي بالبعد التَّواصلي.

– أظهر البحث أنَّ لحروف الجرِّ و حروف النَّسق أهميَّة كبيرة في الكشف عن الأسرار الدَّلالية، وأنَّ إدراك ما تَشِي به حروف المعاني يساعد على الاقتراب من هويَّة النُّصوص خاصة المتشابهة منها التي هي دليل من دلائل إعجازه؛ وذلك من خلال العرض الفنِّي الفذّ في وضع الحروف الموضع الملائم لها داخل النَّظم القرآني، ممَّا يضفي عليه جمالية تأسر الألباب، كما اتَّضح أنَّه لا يُكتفى بالقول بتبادل الحروف و تعاور معانيها دون إيجاد تبرير شاف لذلك، والذي حجب الكثير من أسرار هذه الحروف، وما تشيعه على سياقاتها من الدَّلالات و الإيحاءات .

– تبيَّن من خلال الدِّراسة أنَّ كثيرا من حروف المعاني في القرآن الكريم أقدر على تصوير الانفعالات النَّفسية التي غفل عنها كثير من الدَّارسين للنص القرآني نتيجة عدم إصغائهم لهمس سياقاتها.

– لقد كانت قرينة السِّياق من أهمِّ الآليات التي يُلجأ إليها لفحص المعاني وحلِّ الإشكاليات الدَّلالية التي تثيرها البنية السَّطحية لكثير من النُّصوص القرآنية، كما أنَّ هذه القرينة كانت أداة أساسية من أدوات المعرفة في يد المؤوِّل؛ فالكلمة تكسِب قيمتها التَّعبيرية من السِّياق وتتغيَّر دلالتها بتغيُّره متجاوزة بعدها المعجمي، لذلك هو أحد أعمدة التَّرجيح الأساسية في عملية القراءة، وبخاصة في توجيه المتشابه اللَّفظي، ومن ثم يصبح السِّياق مظهرَ الخرق الحقيقي.

– إنَّ الخطاب القرآني يتَّخذ من التَّصوير الفنِّي قاعدة له كونه أقدر على بعث المعاني؛ فهو يعمد في عرض مفاهيمه الدِّينية وإشاراته النَّفسية على عنصر الصورة، والتي تعجز عن استشرافها و ترجمتها اللُّغة السَّاكنة، وقد يعتمد التَّصوير على الحركة كونها تشكِّل جزء مهمًّا من جماليات الأداء في القرآن الكريم بما تملكه من ثروة تعبيرية، وغالبا ما تتعانق الحركة المادية المتمثلة في الواقع العياني مع الحركة النفسية.

– تبيَّن من خلال الدِّراسة أهمِّية القاعدة الشَّرعية في فهم المثيرات الدَّلالية التي تطرحها القاعدة النَّحوية لما يبدو من تصادم من حيث تركيبها اللُّغوي مع واقع الشَّرع.

– يتَّخذ المؤوِّل الآليات اللُّغوية سلاحا للدِّفاع عن عقيدته ومذهبه، وبذلك تتعدَّد دلالات الخطاب القرآني بتعدُّد قراءاته التي يتجدَّد من خلالها الثَّوب الدَّلالي للنص الكريم؛ فما كانت قراءة المعتزلة لتوافق غيرها من القراءات، وفي ذلك دليل قاطع على لانهائية القراءة.

– قد تخرج التَّراكيب عن مقتضى الظاهر؛ كأن يفرد لفظ مرَّة ويجمع أخرى، أو يذكَّر مرَّة ويؤنَّث أخرى، أو يخالف التَّعبير القرآني في استعمال الأبنية المختلفة في السِّياق نفسه، أو في سياقات تبدو متشابهة لتظهر عدم المطابقة السياقية على مستوى البنية السَّطحية، أو كأن يأتي التَّركيب على خلاف الأصل، فتظهر قيمة الصِّيغة في تركيبها و سياقها، وهي من أهم القرائن المساعدة على فهم الخطاب القرآني.

– أظهر البحث أنَّ ألفاظ الأعداد في القرآن الكريم لم تأت خالية من اللَّطائف الدَّلالية، وذلك من خلال التأمُّل في بنيتها داخل التركيب؛ إذ وهي متجرِّدة عن سياقاتها لا تؤدِّي سوى المعنى اللُّغوي.

– أثمر البحث أنَّ الخرق بجميع صوره آلية لغوية اعتمدها الخطاب القرآني من أجل التَّعبير عن المعاني الإضافية التي تبقى غائبة فيما لو بقي التَّركيب على معياريته، وهو أحد الوجوه التي تلتقي فيها عبقرية اللُّغة التي اختارها الله وعاء لكتابه وإعجاز القرآن.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

مكتبـــــة البحث:

➢ المصادر والمراجع :

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

01- ابن قيِّم وحسُّه البلاغي في تفسير القرآن. عبد الفتاح لاشين. دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط1؛ 1406هـ ، 1982م.

02- الإتقان في علوم القرآن.السيوطي،جلال الدين.تحقيق: مركز الدراسات القرآنية،المدينة المنورة، السعودية، (د.ط)؛ 1426هـ.

03- أثر التَّخريجات الدَّلالية في فقه الخطاب القرآني. عرابي أحمد. ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، ط4؛ 2010م.

04- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. أبو السعود بن محمَّد العمادي الحنفي. تح : عبد القادر أحمد عطا. مكتبة الرياض الحديثة ، السعودية، (د.ط)، (د.تا).

05- أسئلة بيانية في القرآن الكريم. السامرائي، فاضل صالح. مكتبة الصحابة، الإمارات، ط1؛ 1429هـ، 2008م.

06- إستراتيجية التّأويل الدلالي عند المعتزلة.هيثم سرحان. دار الحوار للنّشر و التوزيع، سوريا، ط1؛ 2003م.

07- أسرار البلاغة في علم البيان. الجرجاني، عبد القاهر. تع: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، السُّعودية ، (د ط)؛ 1412هـ ، 1991م.

08- أسلوب الالتفات في البلاغة العربية. حسن طبل. دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، (د ط)؛ 1418هـ ، 1998م.

09- الاستشهاد و الاحتجاج باللُّغة. محمَّد عيد. دار الشَّرق الأوسط للطباعة، القاهرة، مصر، (د.ط)؛ 1988م.

10- الأسلوبية و الأسلوب. عبد السلام المسدي. الدار العربية للكتاب، تونس، ط3، (د.ت).

11- الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية ، سليمان فتح الله محمَّد، الدار الفنية للنشر و التوزيع، القاهرة، مصر، (د.ط)؛ 1990م.

12- الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية. عبد القادر عبد الجليل. دار صفاء للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط1؛ 1422هـ 2002 م.

13- الأسلوبية الرؤية و التطبيق. يوسف أبو العدوس. دار المسيرة للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط1؛ 1427 هـ ، 2007 م.

14- الأشباه و النظائر. السيوطي، جلال الدين. تحقيق: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1985م.

15- أصول التفكير النَّحوي. علي أبو المكارم. دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، مصر، ط1؛ 2006م.

16- الأصول دراسة إبستيمولوجية للفكر اللُّغوي عند العرب. تمام حسّان ، عالم الكتب، القاهرة، مصر، (د.ط)؛ 1420 هـ، 2000م.

17- إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني. صلاح عبد الفتاح الخالدي. دار عمار، عمان، الأردن، ط1؛ 1421هـ 2000م.

18- إعراب الحديث النبوي. أبو البقاء العكبري. تح: عبد الاله نبهان، مطبوعات مجمع اللُّغة العربية بدمشق، سوريا،ط2؛ 1407هـ 1986م.

19- إعجاز القرآن الكريم. فضل عباس. دار الفكر، عمان، الأردن، (د.ط)، (د.تا).

20- الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق. عائشة عبد الرحمان. دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3؛ 2004 م.

21- الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم (دراسة نظرية تطبيقية). عبد الحميد أحمد هنداوي. عالم الكتب الحديث، إربد، عمان، ط1؛ 1429هـ، 2008م.

22- أقسام الكلام العربي من حيث الشكل و الوظيفة. الساقي. فاضل مصطفى. مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، (د.ط)؛ 1397هـ، 1977م.

23- الاقتراح في علم أصول النَّحو. السيوطي، جلال الدين. تع: محمود سليمان ياقوت. دار المعرفة الجامعية، مصر، (د.ط)؛ 1426هـ، 2006م.

24- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك. ابن هشام الأنصاري. تح: محمَّد محي الدين عبد الحميد، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.تا).
25- بدائع التَّفسير الجامع لما فسَّره الإمام ابن قيم الجوزية. ابن قيم الجوزية. جمع: يسري السيد محمَّد، ومراجعة: صالح أحمد الشامي. دار ابن الجوزي للنشر و التوزيع، السعودية، ط1؛ 1427هـ
26- بدائع الفوائد. ابن قيم الجوزية، أبي عبد الله محمَّد بن أبي بكر بن أيوب. تح: علي بن محمد العمران. دار علم الفوائد للنشر و التوزيع، جدة، السعودية، (د.ط)، (د.تا).
27- البرهان في علوم القرآن. الزركشي، بدر الدين محمَّد بن عبد الله. تح: محمَّد أبي الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر، ط3؛ 1404 هـ 1984م.
28- البرهان في توجيه متشابه القرآن. الكرماني، محمود بن حمزة. تح: عبد القادر أحمد عطا. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1؛ 1406هـ، 1986م.
29- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني. السامرائي، فاضل صالح. دار عمار، عمان، الأردن، ط4؛ 1428هـ، 2007 م.
30- بلاغة التراكيب دراسة في علم المعاني. توفيق الفيل. مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، (د.ط)؛ 1991م.
31- بلاغة الخطاب وعلم النص. صلاح فضل. المجلس الوطني للثقافة و الفنون والآداب، الكويت، (د.ط)؛ 1992م.
32- البلاغة و الأسلوبية. محمَّد عبد المطلب. الشركة المصرية العالمية للنشر، ط1؛ 1994م.
33- البلاغة العربية قراءة أخرى. محمَّد عبد المطلب. الشركة المصرية العالمية للنشر، ط1؛ 1997م.
34- البلاغة فنونها وأفنانها. فضل حسن عباس. دار الفرقان للنشر و التوزيع، أربد، الأردن، ط2؛ 1409هـ، 1989م.
35- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري و أثرها في الدراسات البلاغية. محمَّد محمَّد أبو موسى، دار الفكر العربي، مصر، (د.ط)، (د.تا).

36- بيان إعجاز القرآن. إبراهيم الخطابي. ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن. تحقيق: محمَّد خلف الله أحمد ومحمَّد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط3؛ 1976م.

37- البيان في غريب إعراب القرآن ، ابن الأنباري ، أبو البركات. تح: طه عبد الحميد طه ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، د.ط ، 1400هـ ، 1980م.

38- تأويل مشكل القرآن. ابن قتيبة. تح: السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر، ط2؛ 1393هـ، 1973م.

39- التأويل اللُّغوي في القرآن الكريم (دراسة دلالية). حسين حامد الصالح. دار ابن حزم للطباعة و النشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1؛ 1426هـ ، 2005م.

40- التَّحرير و التَّنوير. ابن عاشور محمَّد الطاهر. الدَّار التونسية للنشر، تونس، (د.ط)؛ 1984م.

41- التصوير الفني في القرآن. سيد قطب. دار الشروق، القاهرة ، مصر ، ط17، 1425هـ، 2004م.

42- التضمين النحوي في القرآن الكريم ، د. محمد نديم فاضل ، مكتبة دار الزمان للنشر و التوزيع ، المدينة المنورة ، السعودية ، ط1 ، 1426هـ، 2005م.

43- التَّطور الدَّلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم (دراسة دلالية مقارنة). عودة خليل أبو عودة. مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط1؛ 1405هـ ،1985م.

44- التعبير القرآني. السامرائي، فاضل صالح. دار عمار، عمان، الأردن، ط4؛ 1427هـ، 2006م.

45- تفسير البحر المحيط. أبو حيان الأندلسي، محمَّد بن يوسف. تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود و آخرون. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.تا).

46- التَّفسير الكبير. الرازي، فخر الدين. دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، ط1؛ 1401 هـ، 1981م.

47- التفسير القيم. ابن القيم. تح: محمَّد حامد الفقى. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.تا).

48- التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية. أحمد سعد محمَّد. مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، (د.ط)؛ 2000م.

49- جدلية الفعل القرائي عند علماء التراث دراسة دلالية حول النص القرآني. عرابي أحمد. ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، ط1؛ 2010 م.

50- جدلية الإفراد و التركيب في النَّقد العربي القديم. محمَّد عبد المطَّلب. الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، مصر، ط1؛ 1995م.

51- جماليات التلوين الصوتي في القرآن الكريم. أسامة عبد العزيز جاب الله. دار ومكتبة الإسراء للطبع و النشر و التوزيع، القاهرة، مصر، ط2؛ 2009م.

52- الجملة العربية والمعنى. السامرائي، فاضل صالح. دار الفكر، عمان، الأردن، ط1؛ 1428 هـ، 2007م.

53- الجملة العربية تأليفها وأقسامها. السامرائي، فاضل صالح. دار الفكر، عمان، الأردن، ط2؛ 1427هـ ، 2007م.

54- الجنى الداني في حروف المعاني. المرادي، حسن بن قاسم. تح: فخر الدين قباوة و محمَّد نديم فاضل. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1؛ 1413هـ ، 1992م.

55- حروف المعاني. الزجاجي، أبو القاسم. تح: علي توفيق الحمد ، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2؛ 1406هـ، 1986م.

56- خصائص التراكيب (دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني). محمَّد محمَّد أبو موسى. مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط4؛ 1416هـ 1996م.

57- الخصائص. ابن جني. تح: محمَّد علي النجار. الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط3؛ 1406 هـ، 1986م.

58- الخلاف التصريفي وأثره الدلالي في القرآن الكريم. فريد بن عبد العزيز الزامل السليم. دار ابن الجوزي، السعودية، ط1؛ 1422هـ.

59- دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، محمَّد عبد الخالق عضيمة ، دار الحديث ، القاهرة ، مصر ، د.ط.ت .

60- درة التنزيل وغرة التأويل. الخطيب الإسكافي، أبي عبد الله محمَّد بن عبد الله الأصبهاني. تح: محمَّد مصطفى آيدين. جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية ، ط1 ؛ 1422هـ ، 2001 م.

61- دلائل الإعجاز في علم المعاني. الجرجاني، عبد القاهر. تع: محمود محمَّد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، (د.ط)؛ 2000م.

- دلالات التراكيب دراسة بلاغية. محمَّد محمَّد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة ، مصر، ط2؛ 1408هـ، 1987م.

62- دلالات التقديم و التأخير في القرآن الكريم (دراسة تحليلية). منير محمود المسيري. مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط1؛ 1426هـ ، 2005 م.

63- الدَّلالة السِّياقية عند اللُّغويين. عواطف كنوش المصطفى. دار السيَّاب للطباعة و النشر و التوزيع، لندن، ط1؛ 2007م.

64- دور الحرف في أداء معنى الجملة. الصادق خليفة راشد. منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ليبيا، (د.ط)؛ 1996م.

65- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. الألوسي، محمود شكري. دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت).

66- شرح المفصل. ابن يعيش. تقديم : د.إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1؛ 1422هـ، 2001م.

67- شرح ابن عقيل. ابن عقيل. تح: محمَّد محي الدين عبد الحميد، دار التراث للنشر و التوزيع، القاهرة، مصر، ط20؛ 1400هـ 1980م.

68- الشَّاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه. خديجة الحديثي. مطبوعات جامعة الكويت، (د.ط)؛ 1394هـ ، 1974م.

69- صحيح البخاري. البخاري محمَّد بن إسماعيل. دار ابن كثير، دمشق، سوريا، ط1؛ 1423هـ، 2002م.

70- ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي. طاهر سليمان حمودة. الدار الجامعية للطباعة و النشر والتوزيع، الإسكندرية ، مصر، (د.ط)؛ 1998م.

71- علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته. صلاح فضل. دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1؛ 1419ه، 1998م.

72- فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية في علم التفسير. الشوكاني، محمَّد بن علي بن محمَّد. تحقيق: عبد الرحمن عميرة. (د.ط)؛ 1994 م.

73- في أصول النَّحو. سعيد الأفغاني. المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، (د.ط)؛ 1407 هـ ، 1987م.

74- في سيمياء الشعر القديم (دراسة نظرية تطبيقية).محمَّد مفتاح، دار الثقافة للنشر و التوزيع، الدَّار البيضاء، المغرب، (د.ط)؛ 1409هـ، 1989م.

75- في السِّيميائيات العربية (قراءة في المنجز التراثي). عقاق قادة. مكتبة الرشاد للطباعة و النشر و التوزيع، سيدي بلعباس، الجزائر، (د.ط)؛ 1425هـ ، 2004م.

76- في ظلال القرآن. سيد قطب. دار الشروق، القاهرة، مصر، ط 32؛ 1423هـ، 2003م.

77- في عالم النَّص و القراءة. عبد الجليل مرتاض. ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2؛ 2007م.

78- الفروق في اللغة. العسكري، أبو هلال. تح: محمَّد إبراهيم سليم. دار العلم و الثقافة، القاهرة، مصر، (د.ط)، (د.تا).

79- قراءة جديدة لتراثنا النقدي، النادي الأدبي الثقافي بجدة، السعودية، (د.ط)؛ 1410هـ، 1990م.

80- القرآن الكريم وأثره في الدِّراسات اللُّغوية. عبد العال سالم مكرم. مؤسسة علي جراح الصباح، الكويت، ط2، 1978م.

81- الكشَّاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل. الزمخشري، جار الله بن القاسم محمود بن عمر. تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود و آخرون. مكتبة العبيكان، الرياض ، السعودية ، ط1؛ 1418 هـ ، 1998 م.

82- لسانيات النَّص مدخل إلى انسجام الخطاب. محمَّد خطابي. المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1؛ 1991م.

83- اللسانيات و أسسها المعرفية. عبد السلام المسدي. الدار التونسية للنشر، تونس ، (د.ط) ، 1986م.

84- اللسانيات الجغرافية في التراث اللّغوي العربي. عبد الجليل مرتاض. دار الغرب للنشر و التوزيع، وهران ، الجزائر، 2003م.
85- لطائف قرآنية. صلاح عبد الفتاح الخالدي. دار القلم ، دمشق، سوريا، ط1؛ 1412هـ، 1996م.
86- لغة الشعر دراسة في الضرورة الشعرية. محمَّد حماسة عبد اللطيف. دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1؛ 1416هـ، 1996م.
87- اللغة العربية معناها ومبناها. تمام حسان. عالم الكتب، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، (د.ط)؛ 1994م.
88- اللُّغة. ج فندريس. تر: عبد الحميد الدواخلي ومحمَّد القصاص، مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة ، مصر، (د.ط)؛ 1950م.
89- مباحث في علوم القرآن. مناع القطان. مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط11؛ 1421هـ، 2000م.
90- متن ألفية ابن مالك. ابن مالك . تع: عبد اللطيف بن محمَّد الخطيب، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ط1؛ 1427هـ، 2006م.

91- المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر. ابن الأثير، ضياء الدين. تقديم وتعليق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة. دار نهضة مصر للطباعة و النشر، القاهرة ، مصر، ط2؛ 1973م.
92- المسائل الإعتزالية في تفسير الكشاف. صالح بن غرم الله الغامدي. دار الأندلس للنشر و التوزيع، حائل، السعودية، ط1؛ 1418هـ، 1998م.
93- مع قصص السَّابقين في القرآن. دار القلم، دمشق، سوريا، ط1؛ 1409هـ، 1989م.
94- معاني النحو. السامرائي، فاضل صالح. دار الفكر، عمان، الأردن، ط4، 1430هـ ، 2009م.
95- معايير تحليل الأسلوب. ميكائيل ريفاتير. تر: حميد لحميداني. دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1993م،

96- معجم حروف المعاني في القرآن الكريم. محمَّد حسن الشريف. مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1؛ 1417هـ، 1996م.

97- مغني اللَّبيب عن كتب الأعاريب.ابن هشام الأنصاري. تح: عبد اللطيف محمد الخطيب، المجلس الوطني للثقافة و الفنون والآداب، الكويت، ط1؛ 1421هـ ، 2000م.

98- مفتاح العلوم. السكاكي، أبو يعقوب. شرح وتعليق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)؛ 1407هـ، 1987م،

99- مقالات في الأسلوبية. منذر عياشي. منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا؛ 1990م.

100- ملاك التأويل.الغرناطي، ابن الزبير. تح: سعيد الفلاح. دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1؛ 1403هـ ، 1983م.

101- من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم. محمَّد الأمين الخضري، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط1؛ 1409هـ، 1989م.

102- من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم. محمَّد الأمين الخضري، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط2؛ 1427هـ، 2007م.

103- من بلاغة القرآن. أحمد أحمد بدوي. شركة نهضة مصر للطباعة والنشر و التوزيع مصر، (د.ط)؛ 2005م.

104- من جماليات التصوير في القرآن الكريم. محمَّد قطب عبد العال. سلسلة دعوة الحق، رابطة العالم الإسلامي، مكَّة ، السّعودية؛ 1410هـ، 1990م.

105- موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف. خديجة الحديثي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، (د.ط)؛ 1981م.

106- نحو القرآن. أحمد عبد الستار الجواري. مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، العراق، (د.ط)؛ 1394هـ ، 1974 م.

107- النَّحو العربي و الدرس الحديث (بحث في المنهج). عبده الراجحي. دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، (د ط)؛ 1979م.

108- النَّحو الوافي. عباس حسن. دار المعارف، مصر، ط3، (د.تا).

109- النَّحو و الدَّلالة (مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي). محمَّد حماسة عبد اللطيف، دار الشروق ، ط1 ، 1420 هـ، 2000م.

110- النحو القرآني قواعد وشواهد ، جميل أحمد ظفر ، مطابع الصفا ، مكة المكرمة ، السعودية، ط2 ، 1418هـ ، 1998م.

111- نظرية البنائية في النقد الأدبي. صلاح فضل. دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1؛ 1419ه، 1998م.

112- نظرية اللُّغة في النقد العربي. عبد الحكيم راضي. المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1؛ 2003م.

113- النَّقد والإعجاز(دراسة). محمَّد تحريشي.(دراسة)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سورية، (د.ط)؛ 2004م.

114- همع الهوامع في شرح جوامع الجوامع. السيوطي جلال الدين. تح: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت ، لبنان ، د ط1413هـ، 1992م.

➢ المجلات والدَّوريات:

مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة و اللغة العربية وآدابها مكة المكرمة ، السعودية:

115- العدد27 ، الجزء: 15 ، 1424هـ.

116- العدد:32 ، الجزء: 17، 1425هـ.

117- العدد: 40 ، ج19 ، 1428هـ.

مجلة جذور، النادي الأدبي الثقافي، جدة، السعودية:

118- المجلد:07 ، الجزء: 14، 1424هـ، 2003م.

119- المجلد: 12، الجزء: 30؛ 1431هـ ، 2010م.

مجلة جامعة دمشق، سوريا:

120- العدد:01 ، المجلد:23، 2007م.

مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت:

121- العدد03 ، المجلد:25، 1997م.

122- العدد03 ، المجلد:31، 2006م.

مجلة علامات، النادي الأدبي الثقافي بجدة، السعودية:

123- المجلد:07 ، الجزء: 29، 1998م.

مجلة مجمع اللُّغة العربية بدمشق ، سوريا:

124- لمجلد:68 ، الجزء: 03، 1414هـ ، 1993م.

مجلة مجمع اللُّغة العربية بالقاهرة، مصر:

125- الجزء: 34، 1394هـ ، 1974م.

مجلة النَّقد و الدِّراسات الأدبية و اللُّغوية، منشورات مكتبة الرشاد للطباعة و النشر و التوزيع، سيدي بلعباس، الجزائر:

126- العدد: 02 ، 2009م.

➢ الرسائل والأطروحات:

127- الانفعالات النَّفسية عند الأنبياء في القرآن الكريم. إبراهيم محمد مصطفى، رسالة ماجستير (مخطوط)، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين؛ 2009م.

128- بلاغة القرآن الكريم (دراسة في أسرار العدول في استعمال صيغ الفعل). ظافر بن غرمان العمري. رسالة دكتوراه، مكتبة وهبة، القاهرة مصر، ط1؛ 1429هـ، 2008م.

129- حروف المعاني في تراث ابن مالك. محمَّد الشحات المتولي عمارة. رسالة دكتوراه (مخطوط)، جامعة الأزهر، مصر؛ 1426هـ، 2005م.

130- سورة النساء دراسة بلاغية تحليلية. خديجة محمد أحمد البناني. رسالة دكتوراه (مخطوط)، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية؛ 1422هـ، 2001م.

131- سورة فصلت دراسة بيانية. محمَّد صالح حابش العلياني. رسالة ماجستير(مخطوط) ، جامعة أم القر ى، مكة، السعودية؛ 1422هـ.

132- لغة الخطاب في بني إسرائيل (دراسة أسلوبية دلالية). لافي محمَّد محمود زقوت. رسالة ماجستير (مخطوط)، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين؛ 2010م.

133- النظم القرآني في سورة يوسف -عليه السلام-. جمال يوسف الحاج علي. رسالة ماجستير (مخطوط)، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين؛ 1421هـ، 2000م.

134- الواو و الفاء وثم في القرآن الكريم (دراسة نحوية دلالية إحصائية)، صفاء عبد الله نايف حردان، رسالة ماجستير(مخطوط)، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين؛ 2008م.

الفهارس الفنية العامة

فهـرس الآيات القرآنية

السورة	الآيـــــــــــــــة	رقم الآية	الصفحة
الفاتحة	﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾	05	36
البقرة	﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾	05	132
البقرة	﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ... ﴾	23	65
البقرة	﴿ وَقُلْنَا يَا آَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا...﴾	35	152
البقرة	﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ... ﴾	48	89
البقرة	﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ...﴾	50-49	/95 147
البقرة	﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ...﴾	58	/87 152
البقرة	﴿إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ...﴾	62	33
البقرة	﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ...﴾	66-65	77
البقرة	﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً...﴾	67	65
البقرة	(وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا..)	87	69
البقرة	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آَمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ...﴾	91	69
البقرة	﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ...﴾	125	80
البقرة	وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ...﴾	165	59
البقرة	﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ...﴾	180	28
البقرة	﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ...﴾	186	92
البقرة	﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ...﴾	187	122
البقرة	﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ ...﴾	210	63

البقرة	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ...﴾	243	78
البقرة	﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ...﴾	261	87
آل عمران	﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ...﴾	03	96
آل عمران	﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي...﴾	52	121
آل عمران	﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ ...﴾	126	32
آل عمران	﴿وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ...﴾	158-157	31
النساء	﴿ وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ...﴾	02	123
النساء	﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ...﴾	03	42
النساء	﴿ وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ... ﴾	5إلى8	136
النساء	﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ ...﴾	11	37
النساء	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ...﴾	60	107
النساء	﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى ...﴾	103	77
النساء	﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا... ﴾	164	38
المائدة	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا... ﴾	06	35
المائدة	﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً...﴾	13	60
المائدة	﴿ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ ...﴾	28	110
المائدة	﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ...﴾	33	63
المائدة	﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا...﴾	38	30
المائدة	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ... ﴾	54	119
المائدة	﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا ...﴾	64	80
المائدة	﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى...﴾	69	33

المائدة	﴿ وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ...﴾	71	05
الأنعام	﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأ...﴾	39	113
الأنعام	﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى...﴾	61	28
الأنعام	﴿ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ...﴾	78	101
الأنعام	﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ...﴾	96-95	108
الأنعام	﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ ...﴾	99	104
الأنعام	﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ ﴾	103	41
الأنعام	﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ...﴾	141	104
الأعراف	﴿ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ...﴾	18	153
الأعراف	﴿ وَيَا آَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ...﴾	19	152
الأعراف	﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ...﴾	29	78
الأعراف	﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ...﴾	30-29	93
الأعراف	﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا...﴾	56	92
الأعراف	﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ...﴾	61-60 62	/98/28 142
الأعراف	﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ... ﴾	67-66 68	141
الأعراف	﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ...﴾	78	91
الأعراف	﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ... ﴾	124	156
الأعراف	﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي...﴾	143	41/39
الأعراف	﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ...﴾	146	131
الأعراف	﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ ...﴾	161	/87 153
الأعراف	﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ...﴾	170	77
الأعراف	﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ...﴾	178	105
الأعراف	﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ ...﴾	195-194	157

الأنفال	﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ...﴾	10	32
التوبة	﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ...﴾	25	/129 148
التوبة	﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ...﴾	26	149
التوبة	﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا ...﴾	60	135
التوبة	﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ...﴾	84	106
التوبة	﴿ وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا...﴾	86	102
التوبة	﴿ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ...﴾	87	102
التوبة	﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا...﴾	93	102
يونس	﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ... ﴾	22	92
هود	﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ...﴾	17	51
هود	﴿ أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ...﴾	20	101
هود	﴿ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ...﴾	22	100
هود	﴿ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ...﴾	54-53	79
هود	﴿ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ... ﴾	55	157
هود	﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ... ﴾	66	91
هود	﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ...﴾	67	90
هود	﴿ لَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ...﴾	94	91
يوسف	﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ...﴾	43	87
يوسف	﴿ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ...﴾	65	52
الرعد	﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ...﴾	02	138
الرعد	﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ...﴾	28	72
النحل	﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ...﴾	33	63
النحل	﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا...﴾	36	93
النحل	﴿ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ ...﴾	47-46-45	133
النحل	﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ ...﴾	84إلى89	137

النحل	﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ... ﴾	98	35
النحل	﴿ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ... ﴾	109	100
النحل	﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ...﴾	121-120	99/50
النحل	﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ ...﴾	-127-126	51/49
الإسراء	﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا... ﴾	03	99
الإسراء	﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا...﴾	16	61
الإسراء	﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ...﴾	37	143
الإسراء	﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ... ﴾	62	51
الكهف	﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ...﴾	28	123
الكهف	﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ...﴾	49-48-47	75
الكهف	﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا...﴾	57	154
الكهف	﴿ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا...﴾	64	52
الكهف	﴿ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ... ﴾	78	48
الكهف	﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ...﴾	82	48
الكهف	﴿ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ ...﴾	97-96	47
مريم	﴿ وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾	52	39
طه	﴿ وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾	07	27
طه	﴿ فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى﴾	60	151
طه	﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ...﴾	66	26
طه	﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴾	67	27/25
طه	﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴾	68	/27/26 156
طه	﴿ قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي...﴾	71	/119 128
طه	﴿ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾	79	57
طه	﴿ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ...﴾	117	86

طه	﴿ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾	119	125
الأنبياء	﴿ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا...﴾	03	05
الأنبياء	﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ ...﴾	97	22
الحج	﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا...﴾	19	86
الحج	﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا...﴾	22	130
الحج	﴿ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا...﴾	31	72
الحج	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ...﴾	63	73
المؤمنون	﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ... ﴾	99	85
النور	﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ ...﴾	02	30
النور	﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ...﴾	31	84
النور	﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى...﴾	45	44
النور	﴿ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ...﴾	59	84
الفرقان	﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا...﴾	63	143
الشعراء	﴿ قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي...﴾	49	156
الشعراء	﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ ...﴾	63إلى66	147
الشعراء	﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ...﴾	189	91
النمل	﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ...﴾	70	49
النمل	﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ... ﴾	79	133
النمل	﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ...﴾	87	74
القصص	﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا...﴾	15	119
لقمان	﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ ...﴾	12	76
لقمان	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ ...﴾	29	138
السجدة	﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ...﴾	12	155

السجدة	﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ...﴾	22	154
السجدة	﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ ...﴾	23	51
الأحزاب	﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ...﴾	10	70
سبأ	﴿ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ ...﴾	23	89
سبأ	﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ...﴾	24	132
سبأ	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ ...﴾	28	07
سبأ	﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى... ﴾	46	44
فاطر	﴿ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ ...﴾	13	138
الصافات	﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ... ﴾	47-46-45	103
الصافات	﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ...﴾	105-104-103	58
ص	﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ...﴾	19-18	111
الزمر	﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾	02	140
الزمر	﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى...﴾	05	138
الزمر	﴿ أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ...﴾	22	126
الزمر	﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى...﴾	41	/140 141
الزمر	﴿ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا...﴾	49	94
الزمر	﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى...﴾	73	143
غافر	﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا...﴾	61	113
غافر	﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ...﴾	67	84
فصلت	﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾	19	54
الزخرف	﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾	26	101
الفتح	﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ...﴾	04	139
الفتح	﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ...﴾	18	18
الفتح	﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ...﴾	26	139
الذاريات	﴿ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ... ﴾	29	55

الواقعة	﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ...﴾	19-18-17	103
الواقعة	﴿ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلَامٌ لَّكَ ...﴾	91-90	143
الحشر	﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ...﴾	02	24
الممتحنة	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ ...﴾	10	90/ 112
المنافقون	﴿ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ...﴾	10	51
التحريم	﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا ...﴾	12	90
الملك	﴿ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ...﴾	29	22
المزمل	﴿ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾	08	106
المدثر	﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا... ﴾	11إلى16	149
المدثر	﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ...﴾	18إلى25	150
المدثر	﴿ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾	48	89
القيامة	﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾	23-22	39
الإنسان	﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً ﴾	03	100
الإنسان	﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا...﴾	06-05	131
الإنسان	﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾	06	124
المرسلات	﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا... ﴾	1إلى5	146
النازعات	﴿ وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا...﴾	1إلى5	146
النازعات	﴿ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى﴾	18	123
الإنشقاق	﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾	01	09
الفجر	﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾	22	63
الشمس	﴿ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾	13	54
الضحى	﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾	03	56
الضحى	﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾	05	57
الشرح	﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾	01	04
الماعون	﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾	05-04	116

الترقيم	نص الحديث النَّبوي الشريف	الصفحة
01	قال رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم –: (من كُنَّ له ثلاث بنات يأويهنَّ، ويرحمهنَّ، ويكفلهنَّ وجبت له الجنَّة البتَّة)	06
02	عن قيس بن أبي حازم، حدَّثنا جرير قال : خرج علينا رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – ليلة البدر فقال : (إنَّكم سترون ربَّكم يوم القيامة كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته)	42

الترقيم	البيت الشِّعري	الصفحة
01	قال الشَّـــاعر: تَسَلَّيْتُ طُرًّا عَنْكُم بّعْدَ بَيْنِكُم بِذِكْـــرَاكُم حَتَّى كَأَنَّكُم عِنْدِي	08
02	قال عُروة بن حزام العُذري : حَلفْتُ بِرَبِّ الرَّاكِعينَ لِرَبّهِم خَشُوعًا، وفَوقَ الرّاكِعينَ رَقِيبُ	08

الصفحة	الموضوع
أ–ج	**مقدمة.**
14–2	**مـــدخل** : النُّحـــاة وبناء الهيكل النَّحوي
66–16	**الفصل الأوَّل: خرق معيارية التركيب وعلاقته بمقصدية الخطاب القرآني**
18–16	**– توطئـــــة**
44–19	**–المبحث الأوَّل** : خرق معيارية الترتيب
35–22 38–35 42–38 44–42	1. حركيَّة التقديم والتَّأخير والتَّفاعل الدَّلالي 2. خرق الرُّتبة بين القاعدة الشَّرعية والقاعدة النَّحوية 3. الخرق التركيبي وعقيدة المؤوّل 4. القيمة الدَّلالية لموقعيَّة العدد
66–45	**المبحث الثَّاني** : خرق مثالية الأداء اللُّغوي
61–47 64–61 66–65	1. آلية الحذف اللُّغوي والعلاقات الحضورية والغيابية 2. علاقة الحذف اللُّغوي بالعملية التَّأويلية 3.دلالات الحذف في مسائل العدد
96–68	**الفصل الثاني : دلالة البِنية في التَّعبير القرآني**
68	**– توطئـــــة**
81–69	**– المبحث الأوَّل** : خرق معيارية الزمن

أ. بين الماضي والمضارع	74–69
ب. بين المضارع والماضي	77–74
ج. بين الماضي والأمر	79–77
د. بين المضارع والأمر	80–79
هـــ. بين الأمر والماضي	81–80

المبحث الثاني : تلوينات خرق المعيارية	114–82
أ. العدد	88–84
ب. التذكير والتأنيث	95–89
ج. الأبنية	105–95
د. المجاور الدَّلالي	108–105
هـــ. الجملة القرآنية بين البِنية العميقة والبِنية السَّطحية	114–108
– الفصل الثَّالث : دلالة الخرق في حروف المعاني	158–116
– توطئـــــة	119–116

المبحث الأوَّل : دلالة الخرق في حروف الجرّ	**144–119**
1. التَّناوب والتَّضمين وأثرهما على دلالات الحروف	**127–119**
2. دلالة مورفيم الجرّ في التَّعبير القرآني	**131–128**
3. حروف الجرّ والخرق السِّياقي	**137–131**
4. حروف الجرّ في مشتبه النظم وأسرارها الدَّلالية	**144–138**
المبحث الثَّاني : دلالة الخرق في حروف النَّسق	**158–145**
1. أسرار الخرق السياقي لحروف النَّسق	**152–145**
2. مشتبه النَّظم وإيحاءات السِّياق	**158–152**
الخاتمـــــة .	**162–160**
الفهارس الفنيَّة:	**188–164**
1 . فهـــرس الآيات القرآنية	**171–164**
2. فهـــرس الأحاديث النَّبوية الشَّريفة	**172**
3. فهـــرس الأشعار	**173**
4. فهـــرس المصـــــــادر والمراجع	**185–174**
5. فهـــرس المحتويات	**188–187**